فضائل الأنام

من

رسائل حجة الإسلام الغزالي

ترجمها عن الفارسية مع شروح وتعاليق

الدكتور نور الدين آل علي

أستاذ اللغة والأدب الفارسي بجامعة الجزائر

الدار التونسية للنشر



الغزالى

الكتـــاب :

جزء من الاطروحة التي قدمت إلى جامعة الجزائـر

وحصل بها صاحبها على درجة دكتوره الحلقة الثالثة بمرتبة الشرف الاولى

أبو حامد الغزالي قرع الباب وفتح لنا

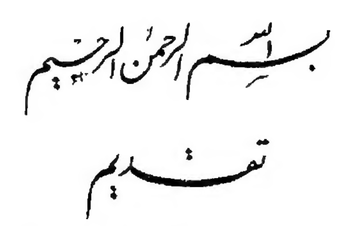
" ابن تومرت "

الغزالي لا يعرف فضله إلا من بلغ أو كاد يبلغ الكمال في عقله

" الإمام محمد بن يحيى "

لو كان نبي بعد النبي لكان الغزالي

" نقله المناوي "



كتب الشيخ مصطفى المراغي شيخ الجامع الازهر في تقديمه كتاب الغزالي للدكتور أحمد فريد الرفاعي يصف الغزالي وتنوع معرفته فقال : « اذا ذكر أسماء العلماء اتجه الفكر إلى ما امتازوا به من فروع العلم وشعب المعرفة فإذا ذكر ابن سينا ...

وأمّا اذا ذكر الغزالي فقد تشعّبت النواحي ولم يخطر في البال رجل واحد بل خطر بالبال رجال متعددون لكلّ واحد قدرته وقيمته .

يخطر بالبال الغزالي ، الأصولي الحاذق الماهر ، والغزالي الفقيه الحرّ ، والغزالي المتكلّم امام السنة وحامي حماها ، والغزالي الاجتماعي الخبير باحوال العالم وخفّيات الضمائر ومكنونات القلوب ، والغزالي الفيلسوف ، أو الذي ناهض الفلسفة ، وكشف عمّا فيها من زخرف وزيف ، والغزالي المربّي ، والغزالي الصوفي الزاهد ، وان شئت فقل : إنّه يخطر بالبال رجل هو دائرة معارف عصره » (1) .

وكتب الدكتور أحمد فؤاد الأهواني استاذ الفلسفة بجامعة القاهرة في تقديمه كتاب سيرة الغزالي لعبد الكريم العثمان يصف الغزالي بقوله : « حجة الاسلام أبو حامد الغزالي من أبرز الشخصيّات في تاريخ الفكر الاسلامي ـ بل والعالمي ـ وأعظمها أثرا في حياة المسلمين العقلية والسلوكيّة على حدّ سواء » وعلى الرغم من هذه الشهرة وهذا الأثر لم يدرس من المحدثين بما يتّفق مع منزلته.والكتب التي تناولت جوانب فكره في اللغة العربيّة قليلة جدّا بالاضافة إلى تلك المكانة » (2) .

ولاشك ان نشر رسائل الامام الغزالي لأوّل مرّة باللغة العربيّة سيكون ذا أثر كبير في الكشف عن كثير من نواحي حياته الشخصيّة والسلوكية والفلسفية ـ وقد قيل : ان رسائل كل مفكّر هي مفتاح شخصيته ـ .

خاصّة وان معظم هذه الرسائل كتبت في أخريات اعوامه ، أي بعد ما خاض في بحور العلوم ، وتوغل في كل مظلمة ، وتهجّم على كل مشكلة ، وتقحّم على كل ورطة ، وتفحّص عقيدة كل

فرقة ، وكشف اسرار مذهب كل طائفة ، ليميّز بين المحقّ والمبطل ، وبين المتسنن والمبتدع ، حتى تفرغ من جميع العلوم ، وأقبل بهمته على طريق الصوفيّة بعد ما علم يقينا أنهم ارباب الأحوال لا أصحاب الأقوال ، وأنهم السالكون لطريق الله تعالى ، وان سيرتهم من أحسن السير وطريقهم أصوب الطرق (3) .

فاختار التصوف مسلكا وطريقة علنا ، وأخذ يسلك طريق الزهد والتأله ، في أرض التصوف وموطنه ، وجهد بما كان له من مهارة وتبحر في العلوم والفنون المتداولة ، في تشييد بناء التصوف واعلائه . وقد طعم الإسلام بالتصوف بعد أن أثبت أنه ينبع من صميم العقيدة الاسلامية ، وأعلى هذا المذهب للانظار بفضل سلوكه ومنطقه المقبول بأحسن صورة ، وافضل وجه ، فجاءت رسائله تحتوي على آخر نظرياته في التصوف والسلوك ، وآرائه الفلسفيّة على وجه امتاز به هو ، وهو صبغها بالتصوف الذي رأى أنه العلم والعلم كلّه .

فهذه الوثائق تعتبر من اخطر الوثائق التي تكشف عن موقف الغزّالي من الحياة والمجتمع في فترة عجت بالاحداث في العالم الاسلامي وتميزت بالتأزم الحاد بين واقع الحياة الذي تمسّك به المتحلّلون من محبي المتاع والسلطة وبين المثل الاسلامية التي اتخذها الغزالي وأمثاله شعارا لهم كي يرجعوا للمجتمع الاسلامي توازنه الذي فقده في مضطرب من الخلاف والصراع . ان هذه الرسائل تكشف عن جوانب خفية من حياة الغزالي وعن شعور عميق إلى حد التوتر بهذه الازمة كما تجلو نفسيته وما يموج فيها من نوازع الاصلاح في الفترة الاخيرة من حياته . والى ذلك تتجلى اوضاع الدولة السلجوقية وخفايا اخبارها ، واحوال المجتمع وموقف القادة فيه من رجال دين ووزراء وامراء وسلاطين . ونزوعا منا إلى اثراء الدراسات الغزالية في اللغة العربية عربنا هذه الرسائل التي كتبها الغزالي بالفارسية ورأينا أن ننشرها محققة مع تراجم وافية لمن ورد ذكرهم فيها حتى يتمكن الباحثون من الاستفادة منها لما يمتاز به من حقائق واخبار لانجدها في مختلف كتبه.وهي تمثل جزءا من الاطروحة التي حصلنا بها على درجة الدكتوراه من جامعة الجزائر وستنشر في القريب بقيتها ان شاء الله .

ولا بد من الاشارة بأنّني شاقيت كثيرا من المصاعب والظروف القاسيّة من السفر إلى ايران والتفحص في المكتبات العموميّة والخصوصيّة للاطلاع والحصول على هذه الرسائل ، ولولا ارشاد وتشويق الأساتذة العظام وأصحاب الفضل الكرام لما أهتديت لنقلها ووضعها بين يدي القارئ الكريم .

وإنني لأرجو ان اكون قد وفقت فيما نويت مساهما في نشر التراث الاسلامي العتيد ، والله ولي التوفيق ، عليه توكلت واليه أنيب .

نور الدين آل علي

الجزائر 18 ذي الحجة الحرام 1388 الموافق 69/3/7

---

1) احمد فريد الرفاعي : الغزالي ص 9 ـ 10 .

2) عبد الكريم عثمان : سيرة الغزالي ص 5 .

3) الغزالي : المنقذ من الضلال صفحات 59 و97 و103 .

المصادر العربيّة

- **ابو حامد الغزّالي :**

لمحمد رضا طبع القاهرة 1924 م.

- **احياء علوم الدين :**

للغزالي (ابي حامد) طبع القاهرة 1326 هجرية .

- **آثار البلاد واخبار العباد :**

زكريا بن محمّد القزويني طبع بيروت 1960 م.

- **اعيان الشيعة :**

السيد محسن الامين الطبعة الرابعة بيروت 1960 م.

- **تاريخ دولة آل سلجوق**(زبدة النضرة ونخبة العصرة) :

عماد الدين محمّد الكاتب الاصفهاني تلخيص فتح بن علي البنداري الاصفهاني طبع مصر 1955 م.

- **تاريخ الشعوب الإسلاميّة :**

كارل بروكلمان ترجمة امين فارس ومنير البعلبكي الطبعة الثالثة بيروت 1948 .

- **التاريخ الكبير :**

ابن عساكر علي ابن الحسن . تصحيح عبد القادر بدران طبع دمشق 1911 م. 7 ج .

- **التصوف الإسلامي :**

الدكتور زكي مبارك في مجلدين طبع القاهرة 1954 م.

- **التلخيص الشافي :**

شيخ الطائفة ابي جعفر الطوسي تحقيق السيد حسين بحر العلوم في 7 مجلدات مطبعة الآداب نجف الاشرف العراق 1963 م 1383 هـ.

- **جامع التواريخ (بالفارسية) :**

رشيد الدين فضل الله الهمداني : ترجمة محمّد صادق نشأت وفؤاد عبد المعطي الصيّاد بمراجعة يحيى الخشّاب في مجلدين طبع مصر 1960 م.

- **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري :**

تاليف آدم مترنقله إلى العربيّة محمّد عبد الهادي ابوريدة في مجلدين الطبعة الثالثة .

- **خريدة القصر وجريدة العصر :**

عماد الدين الاصفهاني الكاتب طبع المجمع العلمي العراقي 1955 م.

راحة الصدور وآية السرور :

ألفه بالفارسية محمّد بن سليمان الراوندي ونقله إلى العربيّة الدكتورامين الشواربي والدكتورعبد النعيم محمد حسنين والدكتورفؤاد عبد المعطي الصيّاد طبع القاهرة 1960 م .

رحلة ابن بطوطة :

أبوعبد الله محمّد بن عبد الله طبع القاهرة 1958 م .

الرسالة القشيرية (في التصوف) :

ابو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري القاهرة 1346 هـ.

سلاجقة ايران والعراق :

الدكتور عبد النعيم حسنين القاهرة 1959 م.

سير اعلام النبلاء :

شمس الدين محمّد الذهبي تصدير طه حسين القاهرة 1957 م.

سيرة الغزّالي واقوال المتقدمين فيه :

جمعه عبد الكريم عثمان . بدون تاريخ طبع دار الفكر بدمشق م.

شرح نهج البلاغة :

ابن أبي الحديد طبع مصر 1329 هـ.

شطحات الصوفية

عبد الرحمن بدوي القاهرة 1949 م.

الصلة بين التشيع والتصوف :

الدكتور كامل مصطفى الشيبي طبع بغداد 1964 م.

صـورة الأرض :

ابوالقاسم ابن حوقل النصيبي في مجلدين طبع ليدن 1928 م.

طبقات الشافعيّة الكبرى :

تاج الدين ابو نصرعبد الوهاب ابن تقي الدين السبكي الطبعة الاولى مطبعة الحسينية القاهرة .

الغـزّالي :

الدكتور احمد فريد رفاعي ؛ في مجلدين ، طبع مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر بلا تاريخ .

فرائد اللآلي من رسائل الغزّالي :

مجموعة مشتملة على ثلاثة كتب : **معراج السالكين- منهاج العارفين - روضة الطالبين . طبع** في القاهرة .

فـرق الشيعـة :

ابومحمّد حسن بن موسى النوبختي (المتوفى 317 هـ) طبع جمعية المستشرقين الالمانية استانبول 1931م.

- فهرست ابن النديم :
محمد ابن اسحق الوراق (وقيل محمّد ابن النديم) طبع مصر 1941 م.
- الكامل في التاريخ :
عزالدين علي بن محمّد الشيباني الجزري طبع مصر 1348 هـ. ليدن 1870 م.
- الكشكول :
الشيخ بهاء الدين العاملي طبع مصر 1288 هـ.
- مجلة الدراسات الأدبية
(الجامعة اللبنانية) السنة السادسة العددان 3 ـ 4.
- مرآة الجنان وعبرة اليقظان :
ابومحمّد عبد الله اليافعي اليمني المالكي الطبعة الاولى حيدرآباد دكن 1338 هـ.
- مؤلفات الغزّالي :
عبد الرحمن بدوي طبع القاهرة 1961 م.
- المعارف العقلية :
الامام ابو حامد الغزّالي تحقيقعبد الكريم عثمان دمشق 1963 م.
- معجم البلدان :
ابو عبد الله ياقوت الحموي طبع ليزيك 1866 م.
- مقاصد الفلاسفة :
الامام أبو حامد الغزّالي تحقيق الدكتور سليمان دنيا دار المعارف بمصر 1961 م.
- المقدمة :
ابويزيد عبد الرحمن ابن خلدون طبع بيروت 1956م.
- المنتظم في تاريخ الملوك والامم :
ابوالفرج عبد الرحمن ابن الجوزي . 10 ج الطبعة الاولى حيدرآباد دكن (هند) (م ج 10/281)
- منهاج العابدين وبهامشه بداية الهداية :
الامام ابوحامد الغزالي مصربدون تاريخ مطبعة مصطفى محمد .
- الوافي بالوفيات :
صلاح الدين الصفدى 4 ج.
- وفيات الاعيان :
ابن خلكان : شمس الدين ابو العباس احمد بن ابراهيم الشامي طبع مصر 1949 م.
- مجلة الابحاث : (ج 4 ص 17) .
حضارة العرب في القرن الثاني عشر (الميلادي) نبيه امين فارس ص 411.
- بحث في الترتيب التاريخي لمؤلفات الغزالي :
Maurice Bouyges : des œuvres de al-Ghazali édité et mis à jour par Michel Allard-Beyrouth 1969

المصادر الفارسية

اسرار التوحيد : (في مقامات الشيخ ابي سعيد) .

محمّد بن المنور ابي سعيد بن ابي طاهر بن ابي سعيد بن ابي الخير طبع طهران 1313 هـ ش .

بهارستان جامى :

عبد الرحمن بن احمد الجامي (المتوفى 898 هـ) طبع طهران 1340 هـ ش . (1)

تاريخ الادب في ايران :

ادوارد براون في اجزاء اربعة : الجزء الاول ترجمة على باشا صالح طبع طهران 1335 هـ ش (1).الجزء الثاني ترجمة فتح الله مجتبائي طبع طهران 1341 هـ ش . الجزء الثالث ترجمة علي اصغر حكمت طهران 1339 هـ ش.الجزء الرابع ترجمة رشيد الياسمي الطبعة الثالثة طهران 1345 هـ ش.وقد ترجم الجزء الاول منه إلى العربيّة الدكتور ابراهيم امين الشواربي وطبع بمصر 1954 م .

تاريخ ادبيات ايران :

الاستاذ جلال الدين همائي في مجلدين طبع طهران 1340 هـ ش .

تاريخ ادبيات ايران :

الدكتور رضا زاده شفق طهران 1340 هـ ش وترجمه إلى العربية محمد موسى هنداوي نشر دار الفكر العربي 1947 م.

تاريخ ادبيات درايران :

الدكتور ذبيح الله صفا في ثلاثة مجلدات : الجزء الاول طهران 1342 هـ ش والثاني طهران 1339 هـ ش. الثالث طهران 1341 هـ ش .

تاريخ اسلام .

الدكتور علي أكبر فيّاض الطبعة الثالثة مشهد ايران 1339 هـ ش .

تاريخ بيهق : او (جوامع التواريخ)

علي بن زيد البيهقي طبع طهران 1317 هـ ش .

تذكرة الاولياء :

الشيخ فريد الدين عطّار النيشابوري تحقيق العلامة القزويني الطبعة الثالثة طهران 1336 هـش .

تذكرة الشعراء :

الامير دولتشاه بن علاء الدولة بختيشاه الغازي السمرقندي تحقيق محمّد عباسي طهران 1337 هـش .

- **ديوان انوری :**

الحكيم حجة الحق اوحد الدين محمّد الانوري تحقيق سعيد نفيسي طهران 1337 هش .

- **ديوان خاقاني :**

افضل الدين بن علي بن علي الخاقاني الشرواني ، تحقيق الدكتور ضياء الدين السجادي طبع طهران 1338 .

- **راحة الصدور وآية السرور :**

محمّد بن علي بن سليمان الراوندي طبع طهران 1333 هش وقد ترجم إلى العربية ترجمه الاساتذة امين الشواربي وعبد المنعم حسنين وفؤاد الصياد طبع القاهرة 1960 م .

- **سبك شناسي :**

العلامة المرحوم محمّد تقی بهار « ملك الشعراء » في ثلاثة مجلدات طبع الثاني طهران 1337 .

- **سفر نامه :**

ابو المعين حميد الدين ناصرخسرو بن خسرو القبادياني المروزي (المتوفي 394 هـ) بتحقيق محمّد دبير سياقي الطبعة الثانية طهران 1335 هـ ش .

- **سياست نامه :**

أبو علي حسن بن علي الوزير نظام الملك تحقيق العلامة القزويني طهران 1344 هـ ش .

- **شرح كلشن راز :**

الشيخ محمّد اللاهيجي (من اعلام قرن التاسع) بتقديم الاستاذ كيوان السميعي طهران 1337 هـ ش .

- **غزّالي نامه :**

جلال الدين همائي (أستاذ جامعة طهران) الطبعة الثانية طهران 1342 هـ ش .

- **كشف المحجوب :**

ابوالحسن علي بن عثمان الجلاّبي الهجويري الغزنوي حققه والتين زوكوفسكي . طبع طهران باهتمام محمّد العباسي سنة 1336 هـ ش .

- **لباب الالباب :**

محمّد بن محمّد العوفي البخاري تحقيق البرفسور براون والعلامة القزويني نشر طهران مطبعة ابن سينا مع تعليقات جديدة للمرحوم سعيد النفيسي 1335 هـ ش .

- **مجالس المؤمنين :**

للقاضي نور الله التستري طبع حجري طهران 1299 هـ ق .

- **مختلف الأصول :**

العلامة المرحوم محمّد عبده البرجردي طبع جامعة طهران 1341 هـ ش .

- **منتخب التواريخ :**

الشيخ محمّد هاشم الخراساني بلا تاريخ طبع المكتبة الاسلامية طهران .

علــوب :

الله بن أبي بكر المستوفى القزويني (740 هـ) تحقيق محمّد دبير سياقي طهران 1336 هـ ش .

عهد سلاطين بزرك سلجوقي :

ذ المرحوم عباس الإقبال طبع جامعة طهران 1338 هـ ش .

هنا بـ (هـ ش) يعني التقويم الهجري الشمسي المستعمل في إيران وتبدأ السنة الهجرية الشمسية في أول يوم الربيع س غالب وعدد أيامها 365 يوماً اذا كانت بسيطة و336 اذا كانت كبيسة ولذلك فإن سنة 1388 هـ تقابل 1347

الرموز والإشارات

ما أشير اليه في هذا الكتاب بعلامة « ...... » كان كذا في الأصل .

وما أشير اليه بين الهلالين (......) يفيد الزيادات الموجودة في نسخ غير نسخة أياصوفيا .

وحرف (أ) يرمز إلى نسخة أيا صوفيا .

وحرف (ب) يرمز إلى نسخة مكتبة الجامعة باسطنبول .

وحرف (ج) يرمز إلى النسخة المقابلة مع نسخة فروزا نفر ونفيسي وطبعة الهند .

وحرف (ع) يرمز إلى نسخة الرسالة التي نقلها الرفاعي في كتاب **الغزالي**

وحرف (ط) يرمز إلى نسخة الرسالة التي اوردها السبكي في **طبقات الشافعية الكبرى**

ووضعنا أسفل الصحائف التعاليق التي تشير إلى مختلف نسخ الكتاب وبيان الآيات والسور القرآنية الواردة في الرسائل وبعض الشروح القصيرة .

اما البيانات المطولة والشروح الضافية فقد جمعناها آخر الكتاب في قسم : التعاليق .

كما ترجمنا لأصحاب الرسائل ـ الملوك والوزراء والامراء ـ الوارد ذكرهم في الرسائل أيضا في قسم خاص : تراجم اصحاب الرسائل .

النسخ المخطوطة المعتمدة

1 ـ نسخة مكتبة جامع أياصوفيا (في إستانبول) توجد في المخطوط رقم 4821 (ورقة 43 أ ـ 46 ب) ، 4301 ، 4792 (ورقة 692 ب ـ 726 ب) .

استنسخها أسعد بن أحمد بن محمّد الكاتب بخط النسخ في سنة 816 هـ في مدينة شيراز ، وتمتاز هذه النسخة بالتقدم والصحة وعدم تصرف أحد فيها . (انظر رقم 346 **مؤلفات الغزالي** : لبدوي ؛ ومجلة كلية الآداب جامعة طهران (ديماه سنة 1332 هـ ش) مقالا حول **فضائل الأنام** والتعريف به بقلم الاستاذ المرحوم عباس إقبال . ورقم 325 و 346 **مؤلفات الغزالي** : بويج) وقد رمزنا اليها بـ (أ) .

2 ـ نسخة مكتبة الجامعة بأستانبول تحت رقم 890 (فارسي خطّي) تاريخ استنساخها 1288 هـ . في 134 ورقة بخط فارسي جميل استنسخت لعالي باشا الصدر الأعظم العثماني ، والظاهر أنّها مستنسخة من نسخة أياصوفيا . وقد رمزنا اليها بحرف (ب).وتوجد من نسخة أياصوفيا ونسخة مكتبة الجامعة صورة فتوغرافية في مكتبة جامعة طهران .

3 ـ نسخة يملكها السيد جلال الدين المحدّث الأستاذ بكلية الا لهيات والمعارف الاسلامية جامعة طهران . يرجع تاريخ استنساخها لأواسط عهد الدولة الصفويّة ، بخط النستعليق وتمتاز بحسن الخط والتذهيب والتزيين .

4 ـ نسخة المرحوم الاستاذ بديع الزمان فروزانفر عميد كليّة الالهيات والمعارف الاسلاميّة سابقا ومدير المكتبة الملكيّة سابقا ، توجد بضمن مجموعة خطيّة .

5 ـ نسخة العلامة المرحوم ميرزا محمّد طاهر التنكابني وقد اعتمدها غير مرة الاستاذ جلال الدين همائي في مؤلفه الكبير **غزالي نامه**

6 ـ نسخة الاستاذ المرحوم سعيد نفيسي ، وقد قابلناها بنسخة فروزانفر ونسخة الهند ورمزنا اليها بـ (ج) .

7 ـ نسخة خطية في ضمن الكتب التي اهداها الاستاذ العلامة السيد محمد المشكاة لجامعة طهران . في 130 ورقة مستنسخة في 1260 هـ وعليها عنوان « أجوبة الغزالي لأسئلة أهل السنة » (انظر فهرست الكتب المهداة من الاستاذ مشكاة إلى مكتبة جامعة طهران . ج 3 ص 190) .

وقد وردت هذه الرسائل متفرقة في مخطوطات أخرى في المكتبات العالميّة : كمخطوطة الرسالة إلى قضاة المغرب (او إلى بعض أهل عصره : على نقل السبكي) توجد بمخطوط رقم 1996 بفيينا . وكذلك رسالة الغزالي إلى الوزير نظام الملك (الثاني) في الورقة 89 ب نفس المخطوطة (انظر رقم 51 **مؤلفات الغزالي** : بدوي) .

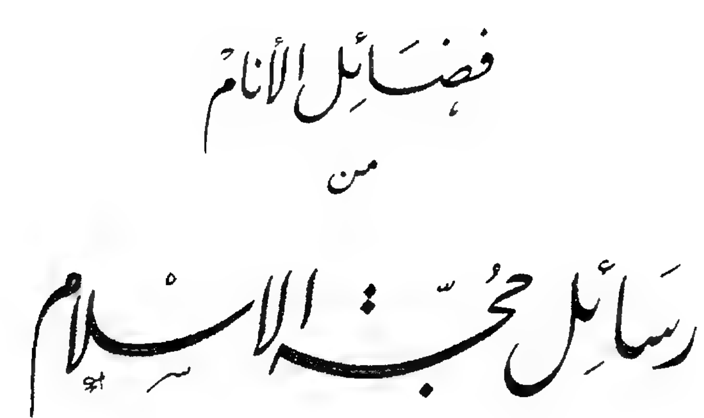
ئل عنها الغزالي في المخطوطة رقم .A. 81I.A 3 . 297 في مكتبة الجامعة الامريكية ببيروت
ي . The Theology of al-Ashari, Beyrouth 1953 - pp. 23 - 28.
المخطوط قديم لايتجاوز القرن السابع هجري مما يجعل صحتها اوكد (انظر مؤلفات الغزالي
.)

ثير من المؤلفين بعض هذه الرسائل او خلاصة من بعضها في مؤلفاتهم ونجد عند السبكي في
وعند حيدر بن أبي القاسم في مجمع الانشاء (الفّه في القرن الحادي عشر وتوجد مخطوطته في
بطهران) والعقيلي في **آثار الوزراء** (مخطوط منه في مكتبة مجلس الأمة في طهران) (1) ودولتشاه
لذكرة **الشعراء** (طبع عدة مرات) والشيخ بهاء الدين العاملي في **كشكول** (طبع عدة مرات)
سالة **سريان الوجود** (طبع في طهران سنة 1302 هـ) .

ت هذه الرسائل لاول مرة في الهند سنة 1310 هـ تحت عنوان **فضائل الامام** ونسب تصنيفها إلى
ي حجة الإسلام الغزالي .

نفاد من مقدمة المصنف (2) . اولاً : أن الكاتب اسمه : **فضائل الانام من رسائل حجة الإسلام**
نف هو أحد أقرباء حجة الإسلام وقد قام بجمع هذه الرسائل بعد وفاة الغزالي بمدة ذلك بعد
لسالكين وأصحاب حجة الإسلام كما يشير إلى ذلك بقوله : « وتمسكاً بحبل القرابة وصلة
ا وجدنا من تلك الرسائل وسميّناها : « كتاب فضائل الانام من رسائل حجة الإسلام » .
ثي في نقل هذه الرسائل إلى العربيّة اولاً نسخة أياصوفيا ثم النسخة المقابلة بنسخة الاستاذ
اذ نفيسي ونسخة الهند .

زالي نامة ص 235 .
ع « فضائل الانام » المذكورة أعلاه .


فضائل الأنام
من
رسائل حجة الإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين *

لله الشكر والحمد ، شكرا وحمدا لاحدّ ولا حصر ولا عدّله ، حمداً نهايته حمد الصّديقين ، وغايته مقصد الطالبين ، ودليل المتّحيرين . حمدا لاغاية له ، لله الذي لابداية له ولا نهاية ، إله حمده طراز جملة الكتابات ، وآخر دعوى أهل الجنان ، إله من فضله الرأفة والرحمة والمغفرة . ومن عدله القوّة والعذاب والخزي ؛ أزمّة الخلق طرّاً في قبضة قدرته ، وقضاء أمر جميع السالكين في عنايته ، ومنقبة صاحب الشريعة « صلوات الرحمن عليه » وعظمته من اصطفائه ومحبّته ، ونجاة العاصين بشفاعته أيضا من خلعته . وصدقُ أبي بكر وعدل عمر وحياء عثمان وشجاعة علي وعلمه من مقتضى حكمته ومشيئته . « يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد » (1) .

امّا بعد لمّا ظهرت العناية الإلهية في حقّ إمام العصر ، (2) ومقتدى الدهر ، الصدر الأجل ، زين الدين ، حجة الإسلام ، إمام الأئمّة ، أبوحامد محمّد بن محمّد بن محمّد الغزّالي الطوسي ، أكرمه الله برضوانه ، ومهّد له في أعلى جناته وتغمده بغفرانه ، حتّى صار قلبه بذلك محلاّ للأنوار الإلهيّة « أفمَن شرح الله صدره للإسلامْ فهوعلى نور من ربّه » (3) ، وصدره عينا لماء الحكمة وخزانة لأسرارالشريعة ، وأنفاسه صدف جواهر لانظير له ، ودرّ ألفاظه اليتيمة أعذب من ماء الزلال ، ومعانيها أدقّ من السحر الحلال .

[شعر فارسيّ في الأصل ـ ترجمته] .

« حيث إنّ ألفاظه ألزمت الخصم فلو كان الدهر لاعتنق ذلك الإلزام » .

[شعر عربي في الأصل] .

معـــان كـالعيـــون ملئـــن (4) سحـرا وألفاظ مسورّدة الخـــدود

---

* مقدمة جامع « فضائل الانام » .

1) هذه الخطبة غير موجودة في نسخة (ج) .

2) في (ج) وشيخ ومقتدى الـدهـر .

3) القرآن الكريـم سورة الزمر الآية 22 .

4) في (ج) مبيـن سحـــرا .

ميع (5) شفاء أمراضهم في كلامه ، وطلبوا دواء العلّة من هناك ، وأخذوا الترياق
، السّم القتّال ، كالكفر والشرك والحسد والبخل والرياء والنفاق والعجب وسائر
مة.أخذوه من رموزه وإشاراته ، ومن ألفاظه ومعانيه ووجدوا الكبريت الأحمر
السعادة في تصانيفه .

مخّ (6) تلك الكيمياء ولباب تلك المعاني في رسائله المكتوبة في كلّ وقت
ّ عمل . فلمّا كانت الحالة على هذه ففي كلّ حين بالغ السالكون للطريق
وأصحاب العلّة وأرباب الحاجة في طلب رسائله ووصاياه ، واستجدّوا حتّى
، ويقتدوا بها كي يحصّلوا بها السعادة الأبديّة ، ويتخلّصوا من شهوات النفس ،
ٓ للبصر الظاهر ونورا لبصيرة الباطن . وكانت تلك الرسائل مبعثرة ومتفرّقة
ا للحاجة ، وكفاية لمهمة السالكين ، وقضاء لحق الاخوة في الدين ، وتبرّكا
ث الصدر الشهيد (8) .

بحبل القرابة وصلة الرحم جمعنا ما وجدنا من تلك الرسائل وسمّيناها « كتاب
ن رسائل حجّة الإسلام » .

ها في خمسة أبواب . والمتوقّع من الجود الالهي أن يجعل لنا التوفيق رفيقا ،
ا ، حتّى يتمّ هذا الجمع . وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكّلت وعليه فليتوكل
والحمد لوليّه .

فهرس الأبواب

الباب الأول : في الرسائل التي كتبها للملوك والسلاطين .
الباب الثاني : في الرسائل التي كتبها للوزراء .
الباب الثالث : في الرسائل التي كتبها للأمراء وأركان الدولة .
الباب الرابع : في الرّسائل التي كتبها للفقهاء وأئمّة الدّين .
الباب الخامس : في فصول ومواعظ كتبها في أوقات متفرّقة (1) .

1) هذا التقسيم غير موجود في (ج) .

الباب الأول

في الرسائل التي كتبها للملوك والسلاطين

لمّا كان الصدر الشهيد (1) حجّة الإسلام ـ أكرمه الله برضوانه ـ في ابتداء عهده ومبدأ ارتقاء عمله طالبا للعلم في مدينة نيسابور (2) أخرج من تعليق أصوله مختصرا ورتّبه وسمّاه « المنخول من تعليق الأصول » (3) وجمع في آخر هذا الكتاب في قرب من كاغذين (4) من مثالب مذهب الإمام أبي حنيفة (5) « رحمه الله عليه » (من كتاب الطهارة والصلاة والغصب والسرقة وغيرها . وقد جمع فيه كلّ شنيع من مذهبه) (6) . فلمّا رأى هذا بعض أصحاب الرأى تحرّك فيهم عرق الحسد والتعصّب . و(قد) (7) وافقتهم جماعة أخرى من أصحاب الشافعي (8) وأصحاب مالك (9) ـ رحمهما الله ـ فشنّعوه عظيم التشنيع ، وذهبوا إلى سلطان الإسلام لإنهاء (10) الأمر بأنّ حجة الإسلام يطعن ويقدح في الامام أبي حنيفة ، وقد جمع مثالبه ؛ ولم يكن له أيّة عقيدة في الإسلام بل يعتقد معتقد الفلاسفة والملحدين . ومزج جميع كتبه بأقوالهم ، وخلط الكفر والأباطيل مع أسرار الشرع ، ويقول بأنّ الله نور حقيقي . وهذا مذهب المجوس (11) القائلين بالنور والظلمة . وغيّروا وبدلّوا كلمات من كتاب « مشكاة الأنوار » (12) وعرضوها على سلطان الإسلام وأغروا أحد المغاربة (13) وقالوا له :

---

1) في (ج) الصدر السعيد .
2) انظر : التعاليق آخر الكتاب ص : 155 ت رقم 1
3) انظر : التعاليق آخر الكتاب ص : 155 ت رقم 2 .
4) في (ج) في عشرة كواغد .
5) انظر : التعاليق آخر التاب ص : 155 ت رقم 3 .
6) بين الهلالين غير موجود في (ج) .
7) سقط من (ج) .
8) انظر : التعاليق آخر الكتاب ص : 155 ت رقم 4 .
9) انظر : التعاليق آخر الكتاب ص : 155 ت رقم 5 .
10) الانهاء : الاخبار .
11) انظر : التعاليق آخر الكتاب ص : 155 ت رقم 6 .
12) انظر : التعاليق آخر الكتاب ص : 156 ت رقم 7 .
13) في (ج) احد الغرباء .

إن حجة الإسلام قد طعن في « مالك والقاضي أبي بكر الباقلاني » (14) وقطع بخطأ القاضي أبي بكر حتّى قام يشنّع ويوسوس عند أركان الدولة بتخيّلات وتصوّرات فاسدة (« ومن يسمع يخل ») (15) . فلذلك تغيّر سلطان الإسلام عليه وقصد زجره وفي تلك الحالة بعث إلى حجة الإسلام يطلبه للحضور .

فامتنع حجة الإسلام من المجيْ وكتب له عذر ذلك وبعث اليه وها هي الرسالة (16) :

14) انظر : التعاليق آخر الكتاب ص : 156 ت رقم 8 .

15) سقط من (ج) .

16) هذه المقدمة من جامع « فضائل الانام » .

رسالة كتبها حجة الاسلام « قدّس سرّه »
1 للسلطان سنجر (1)

(بسم الله الرّحمن الرّحيم) (2) متّع الله ملك الإسلام من مملكة الدنيا وأعطاه سلطنة في الآخرة (تكون سلطنة الدنيا إلى جانبها حقيرة مختصرة . فإن سلطنة الآخرة تستحق العمل) (3) لأنّ المملكة على وجه الأرض ليست بأكثر من المشرق إلى المغرب . وعمر الإنسان في أغلب الأحوال ليس بأكثر من مائة سنة . وجميع ما على وجه الأرض . بالنسبة إلى سلطنة يعطيها الله يوم الآخرة ، ليست الاّ كدرة من طين ، وجميع إمارات الأرض كغبرة (4) تلك المدرة . فما هي قيمة مدرة وغبرتها ؟ وما هو عمر مائة سنة عند الأزل والأبد والسلطنة الأبدية ؟ حتى يفرح الإنسان بها . فارفع الهمّة كما أتى الاقبال والدولة والنسبة 5) عالية ، ولا تقنع من الله إلاّ بسلطنة الأبديّة . وهذا ما يشقّ على الخلق ويسهل على ملك المشرق (6) ، فإنّ الرسول ـ صلى الله عليه وسلّم ـ يقول : « يوم يعدل فيه سلطان عادل أفضل من عبادة ستين سنة » .

وفيما أعطاك الله هذه الوسيلة والآلة التي تقدر أن تفعل في يوم واحد ما لايفعله غيرك في ستين سنة . فأيّ اقبال ودولة أكثر من هذه ؟

فأدرك الدنيا بحقيقتها حتى تختصر (7) في عينك شأنها ، فإنّ العظماء هكذا قالوا : لوكانت الدنيا كوزا من ذهب غير باق والآخرة كوزا من خزف باق لاختار العاقل كوز خزف باق على كوز ذهب فان ؛ فكيف والدنيا هي كوز خزف فإن والآخرة كوز ذهب باق (8) .

فكيف يكون عاقلا من اختار الدنيا . فليتأمل في هذا المثل جيدا ويضعه (9) أمام العين دائما . واليوم وصل إلى حدّ بأنّ عدل ساعة يعادل عبادة مائة سنة .

---

1) هذا العنوان غير موجود في (أ) و (ب) .
2) سقط من (أ) و (ب) .
3) سقط من (ج) .
4) في (ج) جميع ولايات الارض ونعمها .
5) في (ج) ونسبتك عالية .
6) انظر : التعاليق ص : 156 ت رقم 9 .
7) في (ج) حتى تحتقر وتختصر
8) انظر : التعاليق ص : 156 ت رقم 10 .
9) الضمير يعود إلى الملك . وهذا دأب الغزّالي حيث يخاطبهم غالبا بضمير الغائب لا بالمخاطب .

فترحم على أهالي طوس لأنّهم تحمّلوا كثيرا من الظلم وقد فسدت الغلال من البردوقلة الماء ويبست الأشجار مائة سنة من أصلها ولم يبق لأهل القرى سوى فروة وجمع من العيال الجائعين العراة فإن ترضى أن يعروهم من الفروة حتى يلتجئوا مع الأطفال إلى التنور فلا ترضى ان يسلخوهم من جلودهم فإنك إن طالبتهم بشيءٍ سيشردون جميعا ويهلكون في الجبال وهذا كسلخهم (10) .

اعلم أنّ هذا الداعي قضى ثلاثا و خمسين سنة من العمر وغاض أربعين سنة في بحور علوم الدين (11) حتى وصل إلى مكانة مرموقة فَصَعُبَ على أكثر الناس فهم كلامه .

وقضى عشرين سنة في ايام السلطان الشهيد (12) ورأى منه في اصفهان وبغداد كثيرا من العطف والاقبال وكان (13) عدة مرات رسولا بين السلطان وامير المؤمنين في الأمور المهمّة ، وصنف في العلوم الدينية (14) ما يقرب من سبعين كتابا . فرأى الدنيا على ما هي (عليه) وتركها كلاً وأقام مدة في بيت المقدس وعاهد عند مشهد ابراهيم الخليل ـ صلوات الله عليه ـ ان لايذهب لأي سلطان ولا يأخذ مال السلطان ولا يناظر ولا يتعصب . وقد وفى بهذا العهد مدة اثنتي عشرة سنة وقد عذره امير المؤمنين وجميع السلاطين (15) .

والحال أني سمعت بصدور اشارة من المجلس العالي لحضوري وبمقتضاها اتيت إلى « مشهد الرضا » (16) ووفاء لعهد الخليل (عليه السلام) (17) لم آت إلى المعسكر . وعلى هذا المشهد اقول يا ابن الرسول كن شفيعا حتى يعلي الله ملك الإسلام في مملكة الدنيا من درجة آبائه ويلحقه في الآخرة إلى درجة (18) سليمان عليه السلام ؛ فإنه كان ملكا ونبيا ووفقه حتى يحفظ حرمة عهد الخليل (ابراهيم عليه السلام) (19) ولا يزجر قلب من انقطع من الخلق واتجه اليك (20) انت الذي تعالى وعزّ شأنه .

---

10) في (ج) إلى وهذا كسلخهم . هي رسالة واحدة وما بعدها رسالة اخرى ، وعنوانها : رسالة كتبها حجة الإسلام إلى سلطان سنجر يتعذر من عدم مجيئه .

11) في (ج) في بحور العلوم .

12) انظر : التعاليق آخر الكتاب ص : 156 ت رقم 11 .

13) في (ج) وكان هذا الداعي .

14) في (ج) في علم الدين .

15) في (ج) اغروه .

16) انظر : التعاليق آخر الكتاب ص : 156 ت رقم 11 .

17) سقط من (ج) .

18) في (ج) إلى مرتبة .

19) سقط من (ج) .

20) في (ج) واتجه إلى الله عز وجل .

وهكذا عرفت بأن هذا أليق وأقرب إلى القبول عند المجلس العالي من مجيئي بنفسي وجسمي ، فذلك عمل (من المرسوم) (21) بلا فائدة وهذا عمل متوجه وجهه إلى الحق تعالى . فإذا كان مقبولا فمرحبا . واذا كان خلافه امرا فليس في ذمتي (22) نقض العهد لأن اطاعة امر السلطان بالاضطرار لازمة فاكون منقاداً للأمر بالضرورة .

أرجو الله تعالى ان يسوق على لسان وقلب ذلك العزيز ما لايخجل منه غدا في القيامة ولايكون اليوم للإسلام منه ضعيف وانكسار والسلام .

---

21) سقط من (ج) .

22) في (ج) في عهدتي .

فصـــل

فلمّا عرضوا هذه الرسالة على ملك الإسلام (1) ، تغيّرت عقيدته وقال لابدّ من أن نراه وحيث أنه يوجد في مشهد الرضا على « ساكنها السلام » والمعسكر في بتروغ (2) والمسافة قليلة والمجيئ سهل ، لابدّ أن يحضر على أي حال حتّى نراه (3) ، وأعلم صافي عقيدته وأزجر وأعرّك (4) حسّاده والمتعصبين عليه .

وفي نفس الوقت اجتمع جماعة من فحول الأئمة المتعصبين عليه في المعسكر ، وكانوا يقولون لابدّ من حضوره حتّى نناظر معه ونسمع كلامه ونقيم الحجة على كلامه ؛ فلا تتركوه قبل ذلك يدخل إلى السلطان ، فإذا دخل فسيصيد السلطان بمنظره وكلامه في الحين .

في هذه الحالة جاءت جماعة من أئمة طوس إلى المعسكر ، وعقدوا مجمعا وأحضروا المتعصبين على حجةَ الإسلام ، وقال أئمة طوس : نحن تلامذة حجة الإسلام اذا كان لأحد إشكال في كلامه فليلقه حتّى يسمع الحلّ والجواب ، فإذا نحن عجزنا ، فلنكتب له ونطلب منه تحرير ذلك وشرحه حتى يرتفع الإشكال . وأما أنتم فليست لكم الأهليّة والمكانة بأن تطلبوا منه المناظرة . كيف وانتم لاتقدرون على مقاومة تلامذته ، فلمّا سمعوا هذا بهتوا ، وأتوا مرة أخرى إلى السلطان وقالوا : ان هذا رجل ناموسي (5) فإذا ناظرناه أظهرناموسه . فقال سلطان الإسلام لمعين الملك (6) « رحمة الله عليه » : انّه لابد من إلزامه بالحضور عند العرش حتى نسمع كلامه ، فإذا كانت الحالة تتطلب المناظرة أمرناه بالمناظرة ونرجعه من بعد ذلك معزّزا (7) .

---

1) في (ج) بزيادة : وعرف الاحوال .

2) في (ج) والمعسكر في بطروق . وسياتي توضيح ذلك في التعاليق ص : 157 ت رقم 12.

3) في (ج) ونعلم .

4) في (ج) وتزجر وتعزر .

5) في ج) هذا رجل غيور وناموسي . انظر التعاليق آخر الكتاب ص : 157 ت رقم 13 .

6) انظر التراجم آخر الكتاب ص : 186

7) في (ج) او نعتذر منه ونرجعه مكرما .

فأرسل معين الملك رسولا إلى « مشهد » يأمره بالحضور ، فإجابة للحكم جاء إلى المعسكر ونزل في وثاق المعين (8) حتى أتى به معين الملك إلى السلطان ، فلمّا رآه السلطان قام له ، وعانقه وأجلسه بجنبه ، فكان لحجة الإسلام « رحمة الله عليه » استشعارا (9) وكان معه « المقرى الأسعد » (10) فطلب منه آية من القرآن فقرأ « المقرى » : « أليس الله بكافٍ عبدَه » (11) فقال حجة الإسلام : بلى . وزال عنه ذلك الخوف تماما وبدأ بالكلام وقال هذا الفصل في حضور السلطان :

---

8) في (ج) في وثاق معين الملك .

9) في (ج) استفسارا ما .

10) لم اجد له ترجمة في المصادر الموجودة لديّ .

11) القرآن الكريم سورة الزمر الآية 36 .

2 مقال حجة الأسلام وقت حضوره عند ملك الاسلام (1)

بسم الله الرّحمن الرّحيم ، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على (2) خير خلقه محمّد وآلة أجمعين ، والعاقبة للمتقين ولا عدوان الاّ على الظالمين . أبقى الله ملك الإسلام . قد جرت عادة علماء الإسلام (3) أن يلقوا في مجلس ملوك الإسلام مقالا يشتمل على أربعة : الدعاء ، والثناء ، والنصيحة ، ورفع الحاجة (4) .

أما الدعاء ، فمذهبي ، أن رفع الأيدي والمناجاة سرّا مع الحقّ تعالى في ليلة ظلماء ، وخلوة خالية أولى ، فإنّ كلّ ما كان على الملأ اختلط بالرياء . وعند حضرة الحق سبحانه وتعالى كلّ ما لم يكن خالصا وفيه رثاء غير مقبول .

وأما الثناء (5) فهومن لحن الكلام لأن الشمس لاتحتاج مطلقا بأن يشار إلى رفعتها وضيائها بالبنان « لقد غنيت ذكاء عن التعريف » (6) . وأن الجمال إذا وصل لغاية الكمال كسد سوق المشاطة ، وأصبحت يد الماشطة عاطلة . والمقصود من الثناء رفع الشأن ، وكيف يمكن ارتفاع شأن الحضرة وكل من له في العالم من علو او تفوق او رفعة فهي خلعة (مأخوذة من عبيد) (7) تلك الحضـرة .

أما النصيحة وعرض الحاجة فهما الأهمّ (8) فقط . فالنصيحة ولاية لايكتب منشورها الاّ من حضرة المصطفى (9) (عليه افضل الصلوات وأكمل التحيات) (10) .

1) في (أ) و (ب) فصل من مقالته وقت حضوره عند ملك الإسلام .
2) في (ج) والصلاة على رسوله محمّد وآله اجمعين .
3) في (ج) قد جرت السنة وعادة علماء الإسلام .
4) في (ج) ورفع الدرجات .
5) في (ج) واما ثناء هذا المجلس.
6) هذه الجملة غير موجودة في (ج) .
7) ما بين الهلالين سقط من (ج) .
8) في (ج) المهم .
9) في (ج) من حضرة صاحب الرسالة .
10) سقط من (ج) .

وهو القائل « تركت فيكم واعظين صامتا وناطقا : الصامت الموت ، والناطق القرآن » فانظر إلى الناصح الصامت ماذا يقول بلسان الحال (11).الموت الصامت هكذا يقول : فليعلم كلّ مخلوق بأنّني لـه بالمرصاد ، وسأفتح المصيدة فجأة ، ولا أبعث من قبل رسولا ، فإذا اردتم ان تـروا ماذا سأفعل بكم ، فلينظر الملوك إلى الملوك الذين مضوا و (الأمراء إلى) (12) الأمراء السابقين .

فهذا سلطان ماكشا ، وآلب ارسلان ، وطغول (13) يقولون بلسان الحال من تحت الثرى : يا ملك يا قرة العين يا ابن العزيز أيّاك أيّاك ! : لوتعلم ما حلّ بنا ، وايّ الأهوال رأينا ، لن تنـام ليلة شبعان (14) (وفي رعتيك جائع) ، ولن تلبس برغبتك ثوبا وفي رعتيك عريان ، وما تبقى من مال الا ّ (يعرض عليك) وتسأل عنه يوم القيامة (15) فإن هذه نصيحة القرآن « فمن يعمل مثقال ذرّة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرّة شرّا يره » (16) فسترى جميع أعمالك ذرّة ذرّة . وفي الخبر أنّ ساعات الليل والنهار تعرض على كلّ عبد (17) بصورة أربعة وعشرين خزينة ، فيجد خزينة مليئة بالضياء والنور فهذه هي ساعة الطاعة والعبادة ، فيدخل في قلبه منها أفـراح تكون الجنّة (18) عندها حقيرة . وذلك أثر رضى الحق تعالى (19) .

ويعرضون عليـه خـزانـة أخـرى ، خاليـة ، وهـي سـاعـة الغفلـة والمنـام والاشتغال بالمباحـات (20) ، فيـدخـل في قلبه منها الحسرة والغبن بـدون حدّ لأنّ هـذه الساعة لم تكن كالأولى . فيعرضون عليه أخرى مليئة بالظلام وتلك ساعة المعصية فيستولي عليه هـول وفزع ، ويتمنّى لولـم يخلق أبدا .

يا أيها الملك هيأت لهذه الدنيا كثيرا من الجيوش والخزائن ، فاعمـل للآخرة ايضا على قـدر مقامها ومدّتها . فالدنيا مقدارها معلوم ـ وقـد لايبقـى منهـا غيـر ايـام وانفـاس قليلة ولكن الآخرة لانهاية لها ، بحيث لو ملئت السموات والارضون السبع من حبة الدُخن (21) وأمـر

11) في (ج) وإلى الناطق ماذا يقول بلسان المقال .
12) سقط من (أ) و (ب) .
13) في (ج) وطغرل بيك رحمهم الله يقولون وينادون .
14) في (ج) لن نشبع ليلة ابدا . وما بين الهلالين غير موجود فيها .
15) في (ج) كما تعرض عليك اعمالك .
16) القرآن الكريم سورة الزلزلة الآية 6 .
17) في (ج) بزيادة : حتى يرى اعماله .
18) في (ج) الجنان الثمانية .
19) في (ج) الحق عز وجل .
20) في الأصل الحاجات .
21) في الأصل « كاورس » وهي حبة تأكلها الطيور .

طير بالالتقاط منها في كل ألف سنة حبّة ، فتنفد ولا ينفد من الأبد شيْ . فالخزانة يجب أن تكون بمقدار المدّة ، كما أن نزل (22) المنزل الذي يكون المقام فيه ليلة واحدة أقلّ منه بالنسبة لمنزل تقطن فيه . واعلم أن ما من عبد الا وهو مارّ على جهنم (23) من ساعة إلى سبعة آلاف سنة (24) (وآخر واحد يخرجونه منها يكون من بعد سبعة الآف سنة) (25) ، وهذا لمن توفى مع سلامة الإيمان ، وليس هذا بسهل . وفي الخبر : إنّ شجرة الإيمان تروى من الطاعة ، واصلها من العدل ورسوخها بدوام ذكر الحق تعالى.واذا لم يربّ بهذه التربيّة فسيقع في سكرات موت لانهاية لها . اقبل مني وصيّة واحدة : اجعل كلمة « لا اله الاّ الله » ورد لسانك بحيث لايسمعها غيرك ، واذكرها وان كنت في الصيد أوعلى العرش أوفي الخلوة ، فلا تنقطع عنك ساعة واحدة ، فإن الإيمان يرسخ بها (26) . فإنك وان تخلّصت من عذاب الآخرة لن تتخلص من سؤال يوم القيامة « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيّته » (27) فإذا أوقفوك في مقام المؤاخذة والسؤال وقالوا لك : ماذا فعلت بعبادنا والذاكرين لكلمة « لا اله الاّ الله » الذين جعلناهم رعيّتك وأعطيناك عدة مواش (28) فاهتممت بها حتى خصصت لها كل رحبة (معلفة) خصبة . وغفلت عن عبادنا ، ولماذا قدمت حرمة مواشيك على أعزّتنا ؟ وقد قلنا إنّ حرمة المؤمن عندنا أعظم من الكعبة ، فما عندك من الجواب على هذا السؤال ؟ . وكانت سيرة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) (29) أنّه ضلّ بعير درويش في ليلة ظلماء فكان يبحث عنه حافي القدمين يقول لو ترك جمل أشقر (30) على ضفة الفرات ولم يطلأ بالدهن لكنت أنا المسؤول عنه (31) يوم القيامة ، فرآه (32) أحد الصحابة في المنام وذلك بعد اثنتي عشرة سنة مغتسلا ولابسا اللباس الأبيض كمن تفرغ من عمل في زمانه ، فقال له : (يا أمير المؤمنين) (33) ما فعل الله بك ؟ قال : حتى الآن كنت في الحساب وكان عمل العمر كثير الخطر لولا انّ الله كان كريما . فهذا حال اعدل الناس فقس عليه حالك .

---

22) نزل ـ بضم الاول وسكون الثاني ، وبضمهما ، وبفتحهما . ما يدفع ثمنا للاقامة في منزل .

23) اشارة إلى الآية الكريمة (وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقتضيا) سورة مريم الآية 71 .

24) في (ج) في ساعة تعادل سبعة آلاف سنة .

25) سقط من (ج) .

26) في (ج) بزيادة : بهذا الذكر الدائم .

27) حديث شريف.انظر فهرس الاحاديث .

28) في (أ) بعض الخيل .

29) سقط من (ج) .

30) في (أ) لو ترك جربا ، وفي (ج) لو ترك جملا .

31) في (ج) رضي الله عنه .

32) في (ج) عنهما .

33) سقط من (ج) .

وبالجملة فإنّ طريق النصيحة طويل ولكن على الملوك وملك الإسلام قصير سأضع أمامك لوحا مكتوبا فانظر فيه ، هذه سيرة أبيك ملكشاه ضعها أمامك . فإذا قالوا لك : إن أباك كان يأخذ من فلان عشرة دراهم فخذ أنت عشرة دراهم ونصف ، قل : لماذا آخذ هذه الزيادة ألأنه كان يخاف الله تعالى وأنا لا أخافه ! أوكان عاقلا يحب السيرة الحسنة ورضى الرعية وأنا لست بعاقل ؟ واذا قالوا بأن في ولايتك يهوديًا فأخرجه من الولاية فقل : أين ؟

كان هذا في أيام أبي ؟ فإن قالوا : في ولاية أبيك ، فقل : لماذا أهدّم قاعدة أسّسها أبي ؟ واعلم أن من هدم قاعدة أبيه وسيرته فهو عاق ، والعاقّ لايدخُل الجنّة (ولايشم رائحة الجنّة) (34) ولو أن رائحتها تشمّ من طريق خمسمائة ألف سنة ، (فمن دعاك إلى العقوق فهو عدوك)(35). أيها الملك أدّ الشكر لله تعالى لنعمه عليك ؛ فإنّ النعم أربع (36) : الإيمان والاعتقاد الصحيح ، والوجه الحسن ، والخلق الحسن ، والعمل الحسن ، فهذه النعمة الاخيرة تكون باختيارك أنت وأما تلك الثلاث (37) فهدية من الله تعالى ، فبما انّ الله لم يبخل عليك بتلك الثلاث (38) أنت أيضا لاتقصّر في هذه الرابعة (39) وإلاّ فتفسد الثلاث (40) لأنك ما أديت شكر النعمة .

أيها الأمراء القائمون على الدولة الجديدة ، اذا أردتم ان تستمر الدولة وتبقى مباركة لابدّ أن تميّزوا الدولة من عدمها ، وتعلموا بانّه ليس لكم ملك واحد ، بل الملك اثنان : الأول ملك خراسان ، والثاني ملك السماء والارض الذي هو له ولكم ، فغداً يوم القيامة تقفون معا للحساب فيقال لكم : كيف أدّيتم حقّ النعمة فإنّ قلوب الملوك خزائن الله تعالى ؛ لأنّ كل ما يستحدثه في عالم الثرى من الرحمة والعقوبة ، هو بواسطة قلوب الملوك ، ويقولون سلمنّا المال لكم وجعلنا لسانكم مفتاحا فهل أدّيتم أمانة الخزانة او خنتم الأمانة ؟

فكلّ من حجب على الملك حال مظلوم واحد فقد خان الخزانة ، فاصغوا ، واعتبروا ان الدولة فانية وعار الخيانة ليوم القيامة باقٍ .

---

34) سقط من (أ) و (ب) .
35) سقط من (ج) .
36) في (ج) خمسة .
37) في (ج) الاربعة .
38) في (ج) الاربعة .
39) في (ج) الخامسة .
40) في (ج) الاربعة .

فجئنا إلى عرض الحاجة . والحاجة اثنتان عامة وخاصة.(فالحاجة) العامة انّ أهل طوس في أزمة شديدة ، مشردون (ومصابون في الظلم والقصمة (41) وكل ما كان من الزرع والقمح ذهب هباء من الجفاف والبرد كما يبست كلّ الاشجار المثمر منذ مائة سنة ، فارحمهم يرحمك الله تعالى فقد انقصمت ظهور المؤمنين (42) وانحنت أعناقهم من البلاء ومحنة الجوع ، فماذا يكون اذا خففت من ثقل أطواق الذهب التي في أعناق مواشيك ؟ .

وأما الحاجة الخاصّة فهي أنني أعرضت عن الخلق وجلست في زوايتي اثنتي عشرة سنة ثم ألزمني « فخر الملك » رحمة الله عليه للمجئ إلى نيسابور ، فقلت له : ان هذه الأيام لتحمل كلامي ، فانّ كلّ من ينطق بكلمة حقّ في هذه الأيام تعاديه حتّى الأبواب والجدران ، وأنا سلمت الدنيا لأهلها ، فقال لي : إن الملك عادل وأقوم أنا بنصرتك ، فاليوم انتهى الأمر إلى حدّ : أنّي أسمع مقولات لو رأيتها في المنام لقلت « اضغاث احلام » ، فأما ما يتعلق بالعلوم العقلية فليس بعجيب اذا اعترض أحد عليها لأن في كلامي الكثير من الغرابة والعسير على الادراك ، ولكنّي حاضر لشرح وإثبات ما قلت لكل من كان في العالم ، ومن السهل عليّ إثبات الحجة . وأما ما قيل من طعني في الامام أبي حنيفة ـ رحمة الله عليه ـ (43) فلا أتحمّله « بالله الطالب الغالب المدرك المهلك (44) الحيّ الذي لا اله الاّ هو» بأن اعتقادي في أبي حنيفة ـ رحمة الله عليه ـ أنه كان أكثر غوصا من أمة المصطفى ـ صلىّ الله عليه ـ (45) فكلّ من حكى شيئاً غير هذا من عقيدتي أوخطّي او لفظي فهو كاذب (46) ؛ والمقصود ان يوضح الحال (47) وان تعفوني من التدريس في نسابور وطوس حتى أعود إلى زاويتي الآمنة فإنّ الأيام لاتتحمل كلامي (والسلام) (48) .

---

41) سقط من (ج) وجاء في الاصل : القسمة بالسين ، والاصح ان تكون القصمة بالصاد .

42) في (ج) ظهور المسلمين .

43) في (ج) رضي الله عنه .

44) في (ج) الضار النافع .

45) في (ج) ان ابا حنيفة باخص امة المصطفى في حقائق المعاني والفقه .

46) في (ج) وعقيدتي هي ما شرحتها في اول سيرة العلماء من كتاب الاحياء .

47) في (ج) ان يوضح الكلمة .

48) سقط من (ج) .

فلمّا ألقى (1) هذا الفصل من الكلام . فكان جواب ملك الإسلام : كان من الضرورة لنا حضور جميع علماء العراق وخراسان ليسمعوا كلامك ويعلموا اعتقادك ، فالملتمس حاليّاً ان تكتب ما قلته بخطك حتى يقرأ علينا ونأمر بإرسال نسخ منه إلى اطراف العالم لأن خبر مجيئك الينا قد شاع واشتهر في العالم ، حتّى يعلم الناس اعتقادنا بالعلماء . وأمّا اعفاؤك مد التدريس فغير ممكن . وكان « فخر الملك » من المخلصين الينا حيث استدعاك إلى نيسابور ونحن سنبني لك المدارس ونأمر بحضور جميع العلماء (2) والمجيئ اليك في كلّ سنة مرّة ليتعلّموا كلّ ما خفي عنهم ، واذا كان من يخالفك : فلتكسر شكيمته (3) بأنّ تحلّ إشكاله » .

1) في (ج) الامـام محمّد الغزالي .
2) في (ج) جميع علماء الإسلام .
3) في (ج) بقلع الضـرس .

(فصـــــل) (1)

لما طلب منه ملك الإسلام كتابة هذا الفصل بخطه . جاء حجة الإسلام من المعسكر إلى المدينة (2) فاستقبله جميع أهل طوس واحتفلوا ذلك اليوم احتفالا عظيما باذلين فيه الكثير من الخيرات . فكتب حجة الإسلام هذا الفصل بخطه وبعثه اليه فأمر ملك الإسلام أن يقرأوه عليه في كلّ وقت . فلمّا ذهب ملك الإسلام إلى الصيّد بعث صيدا لحجة الإسلام تكريما له (3) فصنف حجة الإسلام كتاب « نصيحة الملوك » (4) في مقابل ذلك وبعثه اليه.وهو كتاب بليغ في أنواع النصيحة والتحريض على العدل والانصاف . وكتب حجة الإسلام بخطه على ظهر جزء منه : فصل في نصيحة ملك الإسلام على هذا الموجب .

1) سقط من (ج) .
2) في (ج) جاء من المعسكر إلى مدينة طوس .
3) في (أ) و (ب) تقربا لايامه .
4) انظر التعاليق آخر الكتاب ص : 157 ت رقم 14 .

(فصـــل) (1)

اتفق في شهور سنة تسع وتسعين وأربعمائة [499/1106] أن كلّفوا كاتب هذه الأحرف « الغزّالي » بعد ما انعزل ولازم الزاوية اثنتي عشرة سنة بالذهاب إلى نيسابور والاشتغال بإفاضة العلم ونشر الشريعة ، فإنّ نشاط العلم قد أخذه الوهن والفتور ، وقد قامت قلوب الأعزّة وأرباب القلوب وأهل البصيرة بتأييد هذا الطلب ، وقد نبّهت في اليقظة والمنام بأنّ هذه الحركة مبدأ الخيرات وسبب لإحياء العلم والشريعة (2) . فلما استجبت الدعوة واستمرّ عمل التدريس ناشطا وأخذ طلبة العلم من أطراف العالم يفدون ، هاج حسد الحسّاد ولم يجدوا أي طعن مقبول غير أنّهم لبسوا الحق بالباطل وغيّروا كلمات من كتاب « المنقذ من الضلال » (3) » وكتاب « مشكاة الأنوار » وأدخلوا فيها كلمات كفر وأرسلوا اليّ حتى أكتب على ظهرهما « خطّ الإجازة » ولكن الله سبحانه وتعالى قد ألهمني بفضله وكرمه حتّى طالعت ووقفت على تلبيسهم ، واطلع رئيس خراسان (4) على هذه الحالة وأمر بحبس ذلك المزّور ، وأخيرا نفاه عن نيسابور (5) ، فذهب إلى المعسكر عند ملك الإسلام وأطال لسان الطعن ، وقد عجز عنه ، ثم أخذ تعليقا صنفته في أيام الصغر مكتوبا على ظهره « المنخول من تعليق الأصول » وقد زاد عليه جماعة بحكم الحسد من قبل ثلاثين سنة بكلمات (تطعن في الإمام) « أبي حنيفة » . لكن جماعة من أهل الدين أخذوا يثنون على هذا الداعي ، وشرحوا الحال عند ملك الإسلام وبالغوا بحيث قال ملك الإسلام : تمنّينا أن نراه ونسمع كلامه ونتبرك بدعائه ، ففي هذا الوقت (6) بحكم الاشارة إلى « مشهد » بُلِّغْتُ بأن له رغبة في زيارتي ، فذهبت إلى المعسكر « تروغ » إلى عرش الملك وقبلت دعوته فكان الأمر أن أكتب بخطّي ما مرّ من مقالتي ، فامتثالا للأمر أثبتّ ما ألقيته .

---

1) في خصوص هذا الفصل يقول الاستاذ همائي : أظن أن هذا الفصل كان في الأصل مقدمة لكتاب نصيحة الملوك ، ثم وقع في ضمن مكاتيب الغزالي . (جلال الدين همائي : غزالي نامه ص 195) .

3) انظر التعاليق ص : 157 ت رقم 16 .

4) في (ج) واطلع عميد خراسان .

5) في (ج) وفي الآخر فرّ من نيسابور .

6) في (ج) ففي ذلك الوقت .

فصـــل (1)

فلمّا جاء حجة الإسلام ـ رحمة الله عليه ـ معززا مكرّما إلى طوس وخجل المتعنتون وتشاوروا ، فأتى اليه جماعة طوس وكان جالسا في الخانقاه (2) فسألوه (3) أنت على مذهب من ؟ قال : أمّا في المعقولات فعلى مذهب البرهان ، وما يقتضيه دليل العقل . وأمّا في الشرعيات فعلى مذهب القرآن ، ولا أقلّد أحدا من الأئمة ، فلا للشافعي عليّ خطّ ولا لأبي حنيفة عليّ سند .

فلمّا سمعوا منه هذا الكلام لم يبق لهم مجال للانتقاد فقاموا وذهبوا ، فكتبوا عدّة مقاطع من كتبه كانت محلاّ للاعتراض وأرسلوها لحجة الإسلام ، فكتب حجة الإسلام الاجوبة بالبداهة (4) وهذه هي الأسئلة والأجوبة .

(السؤال) (5) :

ماذا يقول إمام الأئمّة حجة الإسلام في جواب الذين يعترضون على بعض أقواله المندرجة في كتاب « المشكاة » (6) و « الكيمياء » (7) مثل هذا الكلام : « لا اله الاّ الله توحيد العوام ولا هو الاّ هو توحيد الخواص » ؟

وهذا الكلام : النور الحقيقي هو الله ؟

وهذا الكلام : « ان روح الإنسان في هذا العالم غريب وهو من العالم العلوي وشوقه إلى ذلك العالم » ، فإنّ هذا كلام الفلاسفة (8) وأمثال هذا مما يحتاج إلى الشرح ، حتى ينقطع اعتراض المتعنّتين (9) ويظهر معنى هذا الكلام .

(الجـــواب) (10) :

---

1) هذا الفصل من انشاء جامع فضائل الانام .
2) في (ج) زيادة : وقالوا لنا : سؤال اذا سمحت سألنا ، فأمرهم حجة الإسلام بالسؤال ...
3) انظر التعاليق آخر الكتاب ص : 158 ت رقم 17 .
4) في (ج) زيادة : وارسلها لهم .
5) سقط من (ج) .
6) في (ج) في كتاب مشكاة الأنوار .
7) انظر التعاليق آخر الكتاب ص : 159 ت رقم 18 .
8) في (ج) كلام الفلاسفة والنصارى .
9) في (ج) اعتراض المتعنتين .
10) سقط من (أ) و (ب) .

اعلم أنّ السؤال عن المشكلات هو استعراض مرض القلب وعلّته على الطبيب . والجواب هو السعي في شفاء المريض ، والجهّال هم المرضى « في قلوبهم مرض » (11) ، والعلماء هم الأطباء ولايصحّ التطبيب من العالم الناقص ، والعالم الكامل لايعالج إلاّ اذا كان أمل الشفاء ظاهرا ، فإذا كانت العلّة مزمنة والمريض بلا عقل فمهارة الطبيب في أن يقول : ان هذا المريض لايقبل العلاج ، والاشتغال بمعالجته ليس الاّ تضييعا للوقت .

وهذا المريض أربعة (12) : واحد منها يقبل العلاج ، وأما الثلاثة الباقية فلا .

المريض الأول : من كان اعتراضه من الحسد ، والحسد مرض مزمن ولا طريق لعلاجه ، فكلّ جواب لاعتراضه مهما كان أوضح وأحسن يزيد في غضبه ويشعل نار الحسد في قلبه ، فلا بدّ ان لايشتغل بجوابه .

(كما قال الشاعر) (13) :

كلّ العداوة قد ترجى (14) إماتتها (15) إلاّ عداوة من عاداك من حسد

فتدبيره أن يترك مع علّته وأن يعرض عنه «فأعرض عمّن تولّى عن ذكرنا ولم يرد الاّ الحياة الدنيا » (16) والحسود بكل ما يقول يوقد النار في حصاد مزرعته « فالحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » فهو يستوجب الرحمة لا الخصومة (17) . ثم يعترض على من صرف العمر في العلوم العقلية .

المريض الثاني : من كانت علّته من الحماقة وعدم العقل ، وهذا أيضا لايقبل العلاج ، فإنّ عيسى ـ عليه السلام ـ أحيا الميت وعجز عن معالجة الأحمق ، فهذا من لم يصرف العمر في العلوم

---

11) القرآن الكريم سورة البقرة الآية 10 .

12) في (ج) ومرض الجهل على أربعة .

13) سقط من (ج) .

14) في (ج) قد يرجى .

15) جاء هذا البيت في كتاب فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة من مؤلفات الغزالي : كل العداوة قد ترجى سلامتها

16) القرآن الكريم سورة النجم الآية 29 .

17) في (ج) لا الخصومة والمجادلة .

العقليّة ثم يعترض على من صرف العمر فيها ، فلا يعلم هذا المدبّر (18) بأنّ الاعتراض الذي ظهر على العامي قد ظهر أيضا على العالم ، فهذا كلام له غور عرفه العالم وجهله العامي .

وجميع الفقهاء (والادباء والمفسّرين) (19) والمحدّثين والمشتغلين بانواع العلوم عوام في العلوم العقليّة ، وأكثر المتكلمين كذلك فإنّهم درسوا ظاهرا من علم الكلام ولم يعرفوا غوره وحقيقته ، فاعتراض هؤلاء القوم اذاً لا يستحق الالتفات ، فكيف يستحق الجواب اعتراض الذين لم يخوضوا في (20) علم ابدا ؟ ! . وقصة موسى والخضر- عليهما السلام - (21) في القرآن(22) تنبيه على هذه الدقيقة ، فإنّه لو خرق السفينة أحد من العوام لاستوجب الاعتراض ، وأمّا اذا خرقها العالم الكامل فلا يمكن الاعتراض عليه ، فإنّ الكلّ يعرف وجوب حفظ مال الأيتام . فالعالم ايضا يعلم هذا ومع علمه خرق السفينة فلا بدّ أنّه يعرف وراء ذلك شيئاً يكون هذا الفعل بالإضافة إلى ذلك فعلا غير منكر . بل معرفة الحقّ تعالى ومعرفة حضرة الربوبيّة وملكوت السموات والارض ليست بأقلّ من معرفة النسج ، فلو أن أحدا قرأ جميع العلوم على وجه الارض وتعلم جميع الصناعات ولكنّه لم يسع لتعلم النسج والحياكة ، فلا يحق له أن يعترض على النسّاج ، واذا تعب في تعليمه فلا يحق له أن ينكره (23) على من هو أعلم منه ، بل كلّما يظهر له منكرا يحمله على قصور فهمه ، فحيث لم يكن له هذا المقدار من العقل فلا بدّ أن يعرض عنه دون الاشتغال بجوابه .

المريض الثالث : المسترشد الذي يحمل كلّ ما لايفهمه على قصور فهمه وعقله ولايكون معترضا بل يكون طالبا للعلم وسؤاله للاسترشاد (ولكنّه بليد) (24) وفهمه عن إدراك دقائق العلوم قاصر ، فهذا ايضا لايشتغل بجوابه . قال النبي - صلى الله عليه وسلم - (25) « نحن معاشر الانبياء أمرنا أن نكلّم الناس (26) على قدر عقولهم » فليس معنى هذا أن يكلّموهم على خلاف الواقع ولكن معناه أن يكلّموهم على مقدار ما يطيقون فهمه وما لايطيقون فهمه فلا

---

18) في (ج) فلا يعلم هذا المقدار .

19) سقط من (ج) .

20) في (ج) أي علم ابدا .

21) في (ج) صلاة الله وسلامه عليهما .

22) قال تعالى : (قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا - إلى - ذلك تاويل ما لم تسطع عليه صبرا) الآيات المباركات 60 - 82 سورة الكهف .

23) سقط من (ج) .

24) في (ج) صلى الله عليه وآله وسلم .

25) في (ج) ان نكلم الناس .

26) من الآية 11 : القرآن الكريم سورة الاحقاف .

يقولونه . وينبّهون بأنّ ذلك ليس من عملهم فإنّه إذا قيل لم يزد إلاّ إنكارا وتكذيبا « وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم » بل كذبّوا بما لم يحيطوا بعلمه »(27) إشارة لهؤلاء القوم .

المريض الرابع : هو المسترشد والفطن والذكي ، والعقل غالب عليه ، يعني أنّه لم يكن مغلوبا للغضب والشهوة وحبّ الجاه والمال ، فهذا المرض (28) قابل للعلاج ولأجله ستأتي هذه الاجوبة إن شاء الله تعالى . فإذا رأيت أحدا لم يحصل شفاؤه من هذا الجواب فلا تعجب فإنّه من الثلاثة الأولين . وأكثر الخلق من هؤلاء الثلاثة ، وامّا الذي من الرابعة فعزيز ونادر .

المسألة الاولى : سألت : ما معنى كلمة « لا اله الاّ الله » توحيد العوام « ولا هوالاّ هو» توحيد الخواص . وعليها اعتراضان :

الأول أنّه طعن في كلمة « لا إله إلاّ الله » وإشارة نقصانها وكيف هذا وهي سبب سعادة جميع الخلق وقاعدة جميع الملل وأصلها .

الثاني : أن « لا هوالاّ هو» يظهر متناقضا لأن المستثنى هوعين المستثنى منه وكيف يمكن أن يكون شيئا هوالمستثنى والمستثنى منه ؟ .

اعلم ان الاعتراض الأول الذي ظننت بأنّ هذا الكلام في معرض الطعن والنقص في كلمة « لاإله الاّ الله » خطأ ، بل معناه أنّ مجرّد معنى كلمة « لا إله الاّ الله » عامّة ويشترك فيها الناقص والكامل والعام والخاصّ بل اليهود والنصارى ، والنصارى حين يقولون « ثالث ثلاثة » لايقصدون بأنّ الله ثلاثة بل يقولون : إنّ الله واحد بذاته وثلاثة باعتبار صفاته وهذا لفظ قولهم : « واحد بالجوهر وثلاثة بالاقنومية » (29) يقصدون من الاقنوم الصفات ، وأمّا « لا هوالاّ هو » فمعنى « لا إله الاّ الله » بتمامه مضمر فيه ولكن فيه زيادة ولا يعلم تلك الزيادة ولا يصل اليها الاّ الخواص وليست على قدر عقل العوام ، وامّا كلمة « لا إله الاّ الله » فيفهمها جميع العوام . فإذا عرفت بأنّ معنى هذا الكلام هو اختلاف درجات التوحيد :

فاعلم أن للتوحيد درجات ، وله ظاهر يدركه الجميع . وهذا كقشر له . وله حقيقة هي كاللّب ، ولهذا اللّب لبّ آخر ، يمكن تشبيهه بالجوز فإنّ له قشرا ولقشره قشرا وله لبّ وللبّه لبّ وذلك الدهن . فإذا أردت أن تعلم تفاوت درجات التوحيد ، فاعلم بأنّ أولى درجاته قول « لا إله الاّ الله » باللسان دون اعتقاد القلب ، وكلّ المنافقين يشتركون في ذلك ، ولهذا التوحيد ايضا حرمة ، فإنّ سعادة هذا العالم تحصل به ويعصم ماله ودمه ، ويأمن أهله وأولاده .

---

27) الآية 39 : القرآن الكريم سورة يونس . وفي (ج) ولا يأتيهم تاويله) ، وهوخطأ .

28) في (ج) فهذا المريض .

29) انظر : التعاليق آخر الكتاب ص : 159 ت رقم 19

الدرجة الثانية (30) : اعتقاد معنى هذه الكلمة على سبيل التقليد دون المعرفة الحقيقية فجميع عوام الخلق قد انتهوا إلى هذه الدرجة ، بل اليهود والنصارى يشتركون فيها . وحيث كانت هذه أقرب إلى التحقيق تكون من ثمرتها (أمن) (31) كلا العالمين . وحيث إن تصديق جميع الأنبياء جعلهم في هذه الدرجة فهم من أهل النجاة في هذا العالم ، ولو أنّهم لم ينتهوا إلى كمال سعادة أهل المعرفة .

الدرجة الثالثة (32) : هي أن تكشف معنى هذه الكلمة ببرهان محقّق حتّى يعرفها ، كمن يعرف ببرهان الحساب أن عدد الثلاث عشرة ثلث عدد تسعة وثلاثين ، فيعلم وحدانيّة الله تعالى بهذه الصورة ، لاكمن لايعرف الحساب بشخصه ولكن سمع بأن عدد الثلاث عشرة ثلث تسعة وثلاثين واعتقد به وصدّقه تقليدا . فهذه الدرجات الثلاث متفاوتة .

فالأولى : صاحب مقالة ، والثانية : صاحب عقيدة ، والثالثة : صاحب معرفة وليس أحد من هذه الثلاث صاحب حالة (33) ، وأرباب الحالة غير أرباب المعارف والأقوال .

الدرجة الرابعة : ان يكون مع المعرفة صاحب حالة بان لايكون له معبود إلاّ واحد . وكلّ من غلب عليه هواه فمعبوده هواه . « أفرأيت من اتخذ الهه هواه » (34) . وكلّ شيْ يعبدونه ويبقون في قيده فهم عبّاد ذلك الشيْ ، ولذلك يقال (35) فلان عبد البغال وفلان عبد البطن . وقال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ (36) « تعس عبد الدرهم وتعس عبد الدينار » فسمّاهم عبيدا ، لأنّهم عبيد لما يطلبون ، فكلّ من كان هواه وشهوته بيده ويكون تحت طاعة الحق وأمره فكلمة « لا إله الاّ الله » منه صدق ، واذا لم يكن كذلك فهو محروم من مقصود هذه الكلمة ونصيبه منها قول اللسان وتفكير القلب ، ولو ان هذه الكلمة صدق الا انه هو كاذب . قال النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ (37) : « لايزال لا إله الاّ الله دافعا عن الخلق عذاب الله ما لم يؤثروا صفقة دنياهم على صفقة دينهم » فإذا آثروا ثم قالوا لا إله الاّ الله قال الله تعالى « كذبتم لستم صادقين فيها » .

30) في (ج) الدرجة الثانية من التوحيد .

31) سقط من (ج) .

32) في (ج) الدرجة الثالثة من التوحيد .

33) الحال عند المتصوفة : معنى يرد على القلب من غير تصنع ولا اجتلاب ولا اكتساب ، من طرب او حزن اوقبض أو بسط . ويزول الحال بظهور صفات النفس ، فإذا دام وصار ملكا يسمّى مقاما . فالاحوال مواهب والمقامات مكاسب ؛ فالاولى تاتي من عين الجود ، والثانية ببذل المجهود .

34) القرآن الكريم سورة الجاثية الآية 23 .

35) في (ج) يقولون .

36) في (ج) صلى الله عليه وآله .

37) في (ج) صلى الله عليه وآله وسلم .

فهذا الشخص ولو أنّه يلفظ هذه الكلمة ويعلم معناها ، ولكن وجه قلبه إلى الدنيا وشهواتها وليس في كامل احواله مطيعا لأمر الله . فإنّه كاذب في هذه الكلمة بل اوّل كذبه قيامه إلى الصلاة وقوله « الله أكبر » يقولون له : لاتكذب ، إذاكان الله عزّ وجلّ في قلبك هو الأكبر لكنت تطيعه ولاتطيع الشيطان ولا الدنيا وشهواتها . وحين يقول : « وجهت وجهي الذي فطر السموات والأرض (38) ، يقولون له : لاتكذب ، إنك إن أردت بوجهك الظاهر لم تكن مولّيا وجهك اليه لأنّ (الله) ليس في هذه الجهة ، (بل إنّه غير محدود في جهة) (39) وإذا كنت قصدت وجه قلبك فإنّه ايضا بكامله متوجه إلى الدنا والجاه والمال والشهوات ، لماذا تكذب مع من يعلم سرّك ويعلم أن وجه قلبك بأيّ جانب هو ؟ . وحين يقول « اياك نعبد » (40) يكذّبونه أيضا ويقولون : أنت (41) « عبد الدرهم والدينار وعبد الجاه والابهة فإيّاه تعبد » فليست العبادة ما تقوله بلسانك ، بل معبودك هو الذي تكون أنت عبده ، فهذا الرجل من أهل « لا إله الاّ الله » ولكن حاله ودرجته هذه ، فكيف يعادل هذا مع الذي ألجم جميع شهواته بلجام التقوى ولم يفعل سوى ما يوافق أمر الله تعالى .

اعلم أنّ مثال التوحيد والمعرفة كالمسهل ، الغرض منه تنظيف الداخل من الأخلاط ، فإذا أكل المسهل ولم يفعل عمله لم يحصل الشفاء والسلامة ، بل يحتمل فيه خطر الهلاك فإنّ مسهل التوحيد إذا نزل في القلب ولم يهدم غلبة الهواء والشهوة ، ولم يقلب الشهوة التي كانت أميرا عليك أسيرا لك فحينئذ يكون كالمسهل الذي لم يفعل فعله ، فهذا الشخص كيف يقابل من أخرجه التوحيد من جميع القيود وجعله صاحب صفة واحدة وهمّة واحدة ومعبود واحد ، وكلاهما من جملة أهل « لا إله الاّ الله » ولكن ما بينهما كما بين السماء والأرض .

الدرجة الخامسة : (42) ما لم يقتصر مسهل التوحيد في باطنه في الغلبة على الشهوة وجعله الهواء متبعا ، بل قضى على الهواء والشهوة بالكليّة ، بحيث لم يكن يتبع الشهوة في أيّ عمل لا في ما يوافق الشرع ولا في ما يخالفه ، بل يصبح صاحب عزم وهمّة واحدة بحيث « لا يتحرك الاّ لله ولا يسكن الاّ لله ولا يتكلّم الاّ لله » فهذا الرجل اذا أكل شيئاً (43) لايأكله ليستلذ من لذة الطعام

---

38) القرآن الكريم سورة الانعام الآية 79 . وفي (ج) (وجهت وجهي لله فاطر السموات) وهو خطأ .

39) سقط من (ج) .

40) القرآن الكريم سورة الفاتحة الآية 4 .

41) في (ج) ويقولون : هذا عبد الدرهم وعبد الدينار . انظر فهرس الاحاديث .

42) في (ج) الدرجة الخامسة من التوحيد .

43) في (ج) إذا أكل الخبز .

ولكن يأكله للضرورة وبمقدارها ليتقوى به على الطاعة والعبادة ، واذا ذهب لقضاء الحاجة (44) فذلك للتفرغ للعبادة حتى يذهب بالمانع عن نفسه ، ولا فرق بين إيصال الطعام إلى المعدة أوإخراجه عنها . بل يفعلهما ضرورة للتفرغ والقوة على العبادة ، وإذا نام لاينام ليستريح بل ليجدّد قواه للعبادة ، وإذا نكح لاينكح للشهوة ولكن يفعله رعاية للسنة وتكثيرا للأمة حتى يباهي بهم المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ (45) . فجميع أحواله تكون هكذا : إذا قال أو سمع أوأخذ (46) فكلّها للحقّ تعالى ، والفرق بين هذه الدرجة والدرجة الرابعة كبير ، لأنّ التوحيد يخرج ذلك الرجل من يد الشهوات التي تخالف الشرع ، وأما هذا فقد أخرجه مطلقا من جميع الشهوات .

الدرجة السادسة : هي ما أخرج التوحيد صاحبه من يده بالكليّة ويخرجه مما في العالم (47) بل وأخرجه من يد الآخرة (48) كما أخرجه من قيود الدنيا فلم يبق له الاّ الحقّ تعالى ، وينسى نفسه ولا يذكر سوى الحق تعالى ، فيغيب عنه الجميع ويغيب عن الجميع فلا يبقى لا هو ولا العالم فيبقى الحق (49) فقط ، ويكون حاله : « قل الله ثم ذرهم » (الآية) ، ويكون نقد وقته : « كلّ شيءٌ هالك الاّ وجهه » (50) فأهل البصيرة يسمّون هذه الحالة : « الفناء في التوحيد » (51) لأن مَن غير الحق يكونُ فانيا من الجميع (وفناؤه يكون فانيا من الفناء) (52) بمعنى أنّه إذا التفت إلى فنائه ، فهذا يشغله عن الحقّ تعالى . وكلّ من لم تكن له طاقة للفهم وإدراك هذا المعنى يظن انها هموم كبيرة ولكن كمال (53) التوحيد هوهذا ومصداق الحديث القدسي : « لايزال العبد يتقرب (54) إليّ بالنوافل حتى أحبّه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق بـه » .

44) بقصد التخلي .

45) في (ج) : تكثيرا لأمة محمّد المصطفى (ص) حتى يباهي بهم . وهذا ناظر إلى الحديث الشريف « تناكحوا ، تناسلوا فاني اباهي بكم الامم يوم القيامة » .

46) في (ج) بزيادة : اورأى .

47) كذا في الاصل .

48) في (ج) : من يد الآخرة ايضا .

49) في (ج) : الحق تعالى .

50) القرآن الكريم : الآية الاولى سورة الانعام من الآية 91 ، والثانية سورة القصص من الآية 88 .

51) انظر التعاليق آخر الكتاب ص : 159 ت رقم 20 ـ 21 ـ 22 .

52) سقط من (ج) .

53) في (ج) : ولكن كمال مراتب التوحيد .

54) في (ج) : متقربا الي .

فصاحب الدرجة الخامسة يكون مع نفسه ويقول بنفسه ويسمع بنفسه ويرى بنفسه ، ولكن للحقّ لا لنفسه وهواه ، وأمّا هذا الرجل فلم يكن مع نفسه ولا يرى بنفسه ولا يسمع ولا يقول ، ولكن يقول به ويسمع منه ويراه في كلّ ما ينظر ، بينما ذلك الرجل يرى كلّ شيْ ولكن يرى الله مع كل شيْ ويقول : « ما رأيت شيئاً الاّ ورأيت الله (55) معه » وهذا الرجل لايرى الاّ الله ويقول : « لاموجود إلاّ الله » .

فتوحيد الرجل الذي نفى معبودا غيره يكون جزءا لتوحيد الرجل الذي نفى موجودا غيره لأنّ في نفي الوجود نفي المعبود ، فكما ان جميع درجات التوحيد كانت منطوية وحاصلة في توحيد من نفى معبودا غيره ، فتوحيد هذا وجميع مراتب التوحيد حاصلة في طيّ توحيد من نفى وجودا غيره ؛ فأصبح صاحب الدرجة الخامسة من العامّة في مقابل هذا الاخير وهذا هو « خاص الخواص » ، وكما ان أرباب سائر درجات التوحيد كانوا من العوام عند صاحب الدرجة الخامسة وكمال درجة (56) التوحيد هي هذه الدرجة السادسة . وأرباب هذا المقام يظهر عليهم شبه سكر عند غلبة هذه الحالة عليهم ، وفي ذلك السكر يغلطون غلطين : الأول يظنون أنه قد حصل لهم اتصال . ويعبّرون عنه (57) « بالحلول » ؛ والآخر : يظنون أنّه قد حصل اتّحاد (58) فصار هو وكلاهما واحدا والذي يعلم أن الاتّحاد محال يظن انّه قد حصل الاتّصال ، فهذا قول صاحب ظنّ الاتّحاد حيث يقول : « أنا الحق وسبحاني » (59) واذا تبدّل السكر إلى الصحو ، عرف انه غلط ؛ حيث إن الحلول عرض على جوهر او جسم في باطن جسم مجوّف آخر وكلاهما على الحقّ تعالى محال ، واتّحاد الشيئين ايضا محال ولوكانا محدثين فاذا اتّحدا لايخلو الأمر من ثلاثة أحوال : إمّا كلاهما موجود ، فحينئذ ليسا متّحدين لأنّ كل واحد منهما موجود بوجوده ؛ وإمّا معدوم ، فحينئذ ليس لهما وجود فليسا بمتّحدين ، وإمّا أن يكون الواحد موجودا والآخر معدوما ، فليس هناك اتّحاد ايضا . فكمال التوحيد هوأن لايكون موجود إلاّ واحدا ، ولوانّه صحيح أيضا بأن لامعبود إلاّ واحد ، ولكن هذا يشمل هذه الاخيرة وغيرها ، وفيه زيادة (60) ولكن يبدو أنّ هذا محال وليس بمعقول لوجود السماء والأرض والملائكة والكواكب والشياطين وكلّ الموجودات ، فما معنى لاموجود الاّ الله تعالى ؟ (61) .

---

55) في (ج) : ورأيت الله عز وجل .

56) في (ج) : وكمال درجات التوحيد هي الدرجة السادسة .

57 ـ 58) انظر التعاليق آخر الكتاب ص : 159 ت رقم 20 ـ 21 ـ 22 .

59) في (ج) : انا الحق وسبحاني ما أعظم شاني . انظر التعاليق آخر الكتاب ص : 160 ت رقم 23 .

60) في (ج) : سؤال لعلك تقول . نعم ان فيها شمولا اكثر ولكنها محال وغير معقول .

61) في (ج) لاموجود الا واحد .

اسمع جواب هذا واعلم لوْ خرج ملك مع غلمانه إلى الصحراء في يوم عيد وأعطى لغلمانه الخيل وجهّزهم بأحسن تجهيز بمثل ما عليه ، فلو رآهم أحد وقال : هؤلاء كلّهم متساوون في التمكّن أوكلّهم متمكنون ، فكلامه صحيح وصدق عند من لايعرف سرّ الخبر . وامّا من يعرف سرّ الخبر فيقول : إنّ هذا الملك والنعمة ليسا غير عارية وسوف يؤخذان منهم من بعد صلاة العيد ويقول : لاغنّي إلاّ الملك ، فمقاله هذا في الحقيقة هو الصدق ، حيث إن إضافة العارية إلى المستعير أمر مجازي ، وفي الحقيقة المستعير هو الدرويش (62) والغني لاينقطع عن غناه بهذا المال المستعار منه .

اعلم (63) ان الوجود لكلّ الاشياء عارية (64) وليس من ذاتها بل من الحقّ تعالى . ووجود الحقّ تعالى ذاتي وليس يأتي من مكان آخر ، بل الوجود الحقيقيّ هو لاغير ، وسائر الاشياء (65) تبدو موجودة عند من لايعلم انها عارية . فمن عرف حقيقة الامور يظهر له « كل شئ هالك الاّ وجهه » (66) أزلا وأبدا لا أنه في وقت خاص يكون كذا ، بل جميع الاشياء في جميع الاوقات معدومة امام من كانت ذاته هي عين الوجود ، لأن نسبة الوجود والعدم إلى الأشياء ليست بذاتيّة بل من ذات الحقّ تعالى ، فهذا الوجود مجازي لاحقيقي وهذا الكلام : « لاموجود الاّ هو » صدق ، فلذلك يصحّ « لا هو الاّ هو » لأن هواشارة إلى موجود لاموجود غيره ، (فضمير) (67) هو لايصحّ الاّ في حقّه والاشارة لاتصحّ الاّ اليه فهذا معنى « لاهوالاّ هو » ، واذا لم يفهمه شخص فهو معذور ، اذ ان هذا المعنى ليس على قدر فهم كلّ أحد .

وسألت : (68) ما معنى « الله هو النور » لأن النور هوما كان له شعاع ضياء (69) ؟

اعلم : بأن معنى هذا معلوم في ذلك الكتاب . بحيث من تأمله ظهر له وادرك معناه ، واذا كان لايصحّ اطلاق النور الاّ على المحسوس (70) الذي له شعاع ، فلماذا أطلق الله تعالى كلمة

---

62) المقصود من كلمة الدرويش هنا هو المعدم والفقير .

63) في (ج) فالآن اعلم .

64) في (ج) مستعارة وليست من ذاتها .

65) في (ج) : وسائر الاشياء تكون العدم المتظاهر بالوجود وهو وجود عند ...

66) القرآن الكريم سورة القصص الآية 88 .

67) ما بين الهلالين سقط من (أ) و (ب) .

68) في (ج) بزيادة : مسالة أخرى .

69) في (ج) : شعاع وضياء .

70) في (أ) و (ب) : واذا ما كان النور الا المحسوس .

« النور » على القرآن والرسول ، كقوله : « وأنزلنا اليكم نورا مبينا » ، (71) فإنّ هذا ليس له أيّ معنى . وكذلك الآية « الله نور السموات والأرض » (72) .

فاعلم ان النور عبارة عما يرى وترى به الاشياء (73) ، وان هذه الاضافة بالعين الظاهرة التي يسمّونها « البصر » . وللقلب عين ولتلك العين نور يكون بصيرا باضافته كالنور مع العين الظاهرة ، ولهذا يقال للعقل نور (74) وللقرآن نور وللرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ نور ، كما يقال لقوة البصر نور ويقال للعقل نور لانه يمكن أن يرى بعين القلب وترى سائر الاشياء به ، وهوأيضا يرى شخصه ، فإطلاق اسم النور عليه أولى من اطلاقه على نور عين الظاهر . فقوة الإبصارتسمّى نورا لأنها ترى الاشياء مع أنها لاترى نفسها ، والعقل يرى نفسه ويرى سائر الأشياء فشعاع وضياء عين الظاهر شيْ وضياء عين الباطن شيْ آخر ، فالقرآن نور ، والرسول (عليه الصلاة والسلام) (75) نور بالاضافة إلى عين الباطن .

فكما يصحّ اطلاق النور على العقل ، وذلك لأنه يرى الاشياء فإطلاقه على ما يكون العقل والرؤية منه وكلّ عيون الظاهر والباطن منه وكل ظهور ونور في العالم منه فاطلاق هذا الاسم عليه أصدق ، فلمّا كان المعنى صحيحا وجاء هذا اللفظ في الكتاب والسنة فما المانع منه ، وجاء شرح هذا في كتاب « المشكاة » (76) أوفى من هذا .

فالاعتراض اذا كان على اللفظ فإنّ هذا اللفظ جاء في القرآن « الله نور السموات والأرض »(77) وجاء في الخبر : سألوا الرسول « عليه الصلاة والسلام » عن ليلة المعراج . هل رأيت الله ؟ قال : نورا رأيته . واذا كان الاعتراض على المعنى فهذا قد مرّ ذكره ، ولم يبق فيه شك والاعتراض بعد هذا جهل .

وسألت أيضا : ما معنى هذا الكلام : « ان روح الإنسان في هذا العالم غريب وشوقه إلى العالم العلوي » ؟ فإنّ هذا كلام الفلاسفة والنصارى .

اعلم بأن كلمة « لا إله الاّ الله عيسى روح الله » تقولها النصارى ومع ذلك هي كلمة حق ولا يبطل كلام الحق إذا قاله المبطل . وهذا من غاية الجهل اذا ظن أحد فيمن تكلّم مرّة بباطل انّه كلّما يقول مرّة اخرى سيكون باطلا . فإذا كان كذلك فالكفّار والمبتدعة قادرون

---

71) القرآن الكريم سورة النساء الآية 174 .

72) القرآن الكريم سورة النور الآية 35.

73) في (ج) : النور عبارة عما يرى وترى به الاشياء وهذه الاضافة بالعين الظاهرة .

74) في (ج) : يقولون للعقل نور .

75) في (ج) وللرسول صلى الله عليه .

76) انظر التعاليق آخر الكتاب ص : 156 ت رقم 7 .

77) القرآن الكريم سورة النور الآية 35 .

على الاعتراف بكل ما هو الحقّ الاّ بالذي يكفرون ويبتدعون ، فبذلك يعطّل كلّ حقّ (78) ولكن طريقة العقلاء هي كما قال امير المؤمنين علي (بن أبي طالب كرّم الله وجهه) (79) : « لاتعرف الحقّ بالرجال ، اعرف الحقّ تعرف أهله (80) .

فهذا الكلام : « انّ روح الإنسان غريب هنا ، واصله من الجنة ، وعمله مرافقة الملأ الأعلى ، ومقرّه وموطنه ذلك العالم الذي سمّى بالجنة وبالعالم العلوي » . فكلّ القرآن والكتاب دليل عليه ولا يبطل بإقرار فلسفيّ أو نصرانيّ ، وهذا ظاهر من الآيات والاخبار .

وأما على حسب البصيرة ، فكلّ من عرف حقيقة الروح علم ان خاصته معرفة الحضرة الالهيّة ، وهي غذاؤه ، وكلّ ما يخصّ هذا العالم فغريب عن ذاته وعارض عليه ، لابد أن يتفنى ، ولايبقى معه الاّ معرفة حضرة الربوبيّة (81) وهو حيّ بها وباق ومنعم (82) . وجاء شرح هذا في كتاب « الاحياء » ، « والكيمياء » و « جواهر القرآن » وسائر الكتب ، فكلّ من اراد أن يعلم فليتأمّل في هذه الكتب . ومن ينظر فيهما بعين العناد والتّعنت فلا تشفيه (83) ، فكيف يشفيه هذا المختصر ، ولا ينقطع لسانه العنود والحسود ، والالتفات اليه ليس بصحيح (84) ، واذا كان أحد طالبا لحقيقة هذا العلم ولم يحصل له من الكتب ولم يكن له استقلال الفهم فليأت وليقرأ ، « والعلم ما يؤخذ من افواه الرجال ، وما ذكرت في كتاب من كتبي كلاما لا أقدر على اثباته ببرهان قاطع لمن له الفهم الخالي من مرض العناد والحسد ، لا مع من نزل في حقّه « إنا جعلنا على قلوبهم أكنّة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وان تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا » (85) .

وأما طلبه هذا ، فإذا كان من المعاني المستعصية فهمها ، فليقدّمه حتى ينتهي الإشكال . واعلم أنه ليس في كتاب من كتبي كلام لم يكن شرحه معه بله الفهم ، وأما من لم يفهم فعليه أن يأتي ويتعلّم ويسمع مشافهة وليس له تدبير آخر ، واعتراض الجاهل ليس محصورا في مورد حتّى ينظر فيه (86) ، وأن أسباب الجهل وأمراض القلب مختلفة لاتدخل تحت حصر ، فلا يمكن أن تركن

---

78) انظر التعاليق ص : 160 ت رقم 24 .
79) سقط من (ج) .
80) في (ج) : لاتعرف الحق بالرجال بل اعرف الرجال بالحق ، الحق تعرف اهله . انظر التعاليق آخر الكتاب ص :
81) في (ج) : صاحب الربوبية .
82) في (ج) : وباق ومتنعم بها .
83) في (ج) ولا تشفيه الكتب فسوف لايشفيه هذا المختصر .
84) في (ج) والالتفات اليه ، بالقلب ليس بصحيح .
85) القرآن الكريم سورة الكهف الآية 57 . .
86) في (ج) : ليس بمحصور في مورد حتى يجاب عنه .

إليه لأنك اذا صنت كلاما من الاعتراض فكأنك حفظت القرآن ، لأن الجهّال لم يقطعوا اعتراضهم عن القرآن (87) حتى أبقوا مائة ألف شبهة في قلوب العالمين لاتقبل العلاج ، فهذا الأمل في غير القرآن محال .

ومن يك ذا فم مرّ مريض تجد (88) مرا به الماء الزلالا (89)

وسالت : ما معنى هذا الكلام « إفشاء سرّ الربوبيّة كفر » ؟ لأنّه إذا كان هذا السّر صدقا فلماذا يكون كفرا ، وإذا كان كذبا فكيف يكون كذبا في سرّ الربوبيّة ؟

اعلم بأنّ هذا الكلام حكاه « أبو طالب » (90) في « قوت القلوب » عن بعض السلف وأنا ذكرته في كتاب قبل هذا . قال بعض العارفين : « إفشاء سرّ الربوبيّة كفر » .

ومعنى هذا : أنّ في أسرار الربوبيّة أشياء لاتتحمّلها أكثر الأفهام ولذلك لايطيق المستمع ذلك الحق ويكون الحقّ في شأنه باطلا . وهذا معنى ما قاله الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « نحن معاشر الأنبياء أمرنا ان نكلّم الناس على قدر عقولهم » ، فعلى هذا المثال : سرّ الروح وسرّ القدر من أسرار الربوبيّة . وأما العلماء الراسخون فيعلمونها ولا يقولونها ، لأنّ الخلق ليس لهم فهم ذلك وبهذا قد يقعون في الكفر . وجاء في الخبر : « القدر سرّ الله فلا تفشوه » ، وعلى مذهب جمع آخر مثال تنزيه الباري لايمكن ذكره عند كلّ أحد لأنّك إذا قلت هذا السرّ : بأنّ الله ليس في جهة وليس متّصلا بالعالم وليس بمنفصل عنه ولا داخلا في العالم ولا خارجا عنه والجهات الست خالية عنه قال الله تعالى « أينما تولّوا فثمّ وجه الله » .

فأكثر الخلق لايطيقون سماع هذا وسيكفّرون قائله وسيقولون : إذا كان كذلك فليس بموجود ، لأن كلّ ما لم يكن في داخل العالم ولا خارجه فمعدوم ، أو يقولون : إنّ هذا باطل ولا يصحّ أن يكون هكذا . ويقعون في تشبيه الباري ، وهذا من أسرار الله . ومنها (91) « التقديس » فإنّ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والصحابة لم يصرّحوا أبدا مع ما كانوا يعلمون أنّه هكذا ، كان هذا مثالا « لهذه المسألة على مذهب جماعة ومن هو على مذهب السلف .

وأمّا المثال الآخر عند بعض آخر ، هو أن لاتقول : إنّ كلّ ما نفعله ونقوله من الذكر والطاعة والمعصية سيكون موجبا إمّا لرضى الله أو لسخطه ، بل كلاهما عنده سواء ، لأنه ليس له

---

87) في (ج) : لأن اعتراض الجاهل لم يقطع من القرآن .

88) في (ج) يجد مرا .

89) هذا البيت نهاية الرسالة في النسختين (أ) و(ب) وما بعدها ساقطة منها ونحن اثبتناه من نسخة (ج) .

90) انظر التعاليق ص : 161 ت رقم 25 .

91) أي ومن الاسرار سر التقديس .

لا الغضب ولا السرور ، فلماذا نتعب أنفسنا ، ثم يقولون : لايصحّ تأويل الرضا والغضب أيضا حيث إنّه من المعلوم بأنّ الله لايغضب لأنّه نقصان ، ويصحّ الغضب ممّن يُتعدّى عليه ، وأمّا من لافاعل الا هو فكيف يغضب وعلى من يكون غضبه ؟

ويفرح الذي ينال مراده ، وأمّا هو فليس له غرض حتّى يكون حصوله أولى من عدمه ، ففرحه حالة ، وإظهار هذا للخلق يمنعهم من الطاعة ويؤدّي بهم إلى الكفر والإباحة ، ولهذه أمثلة كثيرة . ولا أتكلّم عن سرّ القدر ولا سرّ الروح ، لأنّ رسوله الله (ص) لم يؤمر أن يقول أكثر من هذا « الروح من أمر ربي » . وأمّا البليد من يظنّ أنّ الرسول (ص) ماكان يعرف حقيقة الروح لأنّ كلّ من لايعرف حقيقة الروح لم يعرف الله أو عرفه بصعوبة .

الباب الثاني

في الرسائل التي كتبها للوزراء

وهي اثنتا عشرة رسالة :

- خمس منها للصاحب الشهيد « فخر الملك » ـ سقاه الله غوادي المغفرة
- وواحدة جوابا لصدر الوزراء « احمد بن نظام الملك » ـ تغمده الله بغفرانه ـ
- وثلاث لـ « شهاب الإسلام » قبل وزارته .
- وثلاث للوزير الشهيد « مجير الدين » ـ برد الله مضجعه ـ

وكل رسالة من هذه الرسائل كنز من كنوز الحكمة ، وصدف مشحون بأسرار الشريعة .

5 الرسالة التي بعثها إلى نظام الدين « فخر الملك » « تشتمل على التحذير والتذكير والاسرار والحقائق من الشرع والعقل »

(بسم الله الرّحمن الرّحيم) (1)

الأمير والحسام والنظام وما أشبه ذلك كلّه من الألقاب والخطاب ، ومن جملة الرسوم (2) والتكلّف » وأنا وأتقياء أمتي برآء من التكلّف » فهم معنى الأمير وطلب حقيقة أهمّ ، فكلّ من كان ظاهره وباطنه متلبسا معنى الأمير فهو أمير ولو لم يناد به أحد بالإمارة ، وكلّ من هو عار عن هذا المعنى فهو أسير ولو خاطبه العالمون بالأمير .

ومعنى الأمير أن يكون أمره نافذا في جيوشه واول جيش جعلوه تحت ولاية الإنسان هو جنود باطنه ، ولهذه الجنود أصناف كثيرة « وما يعلم جنود ربك الاّ هو» (3) ، ورؤساؤهم ثلاثة : الأول الشهوة وهي التي تميل إلى القاذورات والمستقبحات . الثاني الغضب وهو الذي يقتل ويضرب ويهجم . والثالث : الدهاء أي الحيلة والمكر اللذان يسلكان طرق المكر والحيلة والتلبيس . واذا لبسوا هذه المعاني لباسا من عالم الشكل والصورة حقّا لكان الأول خنزيرا والثاني كلبا والثالث شيطانا . فالخلق صنفان : صنف سخّروا هذه الثلاثة وقهروها وتحكموا فيها ، فهؤلاء هم الأمراء والسلاطين ؛ وصنف : استعدوا لخدمة هذه الثلاثة ، وقاموا الليل والنهار في طاعتها والانقياد لها ، فهؤلاءهم الأسراء والعميان في هذا العالم حيث سمّوا الأمير والسلطان بالفقير والمسكين والعاجز ؛ ولقّبوا الأسير الضّال أميرا وسلطانا . وأهل البصيرة يعلمون بأنّ هذا كتسمية الزنجي بالكافور ، وكتسمية البادية المهلكة بالمفازة ، ولايتعجّبون منها لأنّهم يعلمون بأنّ هذا العالم عالم الالتباس والانعكاس ، وهذا ليس بعجيب إذا كان أصل خلقة العالمين ، أي عالم الحقائق والمعاني الذي يقال له : « عالم الملكوت » وعالم الصورة الذي يقال له « عالم الشهادة » مبنيّاً على

---

1) سقط من (أ) و (ب) .

2) في (ج) الرسم والتكلف .

3) القرآن الكريم سورة المدثر الآية 31 .

الالتباس (4) فكلّ ما هو في عالم الشهادة ، عدم يظهر بالوجود ، ليس غير ، ولا شيْ في صورة الشيْ ، وكلّ ما في عالم الحقيقة (5) وجود يظهر كالعدم ، وهذا بالإضافة إلى هذه العين الظاهرة التي يظنّها الخلق هي النظر فقط ، فحين الموت إذا فاته هذا البصر وظهرت لـه غشاوة مـن ذلك العالم فالقضيّة تقلب ، فحينئذ كلّ ما كان يظنّه هو الوجود يظهر له كالعدم ، وكلّ ما كان يظن أنه العدم يراه موجودا ، فيقول : إلهي ما هذه الحالة . انقلبت الأعمال ؟ ! « فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد » (6) ويقول : آه ما علمت أن يكون هكذا ، ويقول : « ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا » (7) يجاب « أو لم نعمّركم ما يتذكّر فيه من تذكّر وجاءكم النذير فذقوا فما للظالمين من نصير » (8) .

يقول : الهي ّما قالوا لنا : كيف يكون حالة العدم المتظاهر بالوجود ؟ يجاب : أوما سمعت القرآن يقول : « كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفّاه حسابه » (9) . فلتأت بمثال لمن يقول : إن الوجود المتظاهر بالعدم ، والعدم المتظاهر بالوجود ليس بمفهوم ، ولتقريب فهم حقائق المعاني للأفهام الضعيفة نسوق المثال : كزوبعة جرت وارتفعت من الأرض في جو صاف وظهرت كمنارة مستطيلة ملتويةتدور حول نفسها ، فمن نظر فيها ظن ان الهباء (10) يدور بنفسه هكذا ، ولكنّه في الحقيقة ليس هكذا ، بل مع كل ذرّة من التراب هناك ذرّة ايضا من الهواء تحرّك التراب وإن لم يمكن رؤية الهواء (بل يمكن رؤية التراب) (11) ، فكذلك التراب في حالة الحركة هو كالعدم المتظاهر بالوجود والهواء هو الوجود المتظاهر بالعدم حيث له الحركة والقدرة ، وأما التراب فهو عاجز مسخّر في يد الهواء . فللهواء السلطة والقدرة ، ولكن قدرته غير مرئية . بل المثال الأقرب إلى التحقيق هو روحك وقالبك ؛ فالروح هوالوجود المتظاهر كالعدم ، وليس لأحد اليه طريق ، ويكون هو السلطان القاهر والمتصرف ؛ والقالب هوأسيره وذليله ؛ ولكن كل ما يرى ينسب إلى القالب ظاهرا بينما القالب في الحقيقة لا تأثير له .

---

4) في (ج) بناؤهما على الالتباس .
5) في (ج) وكلّ ما هو في عالم الملكوت الذي هو عالم الحقيقة .
6) القرآن الكريم سورة ق الآية 22 .
7) القرآن الكريم سورة السجدة الآية 12 .
8) القرآن الكريم سورة فاطر الآية 37 .
9) القرآن الكريم سورة النور الآية 39 .
10) الهباء الغبار المتطاير مع الهواء .
11) سقط من (ج) .

فنسبة العالم إلى قيّوم العالم ايضا هكذا ، فإنّ قيوم العالم هو الوجود المتظاهر بالعدم عند كثير من الخلق ، وليست هناك أية ذرّة من العالم قائمة بنفسها بل يكون قيامها بقيّومها ، وقيوم كل شيء بالضرورة يكون معه ، وحقيقة الوجود للقيّوم ، ووجود المقوّم مأخوذ منه على سبيل الاستعارة « وهو معكم أينما كنتم » (12). ولكن من لايعرف معنى المعيّة الاّ معيّة الجسم مع الجسم ، او معيّة العرض مع العرض ، او معيّة العرض بالجسم ، التي كلّها محالة مع القيّوم لايفهم معنى هذه المعيّة ، وأما معيّة القيّوميّة فقسم رابع بل هي حقيقة المعيّة فهي أيضا الوجود المتظاهر بالعدم فالذين لايعرفون هذه المعيّة يطلبون قيّوما ولا يجدونه ، كالسمك القاطن في الماء يطلب الماء ولا يجده ، والذين عرفوا هذا (13) الرابع يطلبون أنفسهم ولا يجدونها بل كلّما يرون يرون الله (14) ويقولون : « ليس في الوجود الاّ القيّوم » . وفرق كبير بين من يطلب نفسه ولا يجدها ومن يطلب القيّوم ولا يجده وهذا الكلام خارج عن إطار الرسالة أيضا ولكن هذا ما جرى بنا القلم اليه بدون تدبير .

هذا والسبب أنه سمعت بانّ له (15) كياسة أكثر من أبناء جنسه ، حذار ! حذار ! استعذ بالله من قصور كياستك ، فإنّ هلاك أكثر النّاس من قصور الكياسة « وأكثر أهل الجنّة البله ، وأهل العليين ذوو الألباب » .

والخلق ثلاثة اصناف (16) : العوام وهم الذين قنعوا بالتقليد ، ولا يعلمون طريق التصرف في أعمالهم بل يأخذونه من غيرهم ، فإنّ هؤلاء وإن لم يكونوا في مرتبة عظيمة فهم من أهل النجاة.

وصنف (17) ذوو ألباب . وهؤلاء من أهل عليين ، واذا وجد كلّ عصر واحد أو اثنان فهذا كثير .

والثالث هم أهل التصرف بكياسة أنفسهم . وهؤلاء هم الهلكة . لأنّ الطبيب الكامل قريب من الشفاء ، والمريض أيضا ، لتقليده للطبيب بدون تصرف . وأمّا نصف الطبيب فهو من المرضى ، فالمتصرف بكياسته الناقصة يكون كنصف الطبيب . ورأس هؤلاء الكيّسين إبليس لأن نوعا من التصرف والفطنة حثّه على المخالفة واشتغل بالقياس والبرهان وقال : « أنا خير منه خلقتني من

---

12) القرآن الكريم سورة الحديد الآية 4 .

13) في (ج) هـذه المعيّـة .

14) في (ج) يـرون الحـق .

15) الضمير يعود إلى الوزير « فخر الملك » وهذا من دأب الغزّالي حيث يخاطبهم بضمير الغائب .

16) في (ج) الاوّل العـوام .

17) في (ج) وواحـد ذوو الألبـاب .

نار وخلقته من طين » (18) وسألوا الحسن البصري (19) ـ رضي الله عنه ـ : هل كان إبليس فقيها وفطنا ؟ قال : نعم فلو لم يكن كذلك لمـّا قدر أن يحيد الفقهاء والفطناء عن سواء السبيل .

ومن علامات أولي الألباب ان ليس للشيطان عليهم من سبيل كما قال « إن عبادي ليس لك عليهم سلطان » (20) وكلّ من ساقه الكسل او الشهوة لعصيان أمر الحقّ فهو من تلامذة الشيطان ونوابه « فاتّخذوه عدوا انّما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير » (21) . إذا أردت سعادة الآخرة فأطع أوامر الله ، ولا تسأل ولا تتفحص ، ولا تتصرّف الا بأمر الله تعالى ، واذا لم يستقر قلبك على هذا وترتد معرفة حقيقة من حقائق الأمور فعليك بكتاب « كيمياي سعادت » والتزم صحبة من تخلّص من يد الشيطان حتّى يجعلك أيضا منطلقا منه . (والسلام) (22) .

---

18) القرآن الكريم سورة الاعراف الآية 12 .

19) انظر التعاليق آخر الكتاب ص : 162 ت رقم 35 .

20) القرآن الكريم سورة الحجر الآية 42 .

21) القرآن الكريم سورة فاطر الآية 6 .

22) سقط من (أ) و (ب) .

6 رسالة أخرى بعثها إلى « فخر الملك » في معنى القضاء والتحريض لتفويضه إلى من له الاهلية

(بسم الله الرّحمن الرّحيم) (1) زين الله المجلس العالي بالتوفيق حتى لاينسى نصيبه مع مشغلة الدنيا. قال الله تعالى « ولاتنس نصيبك من الدنيا » (2) ونصيب كل واحد من الدنيا ما حمل من زاد الآخرة ، لأن كل الخلق مسافرون للحضرة الالهيّة ، والدنيا كمنزل في سير البادية ، فمثل الغافلين عن أخذ زاد الآخرة كمثل حاجّ وصل في طريقه (للحجّ (3) إلى بغداد واشتغل بالنظارة حتى أتى وقت الرحيل ، فوضع رجله في الطريق بدون زاد ولا راحلة ولا ماء ، وظن أنه في طريق الكعبة دون أن يعلم أنه يتوجه إلى الهلاك .

وزاد الآخرة التقوى وأساسه اثنان : التعظيم لأمر الله ، والشفقة على خلق الله . فإذا فوّض سلطان ما الرئاسة والعمل إلى من لايليق بهما فليس في ذلك كبير خطر ، أما إذا ولى منصب القضاء من ليس أهلا له فذلك الخطر كل الخطر ، لأنّ منصب القضاء مقام النّبوة ومنصب المصطفى (صلى الله عليه وسلّم) (4) « وليحكم بينهم بما أنزل الله » (5) فمن كان للرسول في قلبه منزلة فلا يرفع لمنصبه الاّ من يعرف حقه ، ومن لم يعتبر هذا فقد تجاوز تعظيم أمر الله ، لأن تعظيمه سبحانه في تعظيم منصب النّبوة ، وفاته (أيضا) « الشفقة على خلق الله » لأنه وضع دماء المسلمين وفروجهم وأموالهم واملاكهم في خطر. فما بال من فعل هذا وماذا هيّأ لجواب الآخرة ؟ ! أليس من اعظم أخطار القضاء مال الايتام ؟ ! فإذا لم يكن صاحب تقوى أعطى مال الأيتام للأقطاع ، وقد قال الله تعالى « الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنّما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون

---

1) سقط من (أ) و (ب) .
2) القرآن الكريم سورة القصص الآية 77 .
3) سقط من (ج) .
4) سقط من (ج) .
5) كذا بالاصل ، والصواب « فاحكم بينهم ... » من الآية 48 من سورة المائدة ـ أو « وأن احكم بينهم ... » من الآية 49 من الآية 49 من السورة نفسها .

سعيرا » (6) ، ومن لم يخف من هذا الوعيد لن يحذر من سائر الأعمال . ولا يختصّ هـذا الوعيد في القرآن بمن يباشر الفعل ، بل معه شريكان احدهما ذلك الشخص الذي مكنّه من الفعل وثانيهما الذي بامكانه أن يردعه ولم يفعل .

وأما اذا فوضّه المتديّن فقد جعل دماء المسلمين وفروجهم وأملاكهم وأموالهم في حصن حصين . وهكذا تظهر حسن السيرة والديانة . وصلاحيته لهذا المنصب لاتخفى على صدر الوزارة فانّ ناحية جرجان (7) حيّة بوجوده ، والرأى العالي بما تعلق صائب ، والخير فيما يصنع الله تعالى . والسلا·

6) القرآن الكريم سورة النساء الآية 10 والآية مبدوة بـ«إنّ الذين ....» .

7) انظر التعاليق آخر الكتاب ص : 161 ت رقم 26 .

7 رسالـة اخرى كتبها « لفخر الملك »

تشمل الزجر والردع البليغ على ارتكاب المحظورات والحثّ والتحريض الكامل على الانصاف والعدل وتخفيف المؤنة على أهل طوس والسير عـلى سيـرة أبيـه نظام الملك .

وكان قد كتب على فاتحة الرسالة : بعثت لك شرابا مرّا له منافع كثيرة . فتأمّـل فيه في خلوة خالية من ّالغير ، واسمع بسمع الدين ، فإنّ الشراب المرّ النافع يأتي على يد الاصدقاء الصادقين والشراب الحلو الضّار يأتي على يد الاصدقاء المتظاهرين والاعداء الحقيقيين .

بسم الله الرّحمن الرّحيـــم

قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « أنا وأتقياء أمتي براء من التّـكلف ».إن وضع الألقاب والخطابات انما تنشأ عن التّـكلّـف ، والكلام اذا كان مبعثه الديانة لابدّ أن يكون بعيدا عن العادات ، وعلى غرار العادة ايضا اذا ارتفع منصب إلى حدّ الكمال فيستغني عن الألقاب ، كالجمالْ في غايته يعطّل الماشطة عن العمل . واذا قال أحد : الخواجة الإمام الشافعي ، او الخواجة الامام أبو حنيفة فهذا قدح ووصمة إلى من له الكمال لأن « الزيادة على الكمال نقصان » وأنت ايضا في ملكك الدنيا وصلت إلى مقام لاتنقصك المخاطبة بلا خطاب ولا ألقاب ، فلنأت إلى السيادة في أمر الدين فإنّها مما لابدّ منه .

اعلم أن هذه أيام الفترة وآخر الزمان ومنتهى اعمال الدنيا للآخرة « اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون » (1) . فلا بدّ لكل أحد (2) وقت الفترة من حصن ؛ فقوم جعلوا حصونهم من الخيل والجيش ، والرماح والسيوف ؛ وقوم من النعم والأموال وإقامة الجدران الرفيعة والابواب الحديدية ؛ وقوم تحصنوا بقلوب الدراويش ودعاء الفقراء (3) وانّ الله تعالى برهن على خطأ الفرقة الأولى بأحوال « بزغش » و « برسق » و « ارعش » و « قشمش » (4) وغيرهم حتى علموا ان الخيل والجيش لاتدفع بلاء السماء .

---

1) القرآن الكريم سورة الأنبياء الآية 1 .

2) في (ج) البتّـة .

3) في (ج) ودعـاء المسلمين .

4) انظر التعاليق ص : 161 ت رقم 27 .

وبرهن على خطأ الفريق الثاني بحال « عميد طوس » وغيره ليعلموا أن الجدار الرفيع والباب الحديد وجمع النعمة لايدفع البلاء ، بل يكون سببا للبلاء ، حتى يفهموا ويتفهموا هذا المعنى من الآيات القرآنية حيث قال : « جمع مالا وعدّده ، يحسب انّ ماله أخلده . كلاّ لينبذن في الحطمة » إلى آخر السورة » (5) و « ما أغنى عني ماليه . هلك عنّي سلطانيه » الآية (6) و « ما يغني عنه ماله اذا تردّى » (7) .

ومن حال « عميد خراسان » جعل برهانا لصواب الفريق الثالث ، حتى علموا ان اعطاء إناء من الشربة ورغيف من الشعير إلى « درويش » يفعل ما لم يفعل مائة ألف دينار ومائة ألف راكب ، فإنّه يردع السيوف والسهام ، وليعلم الناس انّه لابد من تعبئة جيش من سهام الليل ، لامن سهام الخيل ، وبهذه المعجزة يعرف صدق ما قاله المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « الدعاء يرد البلاء » وقال : « الدعاء والبلاء يتعالجان » . فالولد الصالح هو الذي يمنح مناصب دولته للمخلصين الصالحين . إن أباك الشهيد قدّس الله روحه ووفّقك للاقتداء به لمّا سمع أن صاحب الكرمان أخذ يعمل بالخيرات تزلزلت اركانه السبعة ، لا لأنّه كان يكره الخيرات ، ولكن كان يقول : لايكون من الشرق حتى الغرب من يسبقني في الخيرات ، « وفي ذلك فليتنافس المتنافسون » (8) .

إن الحسد حرام في كلّ شيء الاّ في الدين فإنه واجب قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « لاحسد الاّ في اثنتين رجل آتاه الله مالا (9) ينفقه في سبيل الله ورجل آتاه الله علما فهو يعمل به ويدعو الخلق اليه » .

اعلم ان هذه المدينة أشرفت على الخراب بسبب الظلم والقحط ، وحينما كنت في « اسفراين » (10) و « دامغان » (11) كان يخافك الناس ، فالدهاقين كانوا يبيعون الحصاد ، والظالمون كانوا يعتذرون للمظلومين ، وحسن الحال بعد وصولك إلى هنا وزال عنهم الخوف والروع ، فالدهاقين والخبّازون أغلقوا الدكاكين واحتكروا الغلال وتجاسر الظالمون وقصدوا في

5) القرآن الكريم سورة الهمزة الآيات 2 ـ 9 .
6) القرآن الكريم سورة الحاقة الآيات 28 ـ 29 .
7) القرآن الكريم سورة الليل الآية 11 .
8) القرآن الكريم سورة المصطفين الآية 26 .
9) في (ج) فهو ينفقه .
10) انظر التعاليق ص : 161 ت رقم 28 .
11) انظر التعاليق ص : 162 ت رقم 29 .

الليل بعض الدكاكين والبيوت للسرقة ، فادخروا البضائع لفائدتهم ، واعتقلوا الرجال الابرياء المصلحين (12) ، بتهمة السرقة ، ومن يحكي لك حالة هذه المدينة خلاف هذه فهو عدو دينك ، فأغث فأغث رعيتك لا بل أغث نفسك وارحم حرمك ولا تضيّع رعيّتك ، وخف من دعاء الدراويش في جوف الليل ، فإذا أمكن لك اصلاح الامور بنفسك ، فأصلحها ، والاّ فأقم المصيبة والمأتم لأن الله تعالى يقول : « خلقت الخير وخلقت له اهلا (13) فطوبي لمن خلقته للخير وسيرت الخير على يديه وخلقت الشر وخلقت له أهلا فويل لمن خلقته للشرّ ويسرّت الشّر على يديه .
فعلاج هذه المصيبة ماء العين لاماء العنب ، وجميع محبّي البيت « النظامى » مشتغلون بهذه المصيبة ، فليس من الانصاف أن يكون صاحب المصيبة غافلا عن مصيبته ومنصرفا إلى ملذاته وافراحه .
واعلم أن دعاء أهل طوس مجرّب في الخير والبلاء ، ونصحت « العميد » بهذا مرارا ولم يقبل النصيحة حتى صار حاله موجبا لحيرة الناس اجمعين ، « وما ظالم الاّ ويبلى بظالم ، ثم ينتقم الله منهما جميعا » (14) .

اعلم انّه ليس احد من ملوك المال والولاية لايكون في طريقه هذا قطعا ويقينا ، فإنّ من أحرق قلبه في عشق المال والولاية فبالضرورة سيحرق في فراقه أيضا ، ولكن هذا على ثلاث درجات : احدها درجة السعداء . والسعيد هومن تخلى عن المال والولاية بالاختيار فتّصدق وأعطى ردّا للمظالم ، فإنّ هذه التوبة والتفرقة للمال ، ولوانّها بالاختيار ولكنّها تحرق القلب ، وهو صابر وهذا معنى « ومنهم سابق بالخيرات » (15) .

والدرجة الثانية : ما سلط عليه أحد فأخذ منه بالقهر ، فهذا من وجه يكون للعقوبة والنكال ومن وجه يكون للكفارة والطهارة وهذا معنى : « ومنهم مقتصد » (16) .

والثالثة : درجة الأشقياء حيث لاينفك المال عنهم لابالقهر ولا بالاختيار وينجر الامر إلى (ضربة) (17) ملك الموت والعياذ بالله . وهذا أعظمهم خطرا وهذا معنى : « ولعذاب الآخرة أكبر لوكانوا يعلمون » (18) و «منهم ظالم لنفسه » (19) و «من عجلت عقوبته في الدنيا فهو

12) في (ج) الانبياء الزاهدين المصلحين .
13) في (ج) « وخلقت له يدا فطوبي لمن خلقته للخير ويسرّت الخير على يديه » .
14) في (ج) وما ظالم الا ويبلى ثم ينتقم الله منهما جميعا .
15) القرآن الكريم سورة فاطر الآية 32 .
16) القرآن الكريم سورة فاطر الآية 32 .
17) سقط من (ج) .
18) القرآن الكريم سورة فاطر الآية 32 .
19) القرآن الكريم سورة فاطر الآية 32 .

سعيد » فاجتهد أن تكون من السابقين في الخيرات فالدرجتان الأخيرتان من درجات الشقاء ، والشرب من احد هذه الكؤوس الثلاثة ضروري ، وبالقطع واليقين اسمع هذه الكلم المرّة النافعة ممن وسم اولا مطمعه من عطيات السلاطين ، حتى يقدر أن يقول مثل هذا الكلام ، واعرف قدر هذا الكلام حق قدره ، فأنّك لاتسمع مثله من غيري .

واعلم أنّ كلّ من يقول غير هذا فطمعه هو الحجاب بينه وبين كلمة الحقّ ، وبحقّ الله عزّ وجلّ وبحقّ ابيك الشهيد عليك أن تقوم في قلب هذا الليل حينما ينام الخلق والبس وتطهر طهارة طيّبة واطلب مكانا خاليا وصلّ ركعتين وضع وجهك بعد السلام على الأرض واطلب من الله سبحانه وتعالى متضرعا وباكيا أن يفتح عليك طريق السعادة وقل في ذلك السّجود : « يا ملكا لايزول ملكه ارحم ملكا قارب زوال ملكه وأيقظه من غفلته ووفقه لإصلاح رعيّته » ثم من بعد هذا الدعاء تأمّل ساعة في حال الرعيّة عند القحط والظلم وحتى ترى كيف ستفتح لك طرق الصلاح وتستمد منها الخيرات (20) وصلى الله على نبيّه محمّد وآله .

---

20) في (ج) والسلام .

8 رسالة اخرى كتبها لضياء الملك (1)
في حق الإمام السعيد الشهيد « ابراهيم السباك » (2)

بسم الله الرّحمن الرّحيم : زيّن الله المجلس العالي النظامي الضيائي بالسعادة والسيادة الاخرويّة ، ونوّر الله قلب ذلك العزيز بضياء انواره بنور وضياء يكون سببا لانشراح الصدر كما قال الله تعالى « فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للإسلام » (3) وقال تعالى في آية أخرى « أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه » (4) وعلامة هذا النور والضياء انه اذا نظر في الدنيا حينما يرى جميع الخلق منها ظاهرا مزينا صالحا يرى هو باطنا سيئا . واذا نظر في العمر فتمام الخلق يرون فيه طراوة البداية وهو يرىَ خطر النهاية وحسرتها و« يعلم ان ما هو آت قريب وأن الموتَ أقرب إلى كل احد من شراك نعله » . واذا نظر في الأقران والامثال يرى مسرح انظارهم انواع التوقع والتمتع ولكن مطمح نظره وهمته يكون انواع التّحسروالتّفجع من خوف الختام ويقول مع نفسه « أفرأيت ان متّعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتّعون » . (5) وإذا أنعم بهذا الضياء على « صدرالوزارة » فعلامته ان يصنع لوحا من قلبه وينقش فيه عاقبة الوزراء وخاتمة امرهم من الذين يذكرهم في عمره ويطالع في هذا اللوح : « نظام الملك » « تاج الملك » « فخر الملك » (6) « أفلم يهد لهم كم اهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك لآيات لاولي النهى » (7) « الم نهلك الاولين ثم نتبعهم الآخرين كذلك نفعل بالمجرمين » (8) .

قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ايها الناس كأنّ الموت فينا على غيرنا كتب وكأنّ الحق فينا على غيرنا وجب وكأنّ الذين نشيّع من الأموات سافروا وعما قليل الينا راجعون نبّوؤهم اجداثهم ونأكل تراثهم كأنا مخلدون بعدهم قد نسينا كل عظة وامنّا كل جائحة » .

---

1) انظر التعاليق آخر الكتاب ص : 162 ت رقم 30 .
2) انظر التعاليق آخر الكتاب ص : 162 ت رقم 31 .
3) القرآن الكريم سورة الانعام الاية 25 .
4) القرآن الكريم سورة الزمر الآيـة 22 .
5) القرآن الكريم سورة الشعراء الآيات 205 ـ 207 .
6) انظر شرح احوالهم في تراجم أصحاب الرسائل .
7) القرآن الكريم سورة طه الآيـة 128 .
8) القرآن الكريم سورة المرسلات الآيات 16 ـ 18 .

فكل واحد من الوزراء كان غافلا عن خاتمة الآخرين ورأى عظمة امره وولايته وما عرف أن من اضعف الاعمال ما يفسد بعمل آخر « مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا » (9) .

زين الله تعالى « صدر الوزارة » بضياء هذا النور حتى يرى من الاعمال سرها وحقيقتها لاظاهرها وصورتها وأصل هذا النور ومنبعه خصلتان العدل والعدالة .

فالعدالة ان يكون في إطاعة ربه بمثل ما يحب هوان تكون رعيته في طاعته . والعدل ان يفعل في رعيته بمثل ما اذا كان هواحد الرعية وكان صاحب الولاية غيره وفعل مثل هذا به كان راضيا . فيجعل هاتين الكلمتين قبلته ويرجع اليهما (10) في كل معاملة مع الخالق والخلق ، ويدعو مخدومه السلطان العادل بهاتين الكلمتين ولا يسمح ان يخفوا عن نظره الميمون حاجة الولايات وما عليها من الخراب وإلاّ فيكون ماخوذا بهذه المداهنة . ولو انّي اخذت طريق الاختصار في المخالطة والمكاتبة الاّ انني كتبت بقدر الحاجة والضرورة هذه الكلمات لتهنئة الوزارة وانهاء عيش اهل الدين بهذه النعمة ولابدّ بان أنبّه بشيْ آخر حتى لاتخلو تهنئتي من الاتحاف « انما تحفة العلماء بعد وظيفة الدعاء الارشاد إلى مصالح العباد » .

ان مدينة « كركان » (11) منذ زمن كانت خالية من عالم يحسن الاقتداء به حتى عاد اليوم إلى موطنه ناصح المسلمين « ابراهيم السباك » (12) واحيا هذه الناحية بعمله وورعه وشاعت فائدته في التدريس والتذكير وانتعش اهل السنة بالحياة من جديد . وهذا العالم قضى في صحبتي قرابة عشرين سنة في طوس ونيسابور وبغداد وفي سفر الشام والحجاز وقد مرّ على اكثر من الف طالب من طلبة العلم قلّما رأيت مثله في الجمع بين وفور العلم والصدق والورع والتقوى واذا وجد في مدينة مثل هذا تكون تلك المدينة كمعمورة وقد ظهر له من اعداء الدين والسنة المتعنّتون ويمكن ان يلتمسوا ويتوسلوا بنوع من الحيلة والتلبيس حتى يوردوا وهنا في عمله ، فدين « صدر الوزارة » يفرض عليه ان يجعله في كنف حمايته وعنايته وان يدّخر دعاءه ليوم قيامته وان يبذل كل ما يتوفّر لإتمام أعماله .

زين الله تعالى البداية والنهاية من اعماله على سعادة الدين والدنيا وصرف الله تعالى آفات الدهر ونوائبه عن حواشي ذلك المجلس بمحمّد وآله اجمعين (13) .

---

9) القرآن الكريم سورة العنكبوت الآية 41 .

10) في (ج) ويرجع إلى هذين الأصلين .

11) انظر التعاليق آخر الكتاب ص : 161 ت رقم 26 .

12) انظر التعاليق آخر الكتاب ص : 162 ت رقم 31 .

13) في (ج) بمنّه وفضله والسلام .

بسم الله الرّحمن الرّحيم ـ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلّم ـ « انّ لله عبادا اختصهم بالنعم لمنافع العباد ما بذلوها فهم وكلاء الرّحمن طوبى لهم وحسن مآب » .

إن غرض الله تعالى (1) من إفاضة الرحمة على الأشقياء هو المكر والاستدارج كما قال : « سنستدرجهم من حيث لايعلمون . وأملي لهم ان كيدي متين » (2) فليس أحد من اهل النعمة كاينا من كان خارجا عن هاتين الحالتين « إنا هديناه السبيل إما شاكرا واما كفورا » (3) .

وأمّا الشكر على نعمة الولاية والتأييد ونصرة الدنيا والآخرة هو إفاضة العدل والاقامة على الحق وامانة الظلم العطية والرحمة والشفقة على الرعية . وبهذا أمر الانبياء ـ عليهم السلام ـ « ياداود إنا جعلناك خليفة في الأرض » (4) .

وعلامة من كانت النعمة في حقه شقاوة أنه كلّما ارتفع وانتصر وزادت دولته ونعمته تمادى على عدم الشفقة وازداد في عدم الرحمة للخلق ، جاء في القرآن المجيد « ألم نهلك الاولين ثم نتبعهم الآخرين كذلك نفعل بالمجرمين » (5).ولكن قد ازدادت الغفلة وكفران النعمة في صدره بحيث يقول مع نفسه « ما أظن ان تبيد هذه ابدا » (6) .

وعلامة من كانت النعمة في حقه سعادة (7) هي انّ يوفّقه الله للاحسان مع خلقه ويعطيه كمال العقل والتديّن إلى درجة يقلع معها عن كل ما يرى من دعاوي فاسدة واطماع كاذبة ، وظلم وعسف .

---

1) في (ج) الله عزّ وجلّ .
2) القرآن الكريم سورة الأعراف الآيتان 182 ـ 183 .
3) القرآن الكريم سورة الإنسان (الدهر) الآية 3 .
4) القرآن الكريم سورة ص الآية 26 .
5) القرآن الكريم سورة المرسلات الآيات 16 ـ 18 .
6) القرآن الكريم سورة الكهف الآية 35 .
7) في (ج) عين السعادة .

ويدفع شوائب البدعة من اكناف الدين (8) ، وكلّما ارتقت درجته ازدادت رحمته وشفقته على خلق الله تعالى حتّى يصل إلى مرتبة يجمع فيها بين عزّة هذه الدار وسعادة تلك الدار ويجد هذه الخلعة « عطاء غير مجذوذ » (9) وهذه المثوبة والعطية مدخرة للمجلس السامى لازال منيعا .

---

8) في (ج) من أكناف الدين والدنيا .

9) القرآن الكريم سورة هود الآية 108.

10 « رسالة أخرى كتبها في جواب صدر الوزراء أحمد بن نظام الملك » وزير العراق ـ سقاه الله صوب المغفرة والرضوان ـ *

انه بعث بمثال في آخر عهد حجة الإسلام « أكرمه الله برضوانه » إلى وزير خراسان « صدر الدين محمّد بن فخر الملك » مشتمل على انواع التبجيل والاكرام والاعزاز ، الذي لاحدّ له ، كما سيأتي ان شاء الله تعالى ، وأمره أن يضم اليه مثالا آخر ويبعثهما إلى حجة الإسلام في موضوع تدريس نظاميّة بغداد ، حتى ينهض بسرعة لهذه المهمّة الدينيّة ، ولا يعتذر باي عذر ، فقد صدرت اوامر مشدّده من حضرة الخليفة المقدّس (1) المستظهر ـ أنار الله برهانه ـ لصدر الوزراء لتخصيص هذا المنصب الذي هو منصب صاحب الشريعة لحجة الإسلام (وجعل التأخير والتوقف عليه محرّما محظورا) (2) . فلمّا وصلت إلى الامام الغزالي الرسالتان المحبّرتان بانواع التبجيل والاكرام ، والمفصحتان عن مناقبه ، والموشحتان بتوقيعات الوزراء والسلاطين المكرّمين ومع ما كان من الانتظار وعدّ الساعات لأئمة العراق وبغداد والامام المقدّس النبوي المستظهري قال بعدما وقف على الرسالتين : « هذا وقت فراق الدنيا لازمان السفر إلى العراق » . واجاب على الرسالة معتذرا عن القبول ، (وهي رسالة فريدة بديعة ، مشتملة على انواع الظرف والتحف ، والموعظة والتذكير والنصيحة والتحذير ، « كأنّه الدرّ اليتيم اذ الخاطر بمثله عقيم » (3) .

- هذه مقدمة من جامع رسائل الإمام الغزّالي .

1) في (ج) المقدّس النبوي .

2) سقط من (ج) .

3) سقط من (ج) .

نسخة الكتاب الذي كتبه نظام الدين احمد بن الصاحب الشهيد نظام الملك حسن ين علي بن اسحق ، إلى الامام حجة الإسلام محمّد الغزّالي فدعاه إلى التدريس بنظّاميّة بغداد وذلك بعد وفاة الامام كيا الهراسي رحمهم الله (1)

11

(بسم الله الرحمن الرحيم) (2) فليعلم الخواجة الإمام (زين الدين) حجة الإسلام (فريد الزمان) (3) اطال الله (تعالى) بقاءه (وادام تأييده وتسديده) (4) انّ معرفة نعم الله عزّ ذكره ، واداء شكره فرض على جميع العباد ولايمكن استدامة فيض شكره الاّ بالشكر كما قال الله تعالى في محكم التنزيل : « لئن شكرتم لأزيدنكم » الآية (5)

حيث ان أشرف نعم الله ومواهبه التي أنعمها على عباده : العلم ، وليس شيءٌ أشرف وأعظم منه كما قال الله تعالى : « يؤتي الحكمة من يشاء ، ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا » (6) فالمختص بهذه الكرامة ، والمحلى بدراية العلم يتعيّن عليه (7) إقامة الشكر ، وليس شكره الاّ بإفادة المستعدين ، وافاضة العلم على المسلمين ، وأن الله تعالى قد أفاضَ من هذه النعمة قدراً وافرا لحجة الإسلام ادام الله أيامه ، وخصّه بمزيد هذا الفضل ، ورفعه في العلم إلى درجة أصبح بها قدوة العالم ووحيد العصر فيما انّه في هذه المنزلة عديم المثل ومنقطع النظير فيتعيّن عليه ان يقصر اوقاته على تزكيّة علمه ، وهذه الزكاة لاتكون الا بنشر العلم وارشاد المتعلمين (8) وبالرغم

---

1) هذه الرسالة غير موجودة في نسخة « اياصوفيا » ولا في (ج) وعنوانها في نسخة (ب) كما يلي « نسخة كتاب وصل من العراق إلى الشيخ الإمام حجة الإسلام محمّد بن محمّد بن محمّد الغزّالي قدس الله روحه » . ومن المعلوم ان هذه الرسائل الثلاث ليست من انشاء الإمام الغزّالي وقد أتى بها المصنف مناسبة اومقدمة لجواب حجة الإسلام لهذه الرسائل والدعوة للتدريس بنظاميّة بغداد .

2) سقط من (ج) .

3) سقط من (ج) .

4) سقط من (ج) .

5) القرآن الكريم سورة ابراهيم الآية 7 .

6) القرآن الكريم سورة البقرة الآية 269 .

7) في (ج) اشدّ فرضا عليه .

8) في (ج) وارشاد المقتبسين .

من أن أيّامه كانت دائما مزدانة بهذا الخير وأنه أينما يكون لايعدم المسلمون فوائد انفاسه . وبما انه فريد زمانه كما هو معلوم فلا بد ان يكون مقامه في أقدم ديار الإسلام وأعظمها ، حتّى يكون مقصداً لجميع المتعلمين على وجه الأرض ، ويستقر في واسطة عقد بلاد المسلمين لأن أجمل الجواهر يجعل في وسط القلادة ، وقد اتّفق المسلمون بان « مدينة السلام (بغداد) (9) ـ حماها الله ـ هي مركز العالم وقطب الممالك المحروسة (10) ، لأنها مقراً للخلافة المعظمة ومأواها المقدّسة المكرّمة « ضاعف الله جلالها » ، والمدرسة النظامية « قدسها الله » الكائنة بها هي من أعظم المشاريع التي بناها الصدر الشهيد (نظام الملك) « قدّس الله روحه» في جميع البلاد الاسلاميّة .

وبحكم جوارها للبيت العزيز المقدّس النبوي ـ ظاهر الله مجده ـ تكون تلك البقعة المباركة مرتحل علماء العصر ومحط رحالهم ، ومقصد المتعلّمين . وقبلة المستفيدين . فكما أنّها من أعظم الأماكن قدرا ، فلا بدّ ان يكون مدرّسها وناظمها من أعظم علماء الدهر وأقدمهم وأبرز أئمة الدين ، وهذه صفات لاتليق الاّ « بحجة الاسلام » أدام الله ايّامه .

فاليوم هذه المدرسة اصبحت خالية من أيّ مدرّس بعد وفاة الأمام « هراسي » ـ نور الله ضريحه ـ حيث كان موسوما بهذه السمة ، وبوجوده كانت البقعة بارزة متجلية ، وسوق العلم بتوفيق الحكيم الآلهي « جلّ ذكره » رائجة ، ولكنّه مضى إلى رحمة الله فانقطع الامد وأصبح العراق من مثله خاليا . والمتفقّهة وأصحاب المدرسة لاينقادون الاّ « بحجة الإسلام » ـ أدام الله أيامه ـ وقد صدر الأمر الأشرف الاعلى الممجّد النبوي ـ اعلاه الله شرقا وغربا وامضاه في هذا الشأن ووصلنا ، وانّه قد حرّم عليك أي توقف في المسارعة إلى الأجابة ، فهذا الملبّى المسرع قد أرسل اليك بهذا الخطاب حتى تشرع في الرحيل في الحال بدون أي تعلّل ، حيث ان المدرسة عاطلة ولابد من تدارك هذا الخلل وامتثال امر دار (الخلافة) . (11) العزيزة « حرس الله ايّامها » .

---

9) سقط من (ج) .

10) في (ج) زيادة نصها : وهذه الامنية كنت افكر فيها منذ زمان ووجدت فيها عين الصواب ففي اجابة هذا الالتماس تحقيق فرحي ومرضاتي علاوة على سعيكم في كسب الفضيلة ومزيد المثوبة . وتكون هذه الحركة والنهضة موجبة للثواب الجزيل والمحامد والثناء الجميل إن شاء الله تعالى .

11) سقط من (ج) .

وليعلم حقّا بأنّ أيامه من أكرم الأيام وأنفاسه من أعزّ الأنفاس ، فقضاء هذه الأيام ونشر الخير في غير هذا المكان الذي هو قبلة للعالمين ليس شرطا (12) ، فإذا تعذر بايّ عذر سيتركونه مع نفسه ، فالأولى أن يسرع مهما أمكن في أقرب الأوقات ، وان يزّين هذا المكان الشريف ويغتنم هذا التوفيق ورضاء امير المؤمنين ـ أعز الله انصاره ـ ، ويحصل ثناء المسلمين ومحمدتنا ، وقد صدر الأمر بأن يستعين بالأسباب التي لنا بخراسان حتى تكون عونا له على سفره .

ومن جانبنا وجانب الصدر (و) (13) النظامي « حرسه الله » ستقدم كلّ اسباب الرعاية والاقتضاء ، وحين يصل بالسلامة إلى هنا ، ستقام في حقه كلّ العناية الواجبة ، وتبذل في سبيله جميع أسباب الاحسان والضيافة وستكون منزلته في التقرب أقدم جميع المنازل ، وسيدّخر لنفسه المناقب الدينيّة والدنيويّة المخلّدة بصيت جميل مؤبد ، وفي انتظار مقدمه تعدّ الساعات ، وليست أيّة مهمة تخطر على القلب تقابل هذا .

فليعمل ما يكون هو بنفسه الجواب عن هذا الخطاب ان شاء الله تعالى .

---

12) في (ب) ليس من الانصاف .

13) سقط من (ا) و (ب) .

12 رسالة وزير العراق إلى وزير خراسان (1)
في استنهاض حجة الإسلام ـ تغمده الله بغفرانه وأعلى درجاته ـ

بسم الله الرّحمن الرّحيم . أطال الله عمر الخواجة الأجلّ ، صدر الدين ، نظام الإسلام ، ظهير الدولة ونصير الملة ، وبهاء الأئمة ، قوام الملك ، شمس الوزراء ، في عزّة ونعمة وسعادة ورفعة وبسطة مع رضى الله تعالى .

من المعلوم عند رأيكم الكريم بأن أجلّ توفيق وأعظم غنيمة وجدت هي تجديد آثار الأسلاف « رضوان الله عليهم أجمعين » واحياء ما فعلوا من الخيرات ، والسير على سيرهم المحمودة ، وتحكيم دواعي الدين والصلاح التي تعمّ جميع المسلمين ، وخاصّة اذا كانت تلك المكرمة تمهيدا لقواعد الدين ، وتشيدا لأركان الإسلام ، ودعما لعلم الشريعة ، فعوائدها ومنافعها حاصلة مدّخرة للعالمين ، ولا يخفى بانّ المدرسة النظاميّة ببغداد جامع كبير بناه الوزير الشهيد « قدّس الله روحه » لتكون هذه المدرسة في مقرّ الخلافة المعظمة وجوار الامامة المقدّسة مكانا ومصدرا لعلم الدين ومنبعا للفضل ، وموضعا للتدريس ، ومأوى للأئمة والعلماء ومقصدا للمستفيدين ، وطلبة العلم . ولو أن آثار الوزير الشهيد بردّ الله مضجعه منتشرة في جميع أنحاء العالم ، ولكن ليس هناك أثر أقرب بموضعه من هذا ، وذلك بحكم جواره لدار العزيز المقدّس النبوي ـ ضاعف الله جلاله ـ ، ويكون هذا الخير مخلدا ، وهذه المنقبة مؤبدة ما دامت الدنيا باقية ، فيجب علينا وعلى جملة أهل البيت (النظامي) الاجتهاد في تشيد مباني هذا المسجد وتنظيمه وصيانته ، ومن الواجب على « صدر الدين » امدّنا الله بالتمتع ببقائه ، الامداد بكلّ ما ينتهي بتعظيم هذه البقعة المقدّمة وان يهتزّ اهتزازا صادقا لما هو قرة عين لنا ولأهل بيتنا ، وفرع قوى من الدوحة العليا ومقتديا بسلفه الصالح في بثّ الخيرات ونيل المكرمات .

ومعلوم ان من أول الاسباب التي تحتاج اليها المدرسة هي : المدرّس العالم الفاضل المستعد لإفادة العلم والافاضة ، وسائر الاسباب المحتاجة اليها تكون فرعا بالنسبة إلى ذلك ، لأن رواج سوق العلم ، وحرارة سوق الدرس قائمان بالمدرّس ، فإذا أصبحت المدرسة خالية منه فباب الفوائد مسدود وجميع المعدّات والاسباب الموجودة فيها معطلة . فمع وجود الامام كيا هراسي

1) هذه الرسالة غير موجودة في (ج) وتوجد في (ا) و (ب) .

الطبري رحمه الله ، كانت هذه الغاية حاصلة ، والدروس متواترة ، والانظمة قائمة ، بحيث ان كثيرا من المستفيدين منه أصبحوا في درجة الافادة وتخرّج على يده فقهاء مناظرون ، وكانت سوق العلم رائجة ، بحيث أصبح محسوداً ولكن فجعنا بغتة بوفاة الشخص « واصلا إلى رحمة الله عزّ ذكره » ، فبموته تهدمت القاعدة ، وكسدت سوق الافادة والاستفادة ، ولم يبق في العراق أحد يقدر أن يقوم مقام ذلك الشهيد السعيد رحمه الله ، ويمضي على ذلك المنوال في التدريس وافاضة العلم ، ويحكم أنه ما كان في بالنا أمر مهمّ يهمّنا كتدارك هذا الخلل ، ونظرا للأمر الأكيد الصادر من دار العزيز المقدّس النبوي ـ زاد الله انواره ـ في استدراك التدابير في هذا الخصوص صدرنا بهذا الخطاب حتّى يهتّم « صدر الدين » أبقاه الله بحفظ نظام هذا الخير اهتماما صادقا .

وليعلم حقّا انّه لايتم تنظيم هذا الاّ بوجود الخواجة الامام الاجل ، زين الدّين حجة الإسلام ، أبو حامد محمّد بن محمّد بن محمّد الغزّالي ادام الله تأييده ، لأنه فريد الزمان ، وقدوة العالم ، والمشار اليه بالبنان ، وتقدّمه عليهم وزعامته في زمرة أئمة الدين « كثّرهم الله » مسلّم بهما ، وجميع الالسنة تهتف بالاوصاف المنتشرة عنه ، فقد فوّض اليه هذا المنصب من « حضرة المقدّس النبوي الامامي » ظاهر الله جلالها . وخصّص له ، وجعل الامتناع والتعذر عن المبادرة بهذا العمل ، والاعتناق والتصدى لهذا الخير كان محظورا ومحرّما عليه بأي عذر .

والمتوقع من جانب الكريم « الصدري » ـ أدام الله علوه ـ ان لايقدّم أيّ مهمّ على هذا الامر وان يستحضر حجة الإسلام ـ أدام الله تأييده ـ ويعلموه بهذا الحال حتى يهيئ نفسه للرحيل الينا بدون أيّ توقف ، لأن هذه البقعة المباركة معطلة ، والمستفيدون منتظرون لاستدراك فوائده ، وان الفقهاء وأصحاب المدرسة وفقّهم الله لايقنعون الاّ بمتابعته ، والأمر الاشرف النبوي (الخليفة) « لازال جلاله » الذي امتثاله فرض واجب وحتم لازم قد تواتر باستدعائه فلا فسحة للتواني .

فإذا اعتذر حجة الإسلام « أدام الله تأييده » بعذر أو امتنع امتناعا ، لايقبل منه ذلك ولا يوافقه فيه بل يكلّفه ويزيح عنه العلات ، ويهيّ اسباب سفره من عنده ومن مال عين في رسالة مؤيد الدين « معين الملك » أدام الله اقباله ، ويبعثه مع مصاحب مأمون في أسرع ما يمكن ، اذ ينتظر قدومه ساعة فساعة ، حتّى يزاح هذا الكساد الحاصل بفقد المدرّس وتتجدد حياتها بمكان حجة الإسلام « أدام الله تأييده » وهذه المنقبة تأخذ نشاطها التامّ . ولايحسب أي سعي وجدّ في احياء سير السلف والمضي على طريقهم في بسط الخير معادلا لهذا العمل على جملة ما ذكر ، وليعلنوا بأسرع وقت حقيقة العمل والحال حتّى يعتمد على ذلك « ورأى الشيخ الأجل السيد صدر الدين نظام الإسلام شمس الوزراء أدام الله تأييده (تمهيده) في تحقيق هذه الجملة وبمثلها أمضي ان شاء الله تعالى » .

« توقيع وزير العراق »

فلم تكن تخفى احوال مدرسة بغداد والمشقّة التي تحملّها الوزير الشهيد فيها فكان قلبه العزيز (1) منصرفا لترتيب امورها (2) ، لأنها أسّست في جوار دار العزيز النبوي الامامي ، وحتى زماننا هذا كان لها رواجها بوجود المتوفى « نوّر الله ضريحه » والآن بفقده أخذها الخلل ، ومتعيّن (3) علينا التفكير في أمرها ، وترتيب أمور هذا المسجد الذي بناه الوزير الشهيد « أنار الله برهانه » ، وجميع علماء العراق وفقهائها ينتظرون بلهفة قدوم حجة الإسلام ليزيّن المدرسة بمكانه فيها ، فواجب على « صدر الدين » ان يتحمس ويجد في تحقيق هذا الامر باستقدام هذا العظيم اليه ويعتبر من جملة المهمات ارضائه والزامه بالمجيء . والسلام .

---

1) في (ج) بزيادة : رحمة الله عليه .

2) في (ج) بزيادة : دائما .

3) في (أ) و (ب) وانه متيقّن .

13

الرسالة التي كتبها الخواجة الأمام الآجل حجة الإسلام محمّد بن ابن محمّد بن محمّد الغزّالي ـ برد الله مضجعه ـ إلى الأجلّ نظام الدين احمد بن قوام الدين الحسن بن علي بن اسحاق بعدما دعاه التدريس في المدرسة النظاميّة ببغداد وذلك بعد وفاة شمس الإسلام «كياهراسي» الطبري ـ رحمة الله عليهم ـ في تاريخ سنة أربع وخمسمائة (504/1110) (1) .

بسم الله الرحمن الرحيم رب العالمين والصلوات والسلام على سيّد المرسلين محمّد وآله اجمعين. قال الله سبحانه وتعالى « ولكل وجهة هوموليّها فاستبقوا الخيرات » (2) تنافسوا إلى ما هو الخير، وسابقوا وسارعوا اليه .

فالخلق فيما جعلوه قبلتهم انقسموا على ثلاثة : الأول العوام . الذين هم اهل الغفلة ، والثاني الخوّاص ، الذين هم اهل الكياسة ، والثالث : خاصّ الخوّاص الذين هم أهل البصيرة . فأما اهل الغفلة فأنظارهم قاصرة على الخيرات العاجلة ، اذ يتصورون ان الخير العاجل أكبر نعيم (3) في الدنيا ، ونعيم الدنيا منبعه الجاه والمال (4) فأقبلوا عليهما وظنوهما قرة للعين (5) (وقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « ما ذئبان ضاريان أرسلا في زريبة غنم (6) أكثر فسادا فيها من حبّ الشرف والمال في دين المرء المسلم » . فهؤلاء الغافلون لم يميزّوا الذئب من الخروف ولم يعرفوا قرة العين من سخنة العين) فاختاروا طريق الانحطاط ظنّا بأنّه الرفعة . (والرسول ـ صلى الله عليه وسلّم ـ قد أخبر عن انحطاطهم بقوله « تعس عبد الدينار وعبد

---

1) عنوان هذه الرسالة في (ج) « جواب الإمام الغزّالي لرسالة الفوق » والرسالة مبدوة هكذا : بسم الله الرّحمن الرّحيم ، قال الله تعالى : « ولكل وجهة هوموليها فاستبقوا الخيرات » اعلم يا عزيزي بان الله تعالى وتقدس يقول : ليس من احد يوجه وجهه إلى عمل لايكون ذلك العمل قبلته « فاستبقوا الخيرات » فهذا امر حضرة العزة على اهل العلم بأن يستقبلوا إلى ما هو الخير والحسن . وسابقوا وسارعوا في ذلك فخلق العالم انقسموا على ثلاث فرق ...

2) القرآن الكريم سورة البقرة الآية 148 .

3) في (ج) أكبر نعيم الدنيا .

4) في (ج) ثمرته الجاه والمال فلا محالة استقبلوا اليهما .

5) ومن هنا حتّى سخنة العين لاتوجد في (ج) .

6) في (ج) غنم .

الدرهم ») (7) فالخوّاص بحكم الكياسة قد قارنوا الدنيا بالآخرة وتيقنوا برجحان الآخرة ، وقد كشف لهم معنى هذه الآية « والآخرة خير وأبقى » (8) فلا يحتاج أي شخص لفطنة كي يدرك ان الباقي خير من الفاني ، فقد عزفوا عن الدنيا وأقبلوا نحو الآخرة ، وهؤلاء القوم ايضا كانوا مقصرّين حيث إنّهم لم يطلبوا الخير المطلق ولكنّهم اقتنعوا بما هوخير من الدنيا .

وامّا خاص الخواص الذين هم أهل البصيرة فقد عرفوا (9) ان كلّ ذلك آفل ، و « العاقل لايحبّ الآفلين » ، فرأوا الدنيا والاخرة كلتيهما مخلوقتين ، وأعظم ما فيهما الشهوة (10) والبهائم تشاركهم فيها ، وليس هذا بكبير مرتبة . إن الله عزّ وعلا هو الملك والخالق للدنيا والآخرة وهوخير منهما وأكبر وقد كشف لهم معنى هذه الآية « والله خير وأبقى » (11) فآثروا المقام « في مقعد صدق عند مليك مقتدر » (12) على مقام « ان اصحاب الجنّة اليوم في شغل فاكهون » (13) . بل قد كشفت لهؤلاء حقيقة « لا إله الاّ الله » وعرفوا ان الإنسان اذا ما تقيد بشيْ اصبح عبدا له حتى لكأنّ ذلك الشيْ إلهه ومعبوده « أفرأيت من أتخذ الهه هواه » (14) والمقصود منها كلّ من كان معبودا له (15) .

فكلّ من كان مقصوده غير الله سبحانه وتعالى فتوحيده ناقص ولايخلو من الشرك الخفي .

فهؤلاء القوم قسموا كل ما في الوجود إلى قسمين متقابلين : الله ، وما سواه ، وصنعوا منه كفتين متعادلتين ككفتي الميزان ، وجعلوا لسان الميزان من قلوبهم فإذا وجدوا القلب يميل طبعا وطوعا إلى كفة الخير حكموا بانّه : « قد ثقلت كفة الحسنات » (واذا وجدوه يميل إلى الاخرى حكموا بانّه « قد ثقلت كفة السيئات ») (16) وعلموا أن كل من لم يفز عند هذا الميزان لن يفوز عند ميزان القيامة .

---

7) سقط من (ج) .

8) القرآن الكريم سورة الأعلى الآية 17 .

9) في (ج) فقد عرفوا بأن الدنيا والآخرة وكل ما وراءهما من الآفلين .

10) في (ج) ومعظمهما المنكح والمشرب .

11) القرآن الكريم سورة طه الآية 73 .

12) القرآن الكريم سورة القمر الآية 55 .

13) القرآن الكريم سورة يس الآية 55 .

14) القرآن الكريم سورة الجاثية الآية 23 .

15) في (ج) وفي هذا قول الرسول عليه الصلاة والسلام « تعس عبد الدينار ... » .

16) بين الهلالين سقط من (ا) و (ب) .

كما انّ اصحاب الطبقة الاولى كانوا عواما في جنب الطبقة الثانية ، فالثانية ايضا عوام بالنظر إلى الطبقة الثالثة ، فلم يفهموا كلام هؤلاء ولا علموا ان هذه الطبقة من جملة « من نظر إلى وجه الله تعالى بالحقيقة حسن وجهه » وذلك بالرغم من قولهم (17) .

وحيث ان صدر الوزراء ـ بلغه الله تعالى اعلى المقامات ـ يدعوني من الحضيض إلى العُلى فأنا ايضا ادعوه من اسفل السافلين مقام طبقة الاولى إلى أعلى عليين مقام الطبقة الثالثة ، وقد قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ « من أحسن اليكم فكافئوه » (18) وبما انني كنت عاجزا عن التلبية لم أجد بدّا من هذه المكافأة ، فليهيئ نفسه للانتقال من حضيض درجة العوام إلى بقاع درجة الخواص (19) فإن الطريق إلى الله تعالى من طوس وبغداد وكل البلاد سواء ليس بعضها بأقرب من بعض ، ولكن الطريق إلى الله من هذه الثلاثة ليست بسواء . وليعلم حقّا أنه اذا ترك فرضا من فرائض الله تعالى او ارتكب كبيرة من محظورات الشرع ، او رقد ليلة بكامل الراحة ويوجد في جميع ولاياته مظلوم متعب ، فدرجته ليست الاّ حضيض مقام الأول ، وهوحينئذ من جملة أهل الغفلة « واولئك هم الغافلون لاجرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون » (20) (أسأل الله تعالى أن يوقظه من نوم الغفلة لينظر في يومه لغده قبل أن يخرج الامر من يده) (21) .

فلنعد إلى حديث مدرسة بغداد ، وعذر التقاعد من امتثال اشارة صدر الوزارة ، والعذر انه لايتيسر مفارقة الوطن الا في طلب زيادة الدين او زيادة الدنيا ؛ امّا زيادة الدنيا والاقبال لطلبها « بحمد لله تعالى » قد تخلص القلب منهما (22) فلو أتوا ببغداد إلى طوس بدون اتعاب وهيّء للغزّالي الملك والمملكة صافية مسلّمة لم يكن منّي أي حركة ولا التفات قلب اليها) (23) فإذا التفت القلب اليها كان ذلك من مصيبة ضعف الإيمان لأنّ من نتائجه الالتفات إلى الدنيا فينغّض الوقت ويذهب بالحزم والتقوى في جميع الامور .

---

17) في (ج) « لم يفهموا كلام هؤلاء وما علموا ما هي حقيقة النظر إلى وجه الله » .
18) انظر فهرس الاحاديث .
19) في (ج) إلى درجة خاص الخواص .
20) القرآن الكريم سورة النحل الآيتان 108 ـ 109 .
21) بين الهلالين سقط من (ا) و (ب) .
22) في (ج) قد قام من عندي .
23) بين الهلالين سقط من (ا) و (ب) .

(وأمّا زيادة الدين فلعمري تستحق الحركة والطلب) (24) ولاشك أن إفاضة العلم هناك أيسر ، والاسباب أهيأ ، وطلبة العلم أكثر ، ولكن في مقابل هذه الزيادة لي اعذار دينيّة ، فإنّ هذه الزيادة من العسير ان تجبر تلك الأعذار .

العذر الأول : انّ هنا يحضر قريب من مائة وخمسين طالبا ورعاً ، منشغلين بالاستفادة ، فنقلهم إلى تلك المدرسة ، وتهيئة أسباب سفرهم متعذّر ، واهمالهم والتفريط فيهم على أمل الحصول على زيادة العدد غير جائز. انّ هذا ليشبه حالة عشرة ايتام كانوا في كفالة شخص تركهم ضائعين ليتعهد عشرين آخرين في بلد آخر. والموت والبلاء من القفا .

العذر الثاني : أنه حينما دعاني الصدر الشهيد نظام الملك « قدس الله روحه » إلى بغداد ، كنت وحيدا دون علائق وبدون أهل ولا أولاد (25) واليوم لي علائق وابناء فلا رخصة في تركهم وانجراح قلوب الجميع بأيّ عنوان كان .

العذر الثالث : أنّه لمّا وقفت على تربة الخليل ـ عليه السلام ـ (26) في سنة تسع وثمانين واربعمائة [489/1096] ، وقد مرّ إلى يومنا هذا خمسة عشر سنة ،نذرت ثلاثة : الأول أن لا أقبل من أي سلطان أيّ مال ، والثاني أن لا أذهب إلى سلام أي سلطان ، والثالث ان لا أناظر أحداً أبدا ؛ فإذا نقضت هذه النذر شوشت حالي ووقتي وسوف لايتيسّر لي أي عمل من أمور الدنيا ؛ وأما في بغداد فليس من المناظرة مفرّ (بدّ) (27) ولا يمكن الامتناع من سلام دار الخلافة . وعندما رجعت من الشام إلى بغداد ما سلمت على أحد (28) وسلمت لذلك . وبحكم انه لم أكن مرتبطا بأيّ وظيفة فكنت متزويا باختياري ؛ فلو كنت شاغل عمل لم أقدر أن أعيش سالما البتّة (29) فإنّ الباطن نفسه لايخلو من الانكار لهذا الانزواء ، ولذلك الباطن اغراض .

وأعظم الاعذار المعيّنة والمعتبرة انّني لا أقبض من السلطان شيئا . ولم يكن لي ببغداد ضيعة ، فيكون طريق المعيشة عليّ مسدودا . والدخل القليل من الضيعة التي لي بطوس يكفي معيشة هذا الضعيف والأطفال مع المبالغة في الاقتصاد والقناعة ، أما في الغيبة (30) فيقصر عن هذا . فهذه

---

24) بين الهلالين سقط من (ا) و (ب) .
25) في (ج) والنسل .
26) في (ج) صلوات الله عليه .
27) في (ج) بد .
28) في (ج) فلمّا وصلت من الشام إلى بغداد ما ادّيت هذا السلام وكنت مسلما بحكم انه ما كنت في شغل وهذا هو الاحسن .
29) مسّلما أي منقطعا عن الخلق وسليم البال .
30) في (ج) وفي الغياب من هنا .

كلّها اعذار دينيّة ، وهي عندي عظيمة ، ولو أن أكثر الخلق يهون عليهم مثل هذه الأعمال ، وفي الجملة فقد تقدم بي العمر وحان وقت الوداع والفراق لاوقت السفر إلى العراق . والمنتظر من مكارم الاخلاق قبول العذر (31) .

فليتصوّر ان الغزّالي وصل إلى بغداد ولبّى داعي الله تعالى ، أفلا يجب بعد هذا تدبير أمر المدرسة ؟ فليتصور (32) اليوم أن ذلك الغرض قد حصل ، ويسرّح هذا الضعيف (والسلام) (33) ارجو الله تعالى أن يزيّن صدر العالم بحقيقة الإيمان التي هي وراء صورة الايمان حتى يصلح (ويعمر) العالم بذلك الإيمان (34) . والحمد لله حق حمده وصلواته على نبيّه محمّد وآله الطاهرين أجمعين .

---

31) في (ج) قبول الاعذار .

32) في (ج) فليقدّر .

33) كذا في الأصل .

34) في (ج) والسلام (انتهى) .

الرسائل التي كتبها

إلى " شهاب الإسلام "

14 الرسالة التي كتبها له . ارشده فيها إلى معالجة القلب والاحتراز من مرضه والسعي في طلب شفاء القلب من الاطباء الالهيين وأرباب القلوب

بسم الله الرّحمن الرّحيم : حفظ الله المجلس السامي بسعادة الدين والدنيا ، وصرف الله نوائب الحدثان ودواعي الخذلان ، ومخادعات الشيطان من تلك الساحة الكبيرة والخاطر العزيز ، قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « داووا مرضاكم بالصدقة » والسابق إلى أفهام العوام من معنى هذا هومداواة القوالب ، والى أفهام الخوّاص مداواة القلوب « واين مرض القوالب من مرض القلوب » قال الله تعالى « في قلوبهم مرض » (1) . ومرض القلب مع خطورته هو الغالب (2) لأن المريض في القالب واحد من الألف « ولا ينجو الا بقلب سليم » (3) فكما ان علامة مرض القالب هي سقوط شهوة الغذاء من المشروب والمطعوم فعلامة مرض القلب ايضا هي سقوط شهوة غذائه « وهو ذكر الحيّ القيوم » . فكما انّه ليس للقالب ثبوت وحياة الا بقوة غذائه ، فالقلب ليس له حياة الا بمحبّة الله تعالى « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » (4).وكلّ من عاش بغير ذكر الله فقلبه ميّت « ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب » (5) وليس كل واحد مطلّع على القلب او يعرف غذاءه وسمّه « ان الله يحول بين المرء وقلبه » (6) .

وقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ « لاتجالسوا الموتى قيل : من هم يارسول الله ؟ قال : الاغنياء » (7) والغني عبارة عمن يبخل عن صرف ماله لمداواة مرض قلبه . والمقصود من المداواة

---

1) القرآن الكريم سورة البقرة الآية 10 .

2) في (ج) مع انه اكثر .

3) إشارة إلى الآية 89 « الا من أتى الله بقلب سليم » من سورة الشعراء .

4) القرآن الكريم سورة الرعد الآية 28 .

5) القرآن الكريم سورة ق الآية 37 .

6) القرآن الكريم سورة الانفال الآية 24 .

7) في (ج) وليس الغني من كثر ماله بل من امسك عن مداواة قلبه بماله .

بصرف المال ليس عين المال ، بل بتلك الوسيلة يمكن له أن يدخل في حماية طبيب يعرف علاج القلب ولايكون مريضا ، وطبيب كهذا عزّ وجوده في هذا العصر ، وفلان من جملة أطباء القلب وأرباب القلوب .

وأعلى مقامات القلب درجة التوحيد لا باللسان ولكن بالمعرفة والحال وهو في هذا المعنى صاحب معرفة وصاحب حال « والكامل الذي لايطفئ نور معرفته نور روعه » وهو موصوف بهذا . وبسبب ضرورة الحال كثرة العيال قام بمسعى ودلته إلى ذلك المجلس .

ومن أسرار الحقّ تسليط الحاجة والفقر على أوليائه ، حتى يقودهم بزمام الحاجة إلى الاغنياء وإيصال الاغنياء إلى درجة السعادة ببركة مشاهدتهم والسعي في استقرار بالهم « الله لطيف بعباده » (8) فيصنع لهم من عين الفقر بوتقة حتى يحرق اولياءه بنار المذلة ليطهّرهم من جميع العلائق ، ويصنع من سؤالهم لطيفة يسوق بها الاغنياء إلى حمايتهم ويسعدهم في كنف شفاعتهم .

فاللائق من المجلس السامي القيام بشرح خاطره وأن يسمع كلامه في خلوة فإنّ نفعه كبير وبركاته وافرة (والسلام) (9) .

---

8) القرآن الكريم سورة الشورى الآية 19 .

9) بين الهلالين سقط من (ا) و (ب) .

15

رسالة أخرى كتبها إلى « شهاب الإسلام »
في حق أحد الأشخاص ، قصد العناية به ، مشتملة على معان دقيقة ولباب اسرار الشريعة

أسأل الله تعالى أن يحضى المجلس السامي بتمام النعمة (1) ، والشكر على النعمة ، ومعرفة حقيقة النعمة (وتمام النعمة) (2) أن يكون وهو بعد في هذه الحياة « في مقعد صدق عند مليك مقتدر » (3) فإن استمرت هذه الحالة فهو دوام النعمة (4) (وان لم يلتفت قلبه بعد ذلك إلى غير الله فهو الشكر على النعمة ، فإن لم ير ذلك الا من الله بل لايرى الا الله فهو معرفة حقيقة النعمة) (5) .

والمقاعد قسمان : مقعد صدق ، ومقعد زور ، فمن قصر لحاظه على الحضرة الإلهيّة فهو في مقعد صدق ، وأما من أقام مع ما سوى الله فهو في مقعد زور ، قال الله تعالى : « أنا جليس من ذكرني » وقوله عزّ وعلا (6) « ومن يعشُ عن ذكر الرحمن نقيّض له شيطانا فهو له قرين »(7) . وفي حق جلساء الله (تعالى) (8) قيل « وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا » (9) وفي حقّ المغترين (10) بغيره قيل « كسراب بقيعة يحسبه الضمآن ماء » (11) ولا يليق (12) بعلوّ الهمّة استبدال الذي هوأدنى بالذي هوخير .

---

1) في (ج) ودوام النعمة .
2) سقط من (ا) و (ب) .
3) القرآن الكريم سورة القمر الآية 55 .
4) في (ج) فان لم يرد ذلك الا من الله تعالى فهو معرفة حقيقة النعمة .
5) بين الهلالين سقط من (ج) .
6) في (ج) وقال تعالى .
7) القرآن الكريم سورة الزخرف الآية 36 .
8) سقط من (ا) و (ب) .
9) القرآن الكريم سورة الإنسان الآية 20 .
10) في (ج) في حق المغترين .
11) القرآن الكريم سورة النور الآية 39 .
12) في (ج) ولايبقى .

قـال الشاعر :

ولـم أر مـن عيـوب النّـاس شيئاً (13) كـنقص القـادريـن عـلى التمـام

وعن عمر بن عبد العزيز (14) انه كان (15) يشترى لـه الثوب قبل الخلافة بألف دينار فيقول : ما أحسنه لولا خشونة فيه ، وكان يشترى لـه الثوب بعد الخلافة بخمسمائة دينار فيقول : ما أحسنه لولا لين فيه ، فقيل له في ذلك ، فقال : انّ لي نفسا توّاقة ذواقـّة ماذاقت شيئاً الاّ تاقت إلى ما فوقه ،حتّ ذاقت الخلافة وهي أجل مراتبها فتاقت إلى ما عند الله تعالى . وقد اذاق الله سبحانه وتعالى المجلس السامي أعلى المناصب في الدنيا وحان (16) لـه أن يتوق إلى ما فوقها مغتنمـا خمسـا قبل خمس كما ورد بـه الخبر . وليس بدعا على فضل الله تعالى أن يجمـع بين نعميـم الدنيا ونعيم الآخرة إنـه جواد كريـم .

وسبب الاختصار في الكتابة ـ الاّ بقدر التماس مستحقّي الايثار ـ هو التخفيف ، والملتمس لهذه الكتابة هو هذا الشيخ الكبير العزيز قد عمّر طويلا وخدم الشيوخ العظام ، وحصل على نصيب من بركات صحبتهم وقد تداعت احواله في آخر العمر وأدركه العجز والهرم ، وضعف عن الكسب . وقد أرشده الشيخ أبو بكر بن عبد الله الذي هو من جملة أوتاد الارض والجميع يتبركّون باتباع إشارته ، أن يستعين من ذلك المجلس الكبير . وطلب مني ايضا ان اعرّف هـذا الشيخ ففعلت تيمّنا بإشارته ، وتقرّبا إلى ذلك المجلس الكبير في التنّبه على هذه المكرمة والقربة أسأل الله تعالى أن يصغّر في عينه الدنيا وأن يفتح لـه ابواب ملكوت السمـاء ليرى الارض وما عليها مدرة بالاضافة اليها ، ويرى كلّ ولاية على ظهرها غبرة تدور حواليها . والسلام .

---

13) في (ج) ولم ار في عيوب الناس عيبا .

14) في (ج) زيادة رحمه الله .

15) في (ج) كـان كلما يشتري .

16) في (ج) وحـان آلان .

16 رسالة أخرى كتبها إلى شهاب الإسلام ليهنئه بخلاصه من سجن « ترمذ » (1) وينبهـه قدر النعمة

بسم الله الرحمـن الرحيـم (2)

قرن الله قدوم العزيز وركاب الرفيع الإمام الأجلّ « شهاب الإسلام » بيمـن النصرة ، وإقبال الدولة والتوفيق في الانكباب على الإخلاص في العبادة بكنـه همـّته ، وصرف الله آفات الأيام ومكايد الاشقياء عن تلك الساحة العاليـّة . وبارك الله في الخروج من صروف الزمان ، والوصول إلى وسط الاتباع والاقارب ، وجعل الله ما مرّ من الحوادث آخر آفة ، والانجلاء من الظلمـات مستمـر بدوامه ، والقلوب واثقـة بتمامهـا بأن همـم أعزّة الدين قد أعانـه في الحفظ من ذلك الخطر ، والحال في كـنف حفظ الله تعالى وكلأته أوصلك بمقـرّ العزّ وفي المستقبل ايضا فليستعن حتى يصل إلى منصب تـكون فيه أيدي نوائب الايام قاصرة عن نيلـه ، ولا يكون ذلك الاّ ان يعرض كليّا عن مراسم الدنيا ويجعـل كلّ مشغلته العبادة ، وحرفتـه نشر العلـم ، واتّكال الباطن كلـّه على فضل الله تعالى « قل بفضـل الله وبرحمته » (الآية) (3) لأن الاعتمـاد على حماية المخلوق ظهرت نتيجته « مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا » (4) فإذا حصلت هذه الحالـة في الاخلاص لله تعالى والاقبال عليه ، وقع في حماية « لااله الاّ الله » وقهـر الخلائق . واذا كان الاعتماد على حمـاية « العمرو » و « الزيد » فهذا بناء بني على أمواج البحر لأن التقـلّب والتـّغيّر جبلتان لقلب الإنسان ، وخاصـّة في هذه الايام ، فإن ما كان يوجد من الثبات ملازمـا لقلوب الوزراء (5) قد زال الآن .

اللهم لاتـكل ذلك المحتشم الكبير إلى الخلق واحمـه ، وأعطـه منصبا يكون إعراض الخلق وإقبالهم فيه حقيرين ومختصرين ، والله ولي الاجابة بمنّـه وفضله وسعة جوده (6) .

---

1) ترمذ : بفتح التاء وكسر الميم ، مدينة مشهورة من أمهات المدن الواقعة على نهر جيحون من جانبه الشرقي . وينسب اليها ، ابو عيسى محمّد بن عيسى بن سورة الترمذي الضرير صاحب الصحيح ، أحد الائمة . (معجم البلدان : ياقوت الحموي 1 ص 844)

2) سقـط مـن (ج) .

3) القرآن الكريـم سورة يونس الآية 58 .

4) القرآن الكريـم سورة العنكبوت الآية 41 .

5) في (ج) صـدور الاوائـل .

6) في (ج) والله ولي الاجـابة بفضلـه واحسانـه .

17

الرسالة (1) التي بعثها إلى « مجير الدين » (2)
في تهنئته بالوزارة والحثّ على تخفيف المؤونة ، وازدياد النظر في حق الرعية والتنبه إلى معرفة قدر هذه النعمة . تشتمل على انواع من التحذير والموعظة .

بسم الله الرّحمن الرّحيم قال الله سبحانه وتعالى : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة . ولاتنس نصيبك من الدنيا . وأحسن كما أحسن الله اليك » (ولاتبغ الفساد في الأرض) (3) . متعيّن على رأى « المجيري » أن يتأمّل في معنى هذه الكلمات الثلاث الالهيّة ، فإنّ كلّ واحدة منها بحر ، وفي مضمونها فوائد لانهاية لها . ولايمكن الغوص في هذه البحار الاّ ببصيرة الدين ، وكلّ من همته مستغرقة بعاجل الدنيا ، او اغلبها منصرف اليها ، فهومحروم من سرّ هذه الكلمة حيث قال « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة » . وقال في حقه « من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوفّ اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لايبخسون . اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الاّ النّار » (الآية) (4) . وكل منصرف إلى الكنز (والاكتناز) (5) والادخار والاستظهار والاستكثار فهو محجوب عن سرّ هذه الكلمة حيث قال « ولاتنس نصيبك من الدنيا » (6) فإنّ في شرح النصيب قال المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « ليس لك من مالك الاّ ما أكلت فأفنيت أولبست فأبليت او تصدقت فأمضيت » . وكلّ من جعل أمام همته شيئاً غير الله ولو كان الفردوس الأعلى فهو محروم من هذه الآية ، « وأحسن كما أحسن الله اليك » فالمصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ (7) شرح الاحسان

---

1) في (ا) و (ب) الرسائل التي ..
2) جاء عنوان هذه الرسالة ورسالتين بعدها : إلى « مجير الدين » ولكنّ هذا الاسم تحريف عن « مجير الدولة » وهو لقب الوزير علي بن حسين الارستاني . ويدل على هذا مخاطبة الغزّالي اياّه بلقب « مجير الدولة » في الرسالة الثالثة ، ولزيادة الايضاح انظر احواله في تراجم أصحاب الرسائل ص : 169 فما بعد .
3) القرآن الكريم سورة القصص الآية 77 وبين الهلالين سقط من (ا) و (ب) .
4) القرآن الكريم سورة هود الآيتان 15 ـ 16 .
5) سقط من (ج) .
6) القرآن الكريم سورة القصص الآية 77 .
7) في (ج) عليه السلام .

هكذا : « لمّا قال له جبرئيل عليه السلام : ما الاحسان ؟ قال : أن تعبد الله كأنّك تراه » فكل من أفاض الله سبحانه وتعالى عليه هذه النعم ، التي انعمها على ذلك الشخص الكريم ، يكون شكره لنعمة الله واجباً . والشكر هو معرفة درجات النعيم ، وان لايقتنع بنعمة تكون وراءها نعمة اخرى ، ويكون تشوّق همته إلى اقصى درجات النعم وتكون معرفته ووسيلته في ازدياد مطرد حتى يكون عمله كل يوم في رقي ، فذلك حقيقة الشكر لأنّ كلّ ما هو زائد عن طريق الادراك ليس بشكر ، وفي المصحف المجيد حدّد الشكر على هذا النسق « لئن شكرتم لأزيدنكم » (8) ومثل هذا الشكر فعله عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه : « كان يشتري الثوب قبل الخلافة بألف ويقول ما أحسنه لولا الخشونة (9) فيه و (كان) (10) يشتري بعد خلافته الثوب بخمسة دراهم ويقول ما أحسنه لولا لين فيه . فقيل له في ذلك ، فقال : ان لي نفسا تواقة ذواقة ما ذاقت شيئاً الاّ تاقت إلى ما فوقه حتى ذاقت الخلافة وهي أعلى المراتب في الدنيا فتاقت إلى ما عند الله ، « واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا » (11) .

وما أدى حقيقة شكر نعمة الدنيا الاّ من عرف الدنيا ، وما عرف الدنيا بالحقّ الاّ من أعرض عنها ، وعرف بالحقّ ان ليس في الدنيا منصبا عظيما الاّ والاستغناء والترفع عنه أعظم ، المعرضون عنها ثلاث : فرقة منهم لم يروا من الدنيا الاّ العيوب والآفات ، فهؤلاء قالوا : « تركنا الدنيا لسرعة فنائها وكثرة عنائها وخسة شركائها » فإنّ هذه ولو كانت من أدنى الدرجات ، ولكنّها بالاضافة إلى الذين هم غافلون عنها درجة كمال .

وفرقة أخرى كانت بصيرتهم أنفذ من هذه ، حيث وقعت أبصارهم على كمال مملكة الآخرة فقالوا : ولوكانت الدنيا مهنأة خالية من الآفات الحتميّة فلا تطلبها لأنها حجاب عن مملكة الآخرة وتلك اقرب إلى الكمال ، والقناعة بالناقص عين النقصان ، وقد كشف لهم سرّ هذه الآية : « والآخرة خير وأبقى » (12) فاعتبروا وقالوا « لو كانت الدنيا من ذهب لايبقى ، والآخرة من خزف يبقى لوجب على العاقل أن يؤثر خزفا يبقى على ذهب لايبقى ، فكيف والدنيا من خزف لايبقى والآخرة من ذهب يبقى » .

---

8) القرآن الكريم سورة ابراهيم الآية 7 .
9) في (ج) لولا خشونة فيه وكان يشتري اليه الثوب بعد الخلافة بخمس ...
10) سقط من (ج) .
11) القرآن الكريم سورة الإنسان (الدهر) الآية 22 .
12) القرآن الكريم سورة الأعلى الآية 17 .

وفرقة سبقت هذه الدرجة وأزالت الدنيا والآخرة من همّها ، وقد كشفت لهم هذه الآية : « والله خير وأبقى » (13) وقد رأوا جلال هذا المنصب حيث قال : « في مقعد صدق عند مليك مقتدر » (14) فاعتبروا منها وقالوا كل ما هو في الجنّة موصوف فهو حظّ الحواس ولا يخلو من المشروب والمطعوم والمشموم ، والمنظور والملموس ، وهذا ما تشترك فيه البهائم ، والرضى بما ترضاه البهائم نوع من البهيميّة ، فتوجهوا من حضيض درجة البهائم إلى أفق مملكة الملائكة الذين من خواص مرتبتهم ملازمة حضرة الجلال : « يسبّحون الليل والنهار لايفترون » (15) . هذه هي النهاية « وإن إلى ربك المنتهى » (16) . ووراءها أسرار لارخصة للقلم واللسان في شرحها .

أيد الله سبحانه وتعالى رأى الثاقب « المجيري » بتوفيقه حتى لايقتنع من هذه الدرجات الاّ بالمجد الاقصى ، ويتأمّل في هذه الكلمات ، ولا يظنّها من جملة الكلمات الملفّقة المعتادة فإن في كل فصل من هذه القاعدة والاساس سرّا من أسرار الدين ، الذي عين العلماء العادين عن ملاحظة مبادئه قاصرة « فضلا عن أقاصيه » (17) .

ان هذا الداعي من بعد تلك المدّة التي كنت سعيدا بمشاهدة الكريم في بغداد ، ما كنت تاركا عن أتيت في سفر الشام والعراق والحجاز (18) الدعاء والثناء ، وافاضة شكر الايادي التي كانت لذلك الجناب الرفيع ، وفي هذه المدّة اخترت الزاوية ، واجتنبت مخالطة السلاطين ومكاتبتهم ، وقيدت اللسان والقلم « الاّ ما شاء الله » .

الباعث على مخالفة المعتاد في هذه الفاتحة شيئان :

الأول هيجان الشرق بسبب قرب المزار ، والاستبشار بهذا الفتح الميمون ، والفرح بسعادة تيسرت لأهل هذا الاقليم بإشراق أنوار نظر « المجيري » الذي اعطى للقلم واللسان حركة طبيعيّة (19) لا اختياريّة .

والثاني انه قد طرق إلى هذه الناحية خلل كثير في هذا الوقت ، وكلّ واحد من الأكابر قصد مكانا غير هذا بسبب استشعار (20) غالب في هذا الوقت .

---

13) القرآن الكريم سورة طه الآية 73 .

14) القرآن الكريم سورة القمر الآية 55 .

15) القرآن الكريم سورة الأنبياء الآية 20 .

16) القرآن الكريم سورة النجم الآية 42 .

17) في (ج) فضلا عن إفاضته .

18) في (ج) إلى الشام والحجاز والعراق . وهذا أقرب إلى الصواب .

19) في (ج) طبعي لا اختياري .

20) في (ج) استبشار .

وفلان بسبب الإخلاص والاختصاص الذي له في موالاتكم قصد أن يسرع إلى ذلك الجناب الكبير ويعرض نفسه ، ويؤدّي عادة التهنئة في الإقامة ، وخروجه كان سببا لازدياد الاضطراب بسبب خلو المدينة ، ولكن شاور الداعي ، وكان من الصواب ان يتوقف في هذا الوقت وينتشر أمر العالي وهذا الداعي بحكم اعتمادي على رأيكم الثاقب ، ودينكم المتين ، وكرم عهدكم ، ضمنت وقوع هذا الطلب بمحل الاعتماد ، لأن مصالح الرعيّة على ذلك المجلس الكبير أولى من أقامة المراسم .

وبحكم ارتباطه بجملة أتراب بيت « النظامى » ، وغزارة الفضل ، وحسن السيرة ، ورفع اليد ، والشفقة على الرعية ؛ والرجوع من حدّة الشباب إلى الوقار والسكون في بداية الأمور ، وحسن التدبير الذي كان نتيجة للتجربة والممارسة ، اعتمدوا عليه في رئاسة هذه الناحية من الحضرة العليا فالمتوقع من المجلس العالي الاستمرار في تقريره وتأييده وأصدار الاوامر حتى يظهر أثر اختصاصه في الاخلاص .

وحيث ان منصب الرئاسة بحاجة النائب مع الكفاية والحصافة ، وفي هذه المدّة التي اعتمدوا فيها على فلان ، الذي ما كان له نظير في النسب والعلم والكفاية والديانة في أبناء جنسه ، وبدون استدعائه فوض له الحكم ولكن توقف هو في قبوله حيث ان الايام كانت مضطربة ، وهذا الداعي قد رغبه كثيرا ، مصلحة للرعيّة ، وكان وما زال متوقفا ومتردّدا ، ولم يكن له ملابسة تامّة في هذا العمل ولكن الآن الرجاء أن تنتظم الأمور ويحصل التوافق بين أكابر الايام ، فيتعين على رأى العالي الأمر بهذا المعنى ، حتى يزيل التوقف والتردد اذ لو كان من ذلك الجانب الكبير اشارة لحصلت بها للقلوب الطمأنينة والاعتماد .

وبالجملة ينتظر التأمّل الخاص في أمر طوس لأنّها مدينة متحليّة باهل الدين والورع ، ويكون دعاؤهم حصنا حصينا ، وآفة الناحية أن تغلب على أعيانها الاقوال المتفاوتة والمغرضة ، بحكم الحسد والتعصب اللذين هما سجيّة أكثر الخلق في كلّ الظروف ، وليكن له في هذا المعنى توقف وتثبت (21) تامان ، وسيقدّم فلان الذي هو بمحل الاعتماد (من مجلس فلان ومن سائر الجوانب) (22) تفصيل هذه الاحوال ، وأعين أهل الناحية في الطريق حتى يتم رجوعه في أقرب وقت متضمنا للفرامين الميمونة حتى تهدأ قلوب أهل الناحية ، ويستمر مدد الدعاء (والله تعالى يستجيب ادعية المسلمين في الجناب العالي المجير الذي هو كهف الدنيا والدين) (23) والسلام (24) .

21) في (ج) تلبثــا .

22) سقـط مـن (ج) .

23) بين الهلاليـن سقـط من (ج) .

24) سقـط مـن (ا) و (ب) .

18 رسالة أخرى كتبها « لمجير الدين » (1)
مشحونة بالأسرار والتحذير والانذار ، كأنها رموز واستار لا بل هي غمـز الأسـرار

بسـم الله الرّحمن الرّحيـم ـ قال الله تعالى : « استجيبوا لرّبكم من قبل أن يأتي يوم لامـرد لـه من الله ما لـكم من ملجأ يومئذ وما لـكم من نـكير ، فإن أعرضوا فمـا ارسلناك عليهم حفيظا ان عليك الاّ البلاغ » . (2) « يوم لامردّ له » هو يوم الموت الذي لاتنفع فيه الندامة والتّحسر « فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا » (3) . والبلاغ هوما قاله (الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ) : « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والاحمـق من أتبع نفسه هواها وتمنّى على الله » .

والاستجابة أن يشتغل بتدبير زاد الآخرة « ولا يأخذ من الدنيا الاّ قدر زاد الراكـب » . وزاد الآخرة هوأن يغيث نفسه (4) ويغيث خلق الله الأسرى في يد الظالمين ، وكلّ من يغيث هؤلاء يكون لقبه في السمـاء « مجير الدولة » و « الالقاب تنزل من السمـاء » كما قال عيسى ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ « إنّ من علم وعمل وعلّم فذلك يدعى عظيمـا في ملكوت السمـاء » . وكلّ من لقبه في السمـاء يوافق حاله يخلص نفسه من الشر والغضب والشهوة والشره والكبر والرعونة .

فإن هؤلاء الظالمين جنود الشياطين ، والعقل الذي هو من حزب الله تعالى ومن جنوده أسير في يد هؤلاء قائم بخدمتهم ، وباذل جميع مساعيه لاستنباط الحيلة لإتيان الشهوة والغضب كيف ماكان وأين ماكان ، فكلّ عقل أطلق سراحه من رقّ عبوديّة هذه الصفات يليق لمطالعة حضرة الربوبيّة . قال النبي ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ (5) « لولا الشياطين يحرّمون على قلـوب بني آدم لنظروا إلى ملـكوت السموات » . فكلّ من خلصّ عقله من هذه الصفات وجعله لائقا لحضرة الربوبيّة . يكون لقبه في السمـاء « مجير الحضرة » .

---

1) انظرت (2) على الرسالة (17) أعلاه .

2) القرآن الكريم سورة الشورى الآيتان 47 ـ 48 .

3) القرآن الكريم سورة غافر الآية 85 .

4) في (ج) ثم يغيث .

5) في (ج) عليه السلام .

المنتظر من كمال عقل « الوزير الذي هو أبصر وأشدّ تمييزا من جميع وزراء هذا الوقت أن يعرض نفسه على هذه المعاني ويحقّق بنفسه لقبه ويطلبه (6) » من قبل أن يأتي يوم لامردّ له من الله » (7) فإن ما هو آت قريب ، والبعيد ما ليس بآت .

وأمّا اغاثة الخلق فواجبة على العموم ، حيث ان الظلم قد جاوز حدّه ، وقد مضى ما يقرب من سنة منذ هجرت طوس حتى أتخلّص من مشاهدة الظالمين الذين لارحمة ولاحرمة (8) لهم ، وبحكم الضرورة أتيح لي الرجوع فوجدت الظلم متواتراً كما كان وعذاب الخلق باقيا ومتزايدا .

وامّا الوجه الآخر الذي ينبغي التخلص منه (هو الصفات البشريّة) (9) حيث إنه سبب مذلة الدنيا وعذاب الآخرة ، « وذلك هو الجهاد الأكبر » . وعلامة الظفر والتوفيق في هذا الجهاد المعنوي هي السلطة الحقيقية والسلطنة الواقعيّة ، فإن ملوك الارض بعد تحمل المشاق يترفعون حتى يستخدمون الغلمان الاتراك لنيل شهواتهم ، وحفظ سيادتهم فإذا كان اجتهاد الإنسان في تهيئة الالبسة الظريفة والجباب الطريفة الغاليّة ، ظل أسيرا للظرافة والرعونة ، وفي الحقيقة ما هو الاّ امرأة في صورة رجل .

وان جدّ واجتهد حتى يخدمه السوقة والاعوان فهو أسير الكبر والاستكبار ، فهو في الحقيقة جاهل في صورة عاقل . فهذا الانسان لايدري أن في خدمة الترك له (10) مائة الف عيب ومعرّة (11) في الدين والدنيا ، وان في خدمة السوقة والاعوان وغيرهم لايكون مزيد شرف أو فضيلة له . واذا تأمّل عرف بانّهم لايخدمونه بل يخدمون أطماعهم وشهواتهم ، وان ثناءهم ومدحهم واظهار مودتّهم غير خالصة له وفي الحقيقة صداقتهم ليست الا لتلك الدراهم الخسيسة المأخوذة منه ، فهي مسخرة وواسطة لأطماعهم يخدعونه بالخدمة واظهار الصداقة ، فإذا سمعوا ارجافا بان المخدوم يفكّر في عزلهم وتوليّة الآخرين ، أعرضوا عنه واتخذوا عداءه (12) أضعاف تلك الخدمة ، فإذا تأمّل يكون فرحه بتعزيز (13) الناس ومضاحكتهم ، وبناء شرفه في الترفع عن خدمة الغلمان الترك « وهم في خدمتهم يقلّبون عليه العالم ضيقا وظلما كجهنم » .

6) في (ج) زيادة : من نقمه .

7) القرآن الكريم سورة الروم الآية : 43 ، وسورة الشورى الآية 47 .

8) في (ج) حركة .

9) سقط من (ا) و (ب) .

10) يشير الغزالي إلى العادة السيئة التي كانت منتشرة لدى السلاطين والخلفاء والامراء ، وهي استخدام الغلمان الترك لمقاصد غير مشروعة . يشير إلى كثير منها عماد الاصفهاني في تاريخ دولة آل سلجوق انظر ص 243 و 248 من تاريخه .

11) في (ج) مضرّة .

12) في (ج) خدمة عدوه .

13) في (ج) بتحذير .

وقلب الإنسان أشد تقلباً من القدر في غليانه ، وضعيف الشرف يكون رهنا لميل قلب المخدوم ، وانه لأوهن من بيت العنكبوت « مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء » (14) . والشرف الثابت ما يكون بناؤه على المعرفة والحريّة « والباقيات الصالحات » . والمعرفة هي أن يرى غـرور الدنيا وغورها وشرف الآخرة وحريّتها ، حتى يتخلّص من رقّ صفاته بحيث لوأن جميع ملوك الدنيا ارادوا خدمته لترفّع عن ذلك ، واذا رأى في باطنه التفاتا اواعتدادا إلى ذلك وجب عليه أن يواسي هذه المصيبة بأنّه مازال عبدا فقيرا عاجزا ويكون فرحه وحزنه متعلقين بغيره وبمن لايحتمل عليه ، وما قاله رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لعليّ رضي الله عنه : « اذا تقرّب النّاس إلى الله بأعمال البرّ فتقرّب أنت إلى الله بعقلك » قاله لهذا ، فمثل المتقرب بعقله كمن له الكيمياء ، ومثل المتقرب بأعماله كمن لـه دراهم معدودة غايتها صدقة عدّة ايّام لأنّ المتقرب بعقله ، يتفكّر بدقّة في حقيقة الأمور حتى تكشف لـه حقارة الدنيا ويزول قدرها من قلبه ، ويقول « طلقت الدنيا ثلاثا » (15) كما قال علي ـ رضي الله عنه ـ (16) . وإذا لم يظهر هذا العقل لن تتكشف حقارة الدنيا ، ولاتنعدم علاقات عبوديّة الدنيا ، وما بقيت عبوديّة الدنيا لايتجلى جمال الربوبيّة . ومعنى سعادة الآخرة مشاهدة جمال الربوبيّة التي نعبر عنها في لسان الشرع « بالرؤية » . وكل من كان سعيه مقصوراً على الجنة والحور والقصور لايكون من زمرة اولياء الله تعالى ، فإن تقربـّه كتقرب اعوان الملوك والوزراء ، فإن محبوبهم ومطلوبهم الغرض الحاصل منهم . « ومن أحب شيئاً لغيره فإنّما محبوبه ذلك الغير فقط » . وحيث إنّ الله تعالى قد أنعم بالعقل الكامل على ذلك (الوزير) (17) الكبير « فلا أرضى (له) » (18) الاّ ان يتقرب إلى الله بعقله ليلتحق (19) بذوي الألباب ولا ينخدع بلامع السراب » .

وأما إقبال الخلق على الدنيا وإعراضهم عن الآخرة فبسبب الغفلة وقلة العقل ، فإنّ الشهوات قد أخذت بخناقهم بحيث لايجدون فراغا للتفكر في هذه المعاني . والذي صرفه عقله عن سلوك طريق الآخرة فله سببان لاغير : الأول ان يكون أسير صفة من صفات النفس بحيث لايمكن لـه ترك المقام والمال وتحمل شماتة الاعداء « ولا علاج لـه إلاّ عزمة من عزمات الرّجال ،

---

14) القرآن الكريم سورة العنكبوت الآية 41 .

15) في نهج البلاغة من كلام أمير المؤمنين علي عليه السلام : يادنيا غرّي غيرى فانيّ طلقتك ثلاثا لارجعة فيه .

16) في (ج) كرّم الله وجهه .

17) سقط من (ج) .

18) الزيادة من (ج) .

19) في (ج) ليلحق .

والنظر إلى النفس الفاجرة (20) بعين الاستحقار ، والترفّع بعلّو الهمة عن مضاهاة الأرذال . ويكفي صارفا عن الدنيا كثرة عنائها وسرعة فنائها وخسّة شركائها » . والسبب الآخر أن يكون متوقفا في أمر الآخرة بحكم شبهة أو قصور بصيرة ، وليس بعجيب إذا قاس أحد أمر الآخرة على قياس المحسوسات والمتخيّلات ولم يطابق ، ثم بقي متوقفا ، فإنّ فرقة ايضا توقفت في مدبّر العالم ، تفحصت بقياس الحسّ والتخيّل ولم تتمكن فتوقفت في الأصل » . فعلاج هذا الشخص أن يتّهم نفسه ولا يظن أن بصيرته محيطة بجميع الغوامض ، ويشتغل بالسؤال والاستكشاف ، « فأسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون » (21) . فكما انه يتحقق للطبيب بالبرهان بان الروح باقيّة إلى مدّة ، والأطعمة أكله والسموم هلاكه ، فكذلك قد تحقق لنا بالبرهان لابطريق تقليد الأخبار والآثار ، بأنّ لحقيقة الانسان البقاء الأبدي وليس للعدم اليه سبيل أصلا ، ونجاته في التحرر من الصفات البشريّة ، وسعادته في حقيقة المعرفة لحضرة الربوبيّة « على ما هي عليه من الجلال والعظمة » ، فالنجاة شيء والسعادة شيءٌ آخر وقد تيسّر شرحهما لابطريق الطامات التي أكثرها تخيّلات شاعريّة تفيد طعمة العوام ، ولا بطريق خطابيّة تفيد قوة الخاصّ والعام ، بل ببرهان حقيقي عقلي ، هو دواء لخواصّ المحققّين .

فالواجب على صدر العقلاء أن يحاسب نفسه حتى يعرف ما هو صارفه ، ويشتغل بعلاجه حتى يكون قد أغاث نفسه اذا لم يغث الخلق ، (والسلام) .

---

20) في (ج) إلى النفس العاجزة .

21) القرآن الكريم سورة النحل الآية 43 .

19 رسالة أخرى كتبها « لمجير الدين »
في معنى رعاية الإنصاف والعدل وحسم مواد الظلم من الرعيّة

بسم الله الرّحمن الرّحيم ـ قال النبي ـ عليه الصلاة والسلام والرضوان ـ (1) « من أحسن اليكم فكافئوه » (الحديث) الصبر على سماع كلمة الحق إحسان تامّ (2) ولذلك فإنّ المجلس العالي يستوجب الدعاء « وأنا أسأل الله تعالى أن يرزقه معرفة حقيقة السعادة وان يخصه بها وأقول (3) إن السعيد من وُعظ بغيره » .

وأوّل من حرم من هذه السعادة هو « تاج الملك » (4) حيث إن خاتمة حال « نظام الملك » قالت له بلسان الحال : « إنّ أمرا هذا آخره لجدير أن يترك أوله » ولم يتّعظ بهذا فجعل الآمال الطويلة أمامه ، وقال مع نفسه : إن نظام الملك كان شيخا كبيرا ، وعمّر طويلا ، وأما نحن فما زال العمر أمامنا ، فالتقدير السماوي قد كشف غروره في أسرع زمان ، فكان لابد أن يعتبر من هذا « مجد الملك » (5) متيقظا (6) ، لكن غرّته نفسه ، وقال : إن للنظامي غلمانا كانوا خصوما له ، وهو منسوب إلى المخالفة والخيانة ، وامّا نحن ففارغون عن مثله ، فلننتقم من الأيام ونسوق الولاية على ما نريد ، ولكن الأيام في مدة قريبة كشفت غروره ، وقالت له « او لم نعمّركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير » (7) .

---

1) في (ج) قال عليه الصلاة والسلام .

2) في (ج) احتساب تام .

3) في (ج) ويقول .

4) تاج الملك هو ابو الغنائم مرزبان ابن خسرو فيروز القمي المعروف بابن دارست (438 ـ 486 هـ) تصدر وزارة ملكشاه بعد قتل نظام الملك الكبير ، ولكن ما لبث كثيرا إلى أن قتله النظاميّة (الحرس النظامي) وجماعة من اصحاب النظامي ، لانه كان متهما في اغتيال نظام الملك الكبير . انظر ترجمته ص : 173 .

5) هو أبو الفضل مجد الملك القمي كان وزيرا لسلطان بركيارق السلجوقي قتله جماعة من الأمراء بحضور السلطان سنة (492 هـ) وكان له من العمر (50) سنة (انظر ابن الاثير في وقائع سنة 492 ، ودستور الوزراء للعقيلي .

6) في (ج) متعظا .

7) القرآن الكريم سورة فاطر الآية 37 .

فكان لابد أن يعرف « مؤيد الملك » (8) عادة الايّام ، أنّه كلّما تكرّر وصل للغاية فانّه قد تمّ ثلاث مرّات ، ولكنّه ايضا قال مع نفسه : ان القوم ما كانوا يستحقون هذا المنصب مثلي ، ولكن ما مضى من الأيام أظهر من حاله بالبرهان بان هذا كله غرور . والآن دارت النوبة إلى « مجير الدولة » (9) حيث لم يبق في الأقاليم وزير غيره ، وينادونه من حضرة الربوبيّة : « أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك لآيات لأولى النهى » (10) ، ويقولون : يا من أنت أعقل الوزراء إيّاك أن تقطع نسبك من أولى النهى فإنّ في ذلك لآيات ولكن لأولى النهى فإنّ هذه الطبقة الماضية قطعت هذا النسب ، فتأمل تماما في احوالهم : وانظر « كم تركوا من جنّات وعيون » (11) . وحاسب نفسك حين تمرّ الأيام على ما تريد ، هيهات ما يكون آخرها « أفرأيت ان متعنّاهم سنين ، ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ، ما أغنى عنهم ما كانوا يمتّعون » (12) .

اعلم أنّه ما ابتلى وزير بما أنت مبلى به ، ولم يكن في زمان أي وزير مثل هذا الظلم والخراب ، ولو أنك كاره ذلك . جاء في الخبر : ان يوم القيامة يوم يأخذ الله الظّالمين وأتباعهم بظلمهم حتى الذين برى لهم القلم أومدّ لهم الدواة » (13) . وليتيقّن أنه لا أحد يهتمّ بأمره ، فليتدبر نفسه ، وليعلم انه لاتحصل سعادة الدين والدنيا الاّ بالانقطاع عما هو فيه . واذا لم يتيسّر هذا ، وفاته سلامة الدنيا ، فليصرف جميع همته في تدبير زاد الآخرة ، ولا يجد زادا أنفع من (دفع) منع الظلم ، وخاصّة عن أهل هذه الناحية ، فإنّ المسلمين قد بلغ جرحهم إلى العظم وأصبحوا مستأصلين ، فكلّ دينار من الضرائب المفروضة عليهم قد أدته الرّعيّة بأضعاف ولم تصل إلى السلطان بل استبد بها أراذل الاعوان ، وضعفاء الظالمين . وكلّ من أتى من ذلك الجانب للتعرف والتدارك سبق ظلمه الماضين .

---

8) انظر ترجمته في التراجم آخر الكتاب ص : 185 .

9) انظر (ت) (2) الرسالة (17) اعلاه .

10) القرآن الكريم سورة طه الآية 128 .

11) القرآن الكريم سورة الدخان الآية 25 .

12) القرآن الكريم سورة الشعراء الآيات 205 ـ 207 .

13) جاء هذا الحديث في رسالة بعثها إلى بعض اهل عصره (قاضي المغرب) كما يلي : « أنّه ينادي مناد يوم القيامة أين الظلمة واعوانهم فلا يبقى احد منهم مدّ لهم دواة أوبرى لهم قلما فما فوق ذلك الاّ حضروا ، فيجمعون إلى تابوت من نار ويلقون في جهنم » .

فقد انقطع الأمل لتلافي الماضي ، ولكنّه لم تنقطع شفقة « المجيري » وعطفه بـأن يبذل جهدا كاملا في حسم هذه المادة في المستقبل ، وأن يقدّم الارشاد الممكن لأهل الناجيّة على طريق الاستغاثة والترتيب ، والتمشية لأمر المتظلمين ، ويدّخر لنفسه من هذه السعادة والعناية حصنا لنفسه من آفات الايام بدعاء المسلمين . والله تعالى ينصره ويؤيّده ويرشده إلى طلب سعادة (14) الدين بالدنيا ويسدده بمنه وفضله ، (والسلام) .

---

14) في الأصل: السعادة .

الباب الثالث

في الرسائل التي كتبها للأمراء وأركان الدولة

قال الله تعالى : « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لايريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين » (1) . النجاة في الآخرة مرتبطة بشرطين : عدم طلب الاعتلاء ، والبعد عن الفساد.

أما من طلب الولاية والإمارة فطلب علوه معلوم ، وكلّ من اشتغل باللهو ونشاط الشباب والجهّال فبالفساد موسوم . وبدون حصول شرط النجاة ، أمل النجاة عين الغرور ، والانكار بأن هذا ليس بشرط النجاة تكذيب للقرآن . واليأس من نجاة الآخرة والرضا بالشقاوة ليس من عمل العقلاء ، فماذا يتصور الذي جمع اليأس من النجاة والاشتغال باللهو والنشاط ؟ قد يقول : إن الله عزّ وجلّ كريم رحيم ، هذا صحيح ، وهو ايضا صادق في اضافة هذه الصفات ، حيث يقول « ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم » (2) . اوعلّه يقول سأتوب ، وهويعلم بأن هذه أمنيته منذ سنين والشيطان كل يوم يمنعه بحيلة الغد ، ويحول بينه وبين التوبة . وهو لامحالة ذاهب في هذا الوعد سنين أخرى ، أكان له سند على العمر المقدر ؟ أم انّه يعرف ما بقي من أجله ؟ أم له عهد وميثاق من ملك الموت ؟ أم أنه لم يعرف ان الشيطان كم أحرق الحصاد بعشوة التسويف « هيهات هيهات » . قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلّم ـ أكثر صياح أهل النار من سوف » .

في آخر العمر تكون مع هذا الخطر ومع ذلك تقضي الأيّام في اللهووالفراغ ، فلاسبب لذلك الاّ الأمن والغفلة . وهما كيمياء جميع الشقاوات « أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنابياتا وهم نائمون » (3) . أيقظ الله تعالى الجميع من نوم الغفلة ، وخصّص ذلك القلب العزيز بلطائف التّنبيه فإن أحد الأولياء (4) في هذه الأيام حكى مناما في حقّ ذلك المحتشم وكان مشعرا بخطر

---

1) القرآن الكريم سورة القصص الآية 83 .

2) القرآن الكريم سورة الانفطار الآيتان 13 ـ 14 .

3) القرآن الكريم سورة الاعراف الآية 97 .

4) في (ج) أدام الله ايّامه .

عظيم في أمر الآخرة أشغل قلبي للغاية وليس في يدي (شيئاً) (5) الا ّ الدّعاء بالقلب والتنبيه باللسان والنصيحة بالقلم .

فإذا أيقن بانّني أشفق عليه ما لا يشفق هو على نفسه أحكم عليه حكما واحدا : أن يجتنب المسكر ، اذا لم يقدر على رفع يد الظالمين ، فإن حبال الظلم والفسق اذا تآزرت واتحدت قلّ أن تنفكّ قبل الموت . الشيبة البيضاء في شربة النبيذ لاتليق أبدا . إن نظام الملك في مشيبه تاب من جميع الكبائر وعرف بان ظلم الوزارة يكفيه من الفسق والفساد ، وما شرب الخمر ولو شربة ، واستمر على التوبة حتى نهاية العمر ، وقد يقول : ان ملك المشرق (6) لم يسمح لي أن أتوب ، فإنّ هذا العذر غير مقبول عند الله تعالى (وعندالخلق) (7) « لو صحّ منك الهوى أرشدت للحيل » فإذا أنت غرست غرسا صادقا ، يرجى ان يتوب الملك ببركته (8) ، فإنّه قد قيل : كلّ ما كان شرط الصداقة ، والله وليّ التوفيق ، « الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدوّ الا ّ المتقين » (9) . والسلام (10) .

---

5) سقط من (ا) .

6) في (ج) ملك خراسان . أحد القاب الملك سنجر انظر التعاليق آخر الكتاب 156 ت رقم 9 .

7) سقط من (ج) .

8) في (ج) بواسطته .

9) القرآن الكريم سورة الزخرف الآية 67 .

10) في (ج) وصلى الله على محمّد وآله اجمعين .

رسالة كتبها لسعادت خازن

21 رسالة غريبة بديعة ، مشتملة على طرف وتحف ومعان دقيقة كأنها أم الفضائل وسيدة الرسائل (1) .

(بسم الله الرّحمن الرّحيم)(2) «وإن من شيءٍ الاّ عندنا خزائنه وما ننزّله الاّ بقدرمعلوم»(3) . خزائن جميع الملوك متناهيّة وخزائن (4) ملك الملوك لانهاية لها ، واحدى خزائن ملك الملوك هي السعادة ، ومنها الشقاوة ، وكلتاهما في غيب الغيب مستورة ، ولكلتيهما مفتاح يسمّى احدهما الطاعة والآخر المعصية ، وانّ لهذين المفتاحين خزينتان من خزائن الغيب (5) تسمّى احداهما التوفيق والأخرى الخذلان ، وجوهر التوفيق والخذلان في خزانتين أخريين أخفى من الكلّ ، تسمّى احداهما الرضا والاخرى السخط ، وجوهر الرضا والسخط في خزانتين تقصر عنهما أوهام العوام وأفهام الخواص الاّ الصديقين والعلماء الرّاسخين وليس للعبارة اليها طريق ، ولا لاستنباط العلماء والصديقين مجال ، وأنى لهم بمثل هذا التعبير ، ولقد جاء في السعادة : « ان الذين سبقت لهم منّا الحسنى ..»(6) وجاء في الشقاوة «لقد حق القول على أكثرهم ..»(7) وفي سرّ المعنى الوارد في هاتين الآيتين أعجوبة القضاء والقدر ، وكلّ من وصل معراجه إلى سماوات الخزائن إلى هذا المقام يقولون له : كن أصم أبكم ، واحبس اللسان لأن « القدر سرّ الله فلا تفشوه » (8) ووراء هذا سرّ الأسرار وخزينة الخزائن التي هي مصدر ومنبع لجميع هذه الخزائن ، والتعبير عنها

---

1) بين الهلالين سقط من (ج) .

2) سقط من (ا) و (ب) .

3) القرآن الكريم سورة الحجر الآية 21 .

4) في (ا) و (ب) خزينة .

5) في (ج) وان هذين المفتاحين في خزينتين من خزائن الغيب .

6) القرآن الكريم سورة الانبياء الآية 101 .

7) القرآن الكريم سورة يس الآية 7 .

8) ويقول الذهبي ؛ ومما أخذ عليه (أي على الغزالي) أنه قال «إنّ للقدرسرّا ، نهينا عن إفشائه . فأيسرّ للقدر؟ فإن كان مدركا بالنظر وصل اليه ولا بد ، وان كان مدركا بالخبر فأثبت فيه شيئاً ، وان كان يدرك بالحال والعرفان فهذه دعوى محضة ، فلعله عنى بإفشائه أن نتعمق في القدر ونبحث فيه . (سيرة الغزّالي : عبد الكريم عثمان ص 78 عن سير اعلام النبلاء : للذهبي) .

قد ضاق جدا ، فان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ (9) في الترقّي إلى هذه المقامات قال : « أعوذ بعفوك من عقابك » ، ثم ترقّى وقال « أعوذ برضاك من سخطك » ثم ترقّى وقال : « أعوذ بك منك » ؛ فأراد أن يترقّى فوجد الطريق إلى حجاب العزّة مسدودا فقال : « لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » . وأما العلماء فكان لهم الطريق حتى مقام « أعوذ برضاك من سخطك » أما مقام « أعوذ بك منك » فلا طريق لغير الأنبياء اليه ، ووراء هذا عوالم ليس للأنبياء ولا للعلماء طريق اليها . فجميع الصدّيقين والأنبياء حين أتوا إلى هذا المقام ما كان نصيبهم الاّ الدهشة والحيرة والعجز ، فيذوبون في العجز (10) والشوق ، ويقولون : « سبّوح قدّوس » . وسيّد الأنبياء ـ صلوات الله عليه ـ يؤدّي نوحة عجزه بهذه العبارة « لا أحصي ثناء عليك (11) أنت كما أثنيت على نفسك » وسيد الاوصياء يعرب بهذا اللفظ عن حزنه وعجزه ، وفرحه ودولته مناديا بأتمه بقوله : « العجز عن الادراك إدراك » (12) (فحينا) (13) يذوب في مأتم العجز ، وحينا يستضيئ بهذا الفرح بأنّ هذا العجز تمام الإدراك .

فهذا حال خزائن ملك الملوك والنظّارة على تلك الخزائن . وامّا الذهب والفضة التي في خزائن ملوك الدنيا فهي مفاتيح جهنم « تعس عبد الدينار وتعس عبد الدرهم » فيوم القيامة حين ينادي المنادي : افتحوا جريدة خزانة مفتاح جهنم واحضروهم على صعيد السياسة ؛ فإذا رفع في صدر هذه الجريدة اسم « سعادت خازن » (14) . وا أسفاه على العاجز « سعادت » الذي لايغيثه ملك المشرق ، (15) ولا يأخذ وزيره بيده ، حيث إنّهما يحتاجان إلى آلاف المعينين . (والسلام) (16) .

---

9) في (ج) عليه الصلاة والسلام .

10) في (ج) فيذوبن في ذل العجز .

11) في (ج) انت كما اثنيت .

12) في (ج) العجز عن درك الادراك ادراك .

13) سقط من (ج) .

14) كذا في الأصل (سعادت) بتاء مبسوطة برسم الخط الفارسي وحيث انّه اسم علم ضبطناه كما في الأصل .

15) انظر التعاليق آخر الكتاب ص : 156 ت رقم 9 .

16) سقط من (ج) .

22 ## رسالة (1) كتبها لأحد الأكابر في معنى العبادة والحثّ على انواع الصدقة والعبادة وإشارة إلى صفاء العقيدة ، وأنّ الصدقات تدفع الأمراض والأسقام وتزيح العلل والأوجاع (2) .

بسم الله الرّحمن الرّحيم ـ يكون للقلب اشتغال تامّ ، وذلك لعارضة ألم يأتي من حيرة الأطباء وقصورهم ، ولابدّ أن يعلم يقينا بأنّ « الذي أنزل الداء أنزل الدواء » ؛ ولكن الخلق يظنون إذا أتوا بالدواء من الصيدلاني وجوّزه الطبيب أن في ذلك الكفاية ، وهذا خطأ ، لأنّه لابدّ قبلا ان يلهموا المريض إلى اختيار الطبيب . ويلهموا الطبيب إلى اختيار الدواء ، حتى ينصرف خاطره إلى الصواب في جنس الدواء ومقداره ووقت استعماله . ففي هذه المعاني الثلاثة الخطأ ملتبس بالصواب للغاية . فأصل العمل إلهام المريض وإلهام الطبيب ، وهذان الإلهامان لايوجدان في دكان أيّ صيدلاني ، وإنما مفتاحهما في ملكوت السموات وموضوع في خزائن الملائكة ، فإنّ أيّ بداية من الخلق إلى الصواب تأتي من خزانة الملائكة « وما كان لبشر أن يكلمه الله الاّ وحيا (أومن وراء حجاب) » (3) ، ولا يمكن شراء هذا الإلهام الاّ بالهمة ودعاء الأعزّة من أهل الدين ، فإنّه كلّما انصرفت اليه همم أهل الدين وأفكارهم كانت أسبابها مبذولة من جهة الملائكة « وإن من شيءٍ إلاّ عندنا خزائنه وما ننزّلة إلاّ بقدر معلوم » (4) ، ولا يمكن تحريك همم أهل الدين إلاّ بالإحسان والصدقة . فالصدقات تكون سببا لتحريك الهمم . وحركة الهمم تكون سببا لفيضان الهداية من خزائن الملكوت إلى قلب المريض والطبيب ، وهدايتهما تكون سببا لاستعمال الدواء على قانون الصواب ، واستعمال الدواء يكون سببا للشفاء ، وهذا سرّ « داووا مرضاكم بالصدقة » (الحديث) . وأما بأيّ سبب تكون حركة الهمم وأرواح الأعزّة باعثة لروحانيّات

---

1) في (ا) و (ب) رسالة أخرى .

2) جاء عنوان هذه الرسالة في (ج) : كتب هذه الرسالة الإمام الغزّالي إلى احد الأكابر في معنى التصدق وطريقه .

3) القرآن الكريم سورة الشورى الآية 51 . وما بين الهلالين سقط من (ا) و(ب) .

4) القرآن الكريم سورة الحجر الآية 21 .

الملائكة في إفاضة الهداية ؟ فذلك بسبب المناسبة التي توجد بين الأرواح والروحانيّات ويكون استمدادها من هذا البحر « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربّي » (5) ولهذا البحر غور عميق ، ولا ينكشف هذا السرّ الاّ بمقدار ما بين الروح والروحانيّات من تناسب وانسجام ، لأن جميع الأمور ربّانية كما قال « قل الروح من أمر ربّي » و « للّه الخلق والأمر » . وعالم الأمر بعيد عن عالم الخلق ، ولم يبق غوّاص يطلب هذا النمط من العلم أو يعرف أنّ هذا يمكن طلبه .

والمقصود من هذا هو معرفة ارتباط الشفاء (6) بالدعاء مع الصدقة ، ولهذا قال « الدعاء يرد البلاء والدعاء والبلاء يتعالجان » . والهمم والدعوات اذا كانت من جماعة فالغالب أنها تكون ناجحة . وهذا هو سرّ صلاة الاستسقاء والاجتماع بعرفات وصلاة الجماعة .

وصدق الطبيعي فيما قاله من أن العلّة (المرض) (7) التي تحدثها الحرارة لابدّ لها من البرودة حتى تهزمها ، وليس للصدفة فيها أيّة نسبة أو صدق ما ، وذلك بسبب أن الطبيعة حقّ ، ولكن بصيرة الطبيعيّ (8) مقصورة على الطبيعة ، وقاصرة عمّا هو مسخّر للطبيعة ومستعمل لها . ومثاله : كنملة ترى حدوث خط على ورق إثر حركة القلم فتظنّ أنّ القلم موجد للخط لأنّ بصرها قاصر عن رؤية يد الكاتب ، وبصيرتها عاجزة عن رؤية قلب الكاتب الذي هو محرّك اليد ؛ ولا يعرف بأيّ حال يمكن صيد القلب حتى يأمر القلم بالكتابة . فالطبيعة كالقلم ، والملائكة كالأصابع ، والملك الأعظم الذي يتبعه جميع الملائكة كاليد . وصاحب اليد والأصابع والقلم وراء الكلّ ، وهو المتفرد بالجبروت و « إنّما قلوب المؤمنين بين أصبعين من أصابع الرحمان » (9) ، فمثال كتابة الإنسان مثال حضرة الربوبيّة ، فإنّ الله تعالى (10) « خلق آدم على صورته ، ومن عرف نفسه فقد عرف ربّه » (11) فكما أنّ القلب واليد والأصابع فوق القلم فكلّ أسباب الخلقة فوق الطبيعة ، والطبيعة في أسفل السافلين ، ولابدّ من بصيرة نافذة تصل من الأسفل إلى الأعلى . وأمّا جميع الخلق فنظرهم مقصور على الطبيعيّات والجسمانيّات ، ولو أنهم أتوا بهما في الأصل من عالم الروحانيات ، ولذلك قال « لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ثم رددناه

---

5) القرآن الكريم سورة الاسراء الآية 85 .

6) في (ا) و (ب) ارتباط الدعاء بواسطة الصدقة .

7) سقط من (ا) و (ب) .

8) في (ج) ولكن بصر الحاد الطبيعي .

9) انظر كشف الاحاديث .

10) في (ا) و (ب) قال الله تعالى .

11) في (ا) و (ب) ومن عرف ربه عرف نفسه (والصحيح ما اثبتناه) .

أسفل سافلين » (12) . فلا بدّ من طلب الإعانة في جميع المصالح من عالم الروحانيّات ، وهو عالم العلو ، وليس للمال والجاه جناح للصعود إلى ذلك العالم ولكن هذا الصعود للهمّة والدعاء « اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه » (13) ورافع هذه الأدعيّة وحمّالها العمل بإخلاص . « والعمل الصالح يرفعه » فجمع المتكلين وتاركى الصّلاة على الباب وتوزيع الخبز واللحم بينهم لايصلح هذه الحمالة ، لأنّ هذه الدواعي تحرك أهل المصطبه لاهمم أهل الدين فما أعزّ عليه أن يحفظه في قلبه ولايتركه ويتخلّص من الهوى والشيطان ويبيعه ويصرفه في شأنه ، ويعطي بعضه الذين عرف إقدامهم (14) في الدين ، وليأمر خمسة من أهل الصلاح حتى يصلوا إلى الدراويش المتعففين المعيلين . ويستمد من هذه الهمم حتى يتيسّر من طريق الصواب العلاج (15) للطبيب بالإلهام والتأييد السماوي لأنّ العلّة (16) الصعبة والطبيب المتحيّر لاعلاج لهما إلاّ بهذا ، ولا يصحّ الاعتماد على أقوال الأطباء الغير حاذقين (17) وانما يعتمد على قول الطبيب الحاذق الذي يشير لمناسبة العلّة والعلاج (والسلام) (18) .

---

12) القرآن الكريم سورة التين الآيتان 4 ـ 5 .

13) القرآن الكريم سورة فاطر الآية 10 .

14) في (ج) اقدارهم .

15) في (ج) علاج الصورة والمعنى : والظاهر والباطن .

16) في (ج) المرض الصعب .

17) في (ج) الجاهلين .

18) سقط من (ج) .

23 رسالة أخرى كتبها على الاطلاق لجملة من كبار الدولة (1) في حق أحد مختلفته.

بسم الله الرّحمن الرّحيم « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرّة شرّا يره » (2) . ليس للانسان من القول والفعل والسكون (3) والعطاء والمنع إلاّ انّها كنز للسعادة يوضع ، او بذر للشقاوة يزرع ، وهو غافل عنه وموكّلو الملائكة يثبتونه ذرّة ذرّة « في كتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة الاّ أحصاها » (4) . فهو ينسى وهم يحفظون « أحصاه الله ونسوه » . (5) وإذا خرج من هذا العالم يعرضون عليه جريدة العمر من أوله إلى آخره في لحظة واحدة « يوم تجد كلّ نفس ما عملت من خير محضرا »(6) . فيضعون ذرّات الخير في كفّة وذرّات الشرّ في كفّة فيعرضون عليه الحساب ، وحينئذ تدهش جميع العقول من الهول (7) ويصيب النفوس الحيرة والخوف إلى أن ترجح إحدى الكفتين « فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية ، وأما من خفّت موازينه فأمه هاوية » (8) . فحال أرباب الأموال في الصرف والإنفاق يكون هكذا .

فكلّ ما أنفقوا في متابعة الهوى وموافقة الشيطان يكون في كفّة الشرور ، وكل ما صرفوا في اطاعة الله تعالى ومتابعة أمره يكون في كفة الخيرات ، فإذا كان أكثر أمواله مصروفا في الخيرات فقد نجا ، وإلاّ فإلى الهاوية « فأمّه هاوية وما أدراك ما هيه » (9) . وقد تخلص من هذا الخطر أبوبكر

---

1) في (ج) اركان الدولة .

2) القرآن الكريم سورة الزلزلة الآية 7 .

3) في (ج) السكوت .

4) القرآن الكريم سورة الكهف الآية 49 .

5) القرآن الكريم سورة المجادلة الآية 6 .

6) القرآن الكريم سورة عمران الآية 30 .

7) في الأصل « حول » والصحيح ما اثبتناه .

8) القرآن الكريم سورة القارعة الآيات 6 ـ 9 .

9) القرآن الكريم سورة القارعة الآيتان 9 ـ 10 .

الصديق ـ رضي الله عنه ـ حيث أتى بجميع ماله للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ (10) . فقال له الرسول ـ صلى الله عليه ـ (11) : ماذا أبقيت للعيال والأولاد ؟ قال : الله ورسوله .

ولأجل هذا الخطر قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلّم ـ : هلك الأغنياء إلاّ الذي تصدّق بماله في الخيرات على اليمين والشمال والأمام والوراء « هلك المكثرون إلاّ من قال بالمال هكذا (12) عن يمينه وهكذا عن شماله وهكذا بين يديه » .

وان طبع الانسان مجبول على الشح والبخل ولا يسمح بصرف أكثر المال في الخيرات فحينئذ لابد أن يعطي اوّلا لمحل الاستحقاق حتى يضاعف ثوابه ، وقد يسبق الدرهم الالف في يوم القيامة ، وذلك ما حصل لأهل الدين وزمرة العلم من وجه الحلال وطيب النفس دون المنّة ، قال الله تعالى « يا أيّها الذين آمنوا لاتبطلوا صدقاتكم بالمنّ والأذى » (13) . (والسلام) .

---

10) في (ج) عليه السلام .

11) في (ج) عليه السلام .

12) في (ج) هكذا وهكذا وهكذا .

13) القرآن الكريم سورة البقرة الآية 264 .

24 رسالة أخرى كتبها بالعربية لأحد قضاة المغرب وهي غريبة بديعة مشتملة على أنواع من الوعظ والتحذير (1).

بسم الله الرحمن الرحيم ـ الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان الاّ على الظالمين والصلاة والسلام (2) على خير خلقه محمّد وآله أجمعين.

أمّا بعد فقد أنتج (3) بيني وبين الشيخ الأجلّ السيّد « معتمد الملك » (4) أمين الدولة (5) ـ حرس الله تأييده ـ بواسطة القاضي الجليل الإمام « مروان » ـ (6) زاده الله توفيقا ـ من الوداد وحسن الاعتقاد ما يجري مجرى القرابة ويقتضي (7) دوام المكاتبة والمواصلة. وانّي لأصل بصلة (9) افضل من نصيحة هي هدية العلماء. وانّه لن يهدي التّي تحفة أكرم من قبولها (10) وإصغائه بقلب فارغ من ظلمات الدنيا. وإني أحذرّه اذا ميّزت عند ارباب القلوب احزاب (11) الناس ألاّ يكون الاّ في زمرة الكرام والأكياس. وقد قيل لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلّم ـ: من أكرم النّاس ؟ فقال : أتقاهم. فقيل : من أكيس الناس ؟ (12)، فقال : أكثرهم ذكرا للموت وأشدّهم له استعدادا. وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ (13) : الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من اتبع نفسه هواها وتمنّى على الله (14).

---

1) في (ج) الرسالة التي كتبها بالعربية إلى قضاة المغرب.
2) في (ط) على سيدنا محمّد وآله وصحبه أجمعين.
3) انتج أي اشتبك واتصل في (ط) و (ج) انتج.
4) في (ج) وأمين الدولة.
5) في (ع) امير الدولة غرس الله تأييده.
6) في (ج) مروان.
7) ويقتضي.
9) في (ج) وإني اواصله ، وفي (ط) وإني لأصله بصلة هي أفضل نصيحة توصله إلى الله ونقربه لربه زلفى وتحله الفردوس الأعلى فالنصيحة هي هدية العلماء. وفي (ع) لا أصله بصلة أفضل من نصيحة توصله إلى الله وتقربه اليه زلفى وتحله الفردوس الأعلى فالنصيحة هي هدية العلماء.
10) في (ع) من قبوله لها.
11) في (ط) ارباب القلوب احرار الناس.
12) في (ط) الكرام الأكياس فقد قيل ... وهكذا في (ج).
13) في (ط) و (ع) وقال صلى الله عليه وسلم.
14) في (ط) المغفرة.

وأشدّ الناس غباوة وجهلا من تهمّه أمور دنياه التي تختطفها (15) عند الموت ولايهمه ان يعرف انّه من اهل الجنّة او من اهل النّار . وقد عرّفه (16) الله تعالى ذلك حيث قال : « إنّ الأبرار لفي نعيم . وإنّ الفجّار لفي جحيم » (17) وقال : « فأمّا من طغى وآثر الحياة الدنيا (فإنّ الجحيم هي المأوى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإنّ الجنّة هي المأوى) (18) . وقال الله تعالى : « من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوّف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لايبخسون . أولئك الذين ليس لهم في الآخرة الاّ النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون » (19) . وإنّي (20) أوصيه أن يصرف إلى هذا المهم همّته وأن يحاسب نفسه قبل ان يحاسب ، ويراقب سريرته وعلانيته وقصده (وهمته وأن يطالع) (21) أفعاله وأقواله وإصداره وإيراده ، أهي مقصورة على ما يقرّبه (22) إلى الله تعالى ويوصله إلى سعادة الأبد ؟ أم هي مصروفة إلى ما يعمر دنياه ويصلحها له اصلاحا منغّصا مشوبا بالكدورات (23) مشحونا بالهموم والغموم ، ثم يستتبع الشقاوة (24) والعياذ بالله ، فليفتح عين بصيرته « ولتنظر نفس ما قدمت لغد » (25) وليعلم انه لامشفق على نفسه (26) ولا ناظر لها سواه . وليتّدبر ما هو بصدده فإن كان مشغولا بعمارة ضيعة فلينظركم من قرية أهلكها الله وهي ظالمة ، فهي خاوية على عروشها (27) بعد عمّالها (28) ؛ وان كان مقبلا على استخراج ماء وعمارة نهر فليتفكر (29) كم من بئر معطلة (30) بعد عمّارها ؛ وإن كان مهتما بتأسيس بناء فليتأمل كم من قصور مشيّدة البنيان محكمة القواعد والأركان أظلمت بعد

15) في (ط) التي يخلفها ، وفي (ج) التي تحتقرها ، وفي (ع) التي تختطف .
16) في (ج) وقد عرف الله .
17) القرآن الكريم سورة الانفطار الآيتان 13 ـ 14 .
18) القرآن الكريم سورة النازعات الآيات 37 ـ 41 وبين الهلالين سقط من (ط) .
19) القرآن الكريم سورة هود الآيتان 15 ـ 16 .
20) في (ج) وإنّي أحب أن يصرف إلى هذا همه وان يحاسب ويراقب .
21) سقط من (ج) و (ط) .
22) في (ط) من الله ويوصله .
23) في (ع) بالمكـدرات .
24) في (ط) و (ع) ثم يختمها بالشقاوة .
25) القرآن الكريم سورة الحشر الآية 18
26) في (ط) وليعلم انّه لاناظر لنفسه ولايشفق سواه .
27) ناظر إلى الآية 45 سورة الحج « وكاين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها » .
28) في (ج) و(ط) بعد عمارها .
29) في (ط) فليفكر .
30) في (ط) و (ع) وقصر مشيّد بعد عمارتها ، وفي (ج) بعد عمالها .

سكّانها ؛ وان كان معتنيا (31) بعمارة الحدائق والبساتين (فليعتبر) (32) « كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم (ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوما آخرين فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين) (33) وليقرأ قوله « أفرأيت إن متّعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتّعون » (34) ؛ فإن كان مشغوفا (35) والعياذ بالله بخدمة سلطان (فليتذكر) (36) ما ورد به الخبر : أنه ينادي مناد يوم القيامة : أين الظلمة وأعوانهم ؟ فلا يبقى أحد ممن مدّ لهم دواة أوبرى لهم قلما فما فوق ذلك الاّ حضروا (37) ، فيجمعون إلى تابوت من نار فيلقون في جهنم . وعلى الجملة فالناس كلّهم إلاّ من عصمه (38) الله نسُوا الله فأعرضوا عن التزوّد للآخرة وأقبلوا على طلب أمرين : الجاه والمال ؛ فإن كان هو في طلب جاه ورياسة فليتذكر (39) (ما ورد به) الخبر (40) : الأمراء والرؤساء يحشرون يوم القيامة في صور الذّر تحت أقدام الناس يطؤونهم بأقدامهم (41) . وليقرأ ما قال الله في كل متكبّر جبارّ (42) . وقال : (الرسول) ـ صلى الله عليه وسلّم ـ : يكتب الرجل جبّارا (43) ولا يملك إلاّ أهل بيته . أي إذا طلب الرياسة بينهم وتكبّر عليهم . وقال (44) ـ صلى الله عليه وسلم : « ماذئبان ضاريان أرسلا في زريبة غنم بأكثر فسادا ~~من حب الشرف والمال~~ في دين الرجل المسلم » . وإن كان في طلب المال وجمعه فليتأمّل) قول عيسى ـ عليه السلام ـ (45) : يا معشر الحواريّن الغنى (46)

---

31) في (ع) مقتنا وفي (ج) مغتنا .

32) سقط من (ا) و (ب) و (ج) .

33) القرآن الكريم سورة الدخان الآيات 27 ـ 29 وبين الهلالين سقط من (ع) .

34) القرآن الكريم سورة الشعراء الآيتان 205 ـ 206 .

35) في (ج) و (ط) و (ع) مشغوفا .

36) في (ط) و (ع) فليذكر كما ورد في الخبر انّه ينادي مناد يوم القيامة وفي (ج) فليقرأ ما ورد في الخبر : الامراء والرؤساء يحشرون يوم القيامة في صور الذر تحت اقدام النّاس يطؤونهم بأقدامهم . وليقرأ ما قال الله تعالى في كلّ متكبر جبّار وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب الرجال حيا او لايملك اهل بيته أي اذا طلب الرياسة بينهم وتكبر عليهم .

37) في (ط) الاحضر ، وفي (ع) احضروا .

38) في (ط) و(ع) الا من عصم الله .

39) في (ع) فليتذكر وفي (ط) فليتذكروا وبين الهلالين سقط من (ج) .

40) في (ع) انّ الامراء .

41) في (ع) وليقرأ ما قال تعالى .

42) في (ط) و (ع) وقد قال ، وبين الهلالين سقط من (ج) .

43) في (ط) و(ع) وما يملك .

44) في (ع) وقال عليه الصلاة والسلام .

45) بين الهلالين سقط من (ط) وفي (ج) عليه الصلاة والسلام .ـ

46) في (ط) العين . وفي (ع) يامعشر الحواريين مسرّة في الدنيا مضرّة في الاخرة .

مسّرة في الدنيا مضّرة في الأخرى . أقول حقّاً : لاتدخل الاغنياء ملكوت السماء . (وقد) (47) قال نبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ يحشر الاغنياء يوم القيامة أربع فرق (رجل جمع مالا من حرام فأنفقه في حرام فيقال : اذهبوا به إلى النار) (48) ورجل جمع مالا من حلال وأنفقه في حلال فيقال : أوقفوا هذا واسألوه (49) لعلّه (50) ضيّع بسبب غناه شيئاً ممّا فرضنا عليه أوقصّر في الصلاة (51) في وضوئها أو (في) ركوعها أو (في) سجودها أو خشوعها ؛ أو ضيّع شيئاً من الزكاة (52) والحج فيقول الرجل : جمعت المال من حلال وأنفقته في حلال وما ضيّعت شيئاً من حدود الفرائض بل أتيتها (53) بتمامها فيقال : لعلّك باهيت بمالك (54) أو اختلت في شيءٍ من ثيابك فيقول (55) : ما باهيت بمال ولا اختلت في ثيابي (56) فيقال : لعلّك فرّطت فيما أمرناك (به) (57) من صلة الرحم وحق الجيران والمساكين وقصّرت في التقديم والتأخير والتفصيل والتعديل ، ويحيط هؤلاء به فيقولون : ربنّا أغنيته بين أظهرنا وأحوجتنا اليه فقصّر في حقّنا تقصير(ه)(58) . ذهب به إلىالنار ، وإلاّ قيل له : قف هات الآن شكر كل لقمة (59) وكلّ شربة وكلّ أكلة وكلّ لذة فلا يزال يسأل (ويسأل) (60) . فهذا حال الأغنياء الصالحين المصلحين القائمين بحقوق الله (61) إذ بطول وقوفهم (للحساب) (62) في عرصات القيامة فكيف حال المفرّطين

---

47) سقط من (ج) .

48) بين الهلالين سقط من (ج) وفي (ط) ورجل جمع مالا من حرام وانفقه في الحلال فيقال اذهبوا به إلى النّاروجل جمع مالا من حلال وانفقه في حرام فيقال اذهبوا به إلى النار .

49) في (ع) وسلوه .

50) في (ط) و(ع) لعله بسبب غناه تهاون فيما فرضنا عليه اوقصرفي صلاته أو في ...

51) في (ج) أوفي .

52) في (ع) من فرض الزكاة .

53) في (ع) بل اتيت بتمامها

54) في (ط) أواختلت .

55) في (ط) يارب ماباهيت بمالي (ط) و (ع) .

56) بين الهلالين سقط من (ج) .

57) سقط من (ط) و(ع) .

58) الضمير سقط من (ج) و(ط) و (ع) .

59) في (ط) و (ع) كلّ نعمة .

60) سقط من (ج) وفي (ع) فهذه حال الصالحين .

61) في (ج) و(ط) و(ع) تعالى ان يطول وقوفهم في العرصات فكيف حال .

62) سقط من (ع) .

المنهمكين في الحرام (63) والشبهات المكاثرين به المتنعّمين بشهواتهم (64) الذين قيل فيهم « ألهاكم التكاثر حتّى زرتم المقابر كلا سوف تعلمون » (65) . فهذه المطالب الفاسدة هي التي استولت على قلوب الخلق (66) فسخّرها للشيطان فجعلها (67) ضحكة له و(68) عليه . وعلى كلّ مستمر في عداوة نفسه ان يتعلّم علاج هذا المرض الذي حلّ بالقلوب ؛ فعلاج مرض القلوب أهمّ من علاج مرض الأبدان ولاينجو « إلاّ من أتى الله بقلب سليم » وله دواآن :

أحدهما : ملازمة ذكر الموت وطول التأمل (فيه) (69) مع الاعتبار بخاتمة الملوك وأرباب الدنيا ، وكيف أنّهم جمعوا كثيرا وبنوا قصورا وفرحوا بالدنيا بطرا وغرورا فصارت قصورهم قبورا وأصبح جمعهم هباء منثورا « وكان امر الله قدرا مقدورا » أولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إنّ في ذلك لآيات أفلا يسمعون » (70) .

فقصورهم وأملاكهم ومساكنهم صوامت ناطقة تشهد بلسان حالها (على غرورعمّا لها) (71) فانظر الآن (في) (72) جميعهم « هل تحسّ منهم من أحد أوتسمع لهم ركزا » .

والدواء الثاني : تدبر (73) كتاب الله فقيه شفاء ورحمة للعالمين . وقد أوصى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بملازمة هذين الواعظين فقال « تركت فيكم واعظين صامتا وناطقا » الصامت الموت والناطق القرآن . وقد اصبح أكثر النّاس أمواتا عن كتاب الله وإن كانوا أحياء في معايشهم ؛ وبكما عن كتاب الله وان كانوا يتلونه بألسنتهم ؛ وصمّا عن سماعه وان كانوا يسمعونه بآذانهم ؛ وعميا عن عجائبه وان كانوا ينظرون اليه (74) في مصاحفهم ؛ وأميّين في اسراره ومعانيه وان كانوا يشرحونه في تفاسيرهم . فاحذر ان تكون منهم وتدبّر أمرك وأمر من لم يتدبّر (75)

---

(63) في (ج) في الآثام .

(64) في (ع) لشهواتهم .

(65) القرآن الكريم سورة التكاثر الآيات 1 ـ 3 .

(66) في (ط) تسخرها للشيطان وتجعلها .

(67) في (ج) وجعلها .

(68) في (ط) له فعليه وعلى كلّ مشمر في ... وفي (ع) فعليه وعلى كلّ مستمر .

(69) سقط من (ط) .

(70) القرآن الكريم سورة السجدة الآية 26 .

(71) سقط من (ج) .

(72) سقط من (ج) .

(73) في (ط) تذكر كتاب الله .

(74) في (ط) و (ع) و (ج) في صحائفهم ومصاحفهم نائمين عن أسراره وان كانوا يشرحونه .

(75) في (ط) لم يتدبر كيف يقوم ويحشر وبين الهلالين سقط من (ع) .

(أمر نفسه) كيف ندم وتحسرّ ، وانظر في أمرك و (في) (76) أمر من لم ينظر في أمر نفسه كيف خاب عند الموت وخسر (77) . واتعظ بآية واحدة في كتاب الله : ففيه مقنع وبلاغ لكلّ ذي بصيرة (78) « لاتلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون » (79) وإيّاك ثم إيّاك أن تشتغل (80) بجمع المال فإنّ فرحك به ينسيك امر الآخرة وينزع حلاوة الإيمان من قلبك قال (عيسى صلوات الله عليه) (81) لاتنظروا إلى أموال أهل الدنيا فإنّ بريق (82) أموالهم يذهب حلاوة إيمانكم .

هذه ثمرة مجرّد النظر فكيف عاقبة الجمع والطغيان والبطر (83) .

وامّا القاضي الجليل الإمام « مروان » (84) أكثر الله في أهل العلم أمثاله فهو قرّة العين وقد جمع بين الفضلين (85) : العلم والتقوى ، ولكن الاستمام (86) بالدوام لايتم (87) إلاّ بمساعدة من جهته (88) ومعاونة له عليه بما يزيد في رغبته ، ومن أنعم (89) بمثل هذا الولد (90) النجيب فينبغي ان يتّخذه ذخرا ووسيلة عند الله تعالى وأن يسعى في فراغه (91) لعبادة الله تعالى ولايقطع عليه الطريق إلى الله تعالى (92) . وإن الطريق إلى الله تعالى طلب الحلال والقناعة بقدر القوت من المال (93) والنزوع عن رعونات أهل الدنيا التي هي مصائد الشياطين . هذا مع الحرب (94)

---

76) سقط من (ج) و (ع) .
77) في (ج) ولفظ .
78) في (ط) قال الله تعالى .
79) القرآن الكريم سورة المنافقون الآية 9 .
80) في (ج) أن تشغل .
81) في (ع) عليه السلام وبين الهلالين سقط من (ج) .
82) في (ط) فإن تروا اموالهم يذهب بحلاوة ايمانكم وهذه ثمرة حجر النظر .
83) في (ط) والنظر .
84) في (ج) الإمام مردان .
85) في (ا) و (ب) بين الفضيلتين .
86) في (ج) الانتمام .
87) في (ط) بالتمام (وليس بصحيح) .
88) في (ع) من جهة .
89) في (ط) ومن أنعم الله عليه .
90) في (ط) هذا لوالد .
91) في (ط) في فراغ قلبه .
92) في (ط) وأول الطريق إلى الله (ط) و (ع) . وفي (ط) و (ع) وسلوك سبيل التواضع .
93) في (ط) والخمول والنزوع عن رغبات الدنيا التي هي ، وفي (ج) والنزوع عن زعومات .
94) في (ج) مع الذنب .

عن مخالطة الأمراء والسلاطين . ففي الخبر : إن الفقهاء أمنّاء الله (95) ما لم يدخلوا في الدنيا فإذا دخلوا فيها فاتّهموهم على دينكم . وهذه أمور قد هداه الله تعالى اليها ويسّرها عليه فينبغي أن يمدّه (ببركة الرضا ويمدّه) (96) بالدعاء ؛ فدعاء الوالد اعظم ذخرا وعدّة في الآخرة (97) والاولى . وينبغي أن يقتدي (98) به فيما يؤثره (99) من التزوع عن الدنيا ، فالولد وان كان فرعا فلربما صار لمزيد (100) العمل أصلا ، ولذلك قال ابراهيم عليه السلام (101) يا أبت أني قد جاءني من العلم ما لم يأتك (فاتبعني أهدك صراطا سويّا) (102) .

وليجتهد أن يجبر (103) تقصيره في القيامة بتوفير ولده الذي هو فلذة كبده ؛ فأعظم حسرة أهل الدنيا (104) فقدهم حميما يشفع لهم . قال الله تعالى « فليس له اليوم هاهنا حميم » (105) .

أسأل الله تعالى أن يصغّر في عينه (106) الدنيا التي هي صغيرة عند الله تعالى ، وأن يعظّم في عينه الدين (107) الذي هو عظيم عنده ، وأن يوفقنا وإياه لمرضاته ويحله الفردوس الأعلى وجنّاته بفضله (108) ان شاء الله .

---

95) في (ج) الله تعالى .
96) سقط من (ط) و (ع) .
97) في (ع) الدنيا والآخرة وفي (ج) أعظم ذخر وعدة .
98) في (ط) ان تقتدي .
99) في (ع) فيما يأمره .
100) في (ط) لمزيد العلم (ط) و (ع) و (ج) .
101) في (ج) عليه الصلاة والسلام .
102) القرآن الكريم سورة مريم الآية 42 .
103) في (ط) ان يجتاز لقصده في القيمة .
104) في (ط) و (ع) أهل النار .
105) القرآن الكريم سورة الحاقة الآية 35 .
106) في (ع) في عينيه .
107) في (ع) عينيه وفي (ط) الدين الذي هو عظيم عند الله .
108) في (ع) بمنّه وفضله وكرمه .

سمعت أن القاضي « مروان » قد أتى الى دار السلام لتحصيل منشور دار الخلافة لتولية أبيه منصب القضاء . فتوسل بحشمة حجّة الإسلام في عهد كان هو مدرّس بغداد ؛ فإنّ حجة الإسلام قد أثنى عليه وطلب تفويض منصب القضاء لأبيه (1) .

فرأي العزيز الأشرف الامامي النبوي اقتضى أن يقول : إنّنا لانفوّض منصب القضاء لمن لانعرفه ولم يكن لنا اطّلاع على أحواله وصفاته ولكن إجابة لملتمس « حجة الإسلام » نفوّض القضاء إلى ابنه الحاضر .

فأبى القاضي « مروان » قبول ذلك لحرمة أبيه ، وطلب من حجة الإسلام أن يكتب شرح الحال لأبيه .

فقال حجّة الإسلام : إذا كتبت حقيقة الحال قد يكون غمزا في دار الخلافة ولكن سأكتب مطلقا و(2) أتعرض لهذا المعنى فكتب هذه الرسالة وبعثها اليه . فلما اطلع على حقيقة الحال قال : الشكر لله على عدم تفويضهم لي القضاء حتّى كتب لي حجة الإسلام هذه الرسالة .

---

1) في (ج) وطلب أن يفوضوا له القضاء .

2) في (أ) و (ب) ولا أتعرض .

الباب الرابع

في الرسائل التي كتبها للفقهاء وأئمة الدين

25

رسالة إلى الخواجة الأمام الزاهد «أحمد الارغياني» الذي كان من مختلفة (1) حجة الإسلام، مشتملة على ذكر طريق السعادة والشقاوة، والحثّ على اتّباع منهاج السعادة والتحذير من طريق الشقاوة (2) .

بسم الله الرّحمن الرّحيم إن الرسول « عليه من الصلوات أفضلها » قد جمع أصل جميع الوصايا في كلمتين لمن طلب منه الوصيّة ، قال : « قل ربّي الله ثم استقم » . وحقيقة « ربّي الله » أن يرى عدم نفسه ويغلب وجود الحقّ تعالى ، فيرى انعدام كلّ شيْ سواه ، حتى يقتصر الوجود عليه وكليّة الوجود له ، فكلّما ازداد انقطاع التفاته من الأغيار يكون هذا الوجود للحقّ مسلما حتى لايرى غيره ولا يعتمد قلبه على أي شيْ .

و « استقم » هذه الاستقامة في ثلاثة أصول : في القلب ، وفي الأخلاق وصفات القلب ، وفي الجوارح .

أمّا الاستقامة في الجوارح : فهي أن تكون حركاته وسكناته وفقا للسنة .

والاستقامة في الأخلاق : هي أن لايكون انقطاعه عن الشهوات من نفسه ، بل يكون بإشارة الدين ، ولا بدّ أن تكون قوّته قاصرة عن تحرّك الجوارح إلاّ بأمره ولينتظر رجحان العقل في ما يشتهيه أكثر ، ويعلم مقداره وكيفيته حتى يعرف ما هو الصواب حتى اذا قدّر له ولقي فيه أمرا ، يكون انبعاثه بذلك المقدار المسموح عقلا ، فإنّ من طبع الشهوة أنّها إذا حصلت على مشتهاها تأخذ بالحيل ، وتقول : دعني هذه المرّة حتى أمتنع مرّة أخرى . وعلاجها أن يقول : تأدّب واستقم هذه المرّة حتى أدعك مرّة أخرى ، فإذا أتت المرّة الثانية تردها بنحو هذه المجاملة كما تأخذ هي بالحيل لانطلاقها كلّ مرّة .

وأمّا استقامة القلب أن يكون ملازما لذكر الحقّ تعالى ، ويراقب أن لايمر عليه شيْ آخر (فاذا مرّ ـ ولابدّ من مروره ـ) (3) فليجتهد أن يكون مروره على الحواشي كي لايتمكّن من

---

1) اختلف عليه أي تردد عليه . مختلفه أي المترددين عليه .

2) تفصيل هذا العنوان غير موجود في (ج) وجاء العنوان في (ج) كما يلي : رسالة كتبها الى الخواجه الإمام احمد الازعياسي الذي كان من مختلفه

3) سقط من (ا) و (ب) .

صميم القلب ، بل يكون صميم القلب مسلما للذكر وسائر الضرورات يمرّ من ظاهر القلب ولايعطي تمام القلب لشيء غير ذكر الحقّ تعالى ، واذا وقعت واقعة بأن يغصب تمام القلب جيش جرّار ، يردّه منه بالسرعة ويأخذ بالذكر « واذكر ربك إذا نسيت » (4) . وإذا غلب الذكر على القلب فهو في أكثر الأحوال غالب على الشهوات في أكثر الأمور وتكون حركاته على وفق السنة إلاّ على الندور ، فقد ترّجحت كفة الحسنات وحصل بها الاستحقاق والفوز والنجاة إن سلم في دوامه عن هواجم الآفات ؛ (والسلام) (5) .

---

4) القرآن الكريم سورة الكهف الآية 24 .

5) سقط من (ج) .

26 جواب رسالة « أبي المحاسن مسعود بن محمّد بن غانم » مشتملة على ذكر مراتب العلوم ودرجاتها ، وكيفية الترقيّ من العلم النازل إلى العلم الربانّي (1) .

بسم الله الرّحمن الرّحيم : وصل عزيزكتابه فلان ـ حرس الله تأييده وأدام توفيقه وتسديده ـ معربا عن كرم العهد . وغزارة العلم ووّفور الفضل ، ومسلّية من لوعة الاشتياق .

حيث قد طال العهد بالمشاهدة والمكاتبة ، وكان القلب في جملة الأسفار اليه متحيّرا ، ومتنسّما أخباره ـ خاصة إكبابه على التحصيل ـ وكان مستبشرا بمشاهدة إقباله ومواظبته على العلم . وتفرّست في متانة ديانته وحسن عقيدته بما رأيته مشاهدة من عقله وكياسته ، وكنت واثقا بأنّه في جملة الأحوال لا يلازم غير ناحية الاستقامة ، ولا يتشّمر الاّ لأمر دينيّ . إنّ اوائل (2) الأمور تدل على أواخرها . ففي ذلك الزمان كان هو الوحيد بين الأقران وما كان له نظير في خصال الخير ، والآن له درجة الكمال (3) في الفقه والأدب ، فالوقوف على مدارج الفضل من عمل العاجزين ، فلا بدّ أن يرقى إلى أقرب علم هو أعلى درجات العلوم ، ويتوجّه من « غرض الكفاية » إلى « فرض العين » ، وينتقل من العلم الذي أكثر اتجاهه إلى الخلق إلى العلم الذي كلّه متوجّه للآخرة .

وليعلم (4) أن حاصل علم المذهب في ما وراء ربع العباد (5) قانون وساطة بين اهل القرى والعوام ، حيث اشتغلوا بحكم الجهالة والشهوات بالتنازع والتجاوب للحظوظ الدنيويّة ، وأي مناسبة له مع العلم الذي من ثمراته معرفة أسرار الربوبيّة ؟

وحاصل علم الخلاف رجم الظن في طلب الصواب في علم لخطئه أجرواحد ولصوابه أجران . وهذا في حقّ من يكون له درجة الاجتهاد « فإن أخطأ فله أجر واحد وان أصاب فله أجران » . (فأي مناسبة للعلم الذي لاتكون مصارفته بين الصواب والخطأ أكثر من هذا مع) (6) العلم

---

1) سقط من (ج) .

2) في (ج) مبادي الامور .

3) في (ج) حصل على درجة الاستقلال .

4) في (ج) واعلم .

5) في (ج) في ما وراء العبادات قانون وقساطيس بين الرسامين والعوام .

6) سقط من (ا) و (ب) .

الذي تكون مصارفته بين الخطأ والصواب السعادة الأبديّة ، وذلك (7) معرفة أسرار جوهر الإنسان بإن يعرف ما هي صفاته المهلكة وما هي منجياته ومسعداته ، وأي كيمياء لابد أن يوضع على جوهر القلب (8) حتى يوصله من أسفل السافلين إلى الحضرة الإلهيّة التي تسمّى أعلى العلّيين ؟ وأي طريق يأخذ سلوكه بجوهر الانسان إلى هذه الدرجة وما هوزاده وعقباته ؟

واذا سمحوا له بأن يأخذ طرفا من هذا العلم يستصغر في عينه سائر العلوم ، ولكن اذا لم يتذوق منه لايعرف عنه .

(شعر فارسي في الأصل - ترجمته) .

(الطير الذي لايعرف الماء الزلال يضع منقاره دائما في الماء المالح . (وبحكم اعتقادي في كياسته ومعرفتي بصفاء (9) جوهره وقابليته لتعلم كل علم به أسرار الدين كتبت هذا (10) . (والسلام) .

---

7) في (ج) وهذه هي .

8) في (ج) واي كيمياء اذا اشرق على القلب .

9) في (ج) معرفتي بوصف جوهره .

10) في (ج) نبّهت بهذه .

27 رسالة أخرى كتبها في حق بعض مختلفته (1) في معنى العناية والمواظبة ، على وجه الاطلاق إلى كلّ من تصل اليه.

بسم الله الرّحمن الرّحيم ـ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الاّ ما كان منها لله » .

ارتفاع المرتبة والجاه واتّساع الثروة والمال كلّها بذور للشقاوة وسبب لوبال الآخرة (2) إلاّ ما جعل زادا للآخرة وذخيرة ليوم القيامة ، وفي حق هذا المال وصاحبه قال (صاحب الشريعة ـ عليه السلام ـ) (3) « نعم المال الصالح للرجل الصالح » .

فأبرّ قربة وأقبل مبرّة وأحق إكرام أن يكون مصيبه اهل الدين والورع (4) والسلام .

---

1) مختلفته : من المختلف عليه أي تردد عليه (كذا في الاصل) .

2) في (ج) وسبب الدمار .

3) سقط من (ا) و (ب) .

4) في (ج) اهل العلم والدين .

28 رسالة أخرى كتبها لخواجه عباس خوارزم (1) في معنى الاخوانيّات

بسم الله الرّحمان الرّحيم سلام الله تعالى عليه .

الأخوة في الدين والقرابة في العلم أرسخ الوسائل ولولم يكن في الظاهر تعارف ، ولكن التعارف في الباطن مؤكد « والأرواح جنود مجنّده ، (2) والنظر إلى القلوب لا إلى القوالب » .

ومن حين سمعت تفصيل همته وسيرته تقوّى القلب وانتعش من جديد ، وأقول شاكرا : الحمد لله انّ وجه الأرض ما زال غير خال ممّن جمع بين علوم (3) الشرع وسيرة التصوف والاقتداء بالصحابة . فإنّ القيام بآحادها غريب والجمع بين هذا كله عزيز ، فإذا نهجت طريق دعوة الخلق ، ودعوتهم إلى الرضا وطريق السعادة ما أمهلت حتى يسلّم الناس عليك ، فاقتداؤك بالصحابة تامّ وكان في غاية الكمال « ومن أحسن قولا ممّن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنّني من المسلمين » (4) وأسأل الله تعالى أن يبقي إلى الآخرة بركات أنفاسه وحركاته (5) .

---

1) في (ج) لخواجه عباس بخوارزم .

2) اشارة إلى الحديث المشهور : « الارواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تنافر منها اختلف » انظر كشف الأحاديث .

3) في (أ) و (ب) علم الشرع .

4) القرآن الكريم سورة فصلت الآية 33 .

5) في (ج) وأسأل الله تعالى أن لايحرمنا من بركات أنفاسه وحركاته .

29

رسالة أخرى كتبها في جواب ابن العالمي (1) (مشتملة على ذم الدنيا وتقبيح حال اربابها وهلاك الذين طلبوها بواسطة الدين وعلم الشريعة) (2) .

بسم الله الرّحمن الرّحيم ـ (والحمد لله ربّ العالمين) (3) والصلاة على رسوله محمّد وآله أجمعين . سلام الله تعالى على الشيخ الإمام ورحمة الله وبركاته (ورأفته) (4) . وصلت الرسالة الكريمة المحتشمة ، مشتملة على انواع التفضل والإكرام ، ومعربة عن غزارة العلم ووفور الفضل وخلوص الاعتقاد ، وقد حصل بها الاستظهار والاعتداد . « وأسأل الله تعالى أن يكثّر في أهل العلم وزمرة الفضل أمثاله ، وان يعرّفه غوائل (5) العلم وأغواره .

فكلّ علم وفضل أثمر شيئاً غير معرفة الله تعالى (6) ومتابعة رسوله فهو وبال على صاحبه . قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلّم ـ : (نعوذ بالله من علم لاينفع » . ثم بيّن أن نفع العلم هدايته فقط وقال ايضا) (7) : « من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله إلاّ بعدا » ، العلم الهادي هو الذي يدعوك من الخلق إلى الخالق ، ومن الدنيا إلى الآخرة ، ومن الكبر إلى التواضع ، ومن الحرص إلى الزهد ، ومن الرياء إلى الاخلاص ، ومن الشك إلى اليقين ، ومن شره (8) المترفين إلى سيرة المتقين . وأكثر الخلق يظنون أن كلّ من هو مشتغل بعلم الدين هو سالك طريق الدين . وهيهات فقد روي في المستدرك (9) عن الصحيحين ان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ (10) قال : « من طلب علما مما يبتغى به وجه الله تعالى لينال به عرض الدنيا ، لم يجد عرف الجنّة » .

1) في (ج) ابن العامل .
2) بين الهلالين سقط من (ج) والمتن ايضا مشوش .
3) سقط من (ج) .
4) سقط من (ج) .
5) في (ج) عوالم العلم .
6) في (ج) سوى الله تعالى .
7) سقط من (ج) .
8) في (ج) من أسرة المترفين .
9) في (ج) في المسند .
10) في (ج) عليه الصلاة والسلام .

والحق ان هذه المصيبة تكفي ليوقن أهل العلم بأن خطر جمع الفضل والعلم أكثر من خطر جمع المال فإنّ المال للدنيا ويليق أن يطلب به الدنيا ، وأمّا العلم (11) فهو من الدين فإذا جعلوه وسيلة للدنيا يكون من جملة الكبائر .

يقول أحد الكبار (12) « من طلب الدنيا بأقبح ما يطلب به الدنيا كان أعذر ممّن طلب الدنيا بأحسن ما يطلب به الآخرة » . (لأنه) (13) خلق الدنيا للآخرة لا الآخرة للدنيا ، والدنيا تبع وخادم ، والدين ومخدوم . فكل من جعل المخدوم وسيلة للخادم عكس الوضع الالهي وجعله منكوسا . والوضع الالهي لاينعكس بل هو المعكوس والمنكوس بصورته وعلمه حتى في هذا العالم ، لكنّ العيون الظاهرة لاترى انتكاسه ، حتى اذا غابت وظهر العالم الآخر الذي يعرّون فيه حقائق المعاني من الغطاء والكسوة الصورية ، والصورة تصبح تبعا للصفة . وكل واحد يظهر بصورة تلائم صفته حتى يرى الحريص نفسه بصورة الخنزير ، وصاحب الكبر يرى نفسه بصورة النمر ، وصاحب الغضب يرى نفسه بصورة الذئب ، وصاحب الدنيا (14) بعلم الدين يرى نفسه معكوسا ومنكوسا فيقولون له « فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد » (15) « ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربّهم ربّنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون » (16) . يجاب هكذا : « أولم نعمّركم ما يتذكّر فيه من تذكّر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير» (17) . فهذه مصيبة جميع العلماء .

وأهل الدين على ثلاث فرق : فريق غافلون عن هذه المصيبة وغير مطّلعين عليها وتسميتهم بالعلماء مجاز محض « وأولئك هم الغافلون . لاجرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون » (18) .

وفريق مصابون بهذه المصيبة ويعزون أنفسهم ولكنّهم لم يتخلصوا منها ، وهذا نادر في أيامنا هذه .

---

11) في (ج) وأمّا علم الدين للدين .

12) في (ج) وقد نقل عن احد الكبار .

13) سقط من (أ) و (ب) .

14) كذا في الاصل والاولى طالب الدنيا .

15) القرآن الكريم سورة ق الآية 22 .

16) القرآن الكريم سورة السجدة الآية 12 .

17) القرآن الكريم سورة فاطر الآية 37 .

18) القرآن الكريم سورة النحل الآيتان 108 ـ 109 .

وفريق تخلصوا من هذه المصيبة وهم « السابقون السابقون أولئك المقربون في جنّات النعيم »(19) ، فطوبى لعين رأتهم ورأت من رآهم وليتنا كنّا ممّن اكتحلت أبصارهم بلقياهم « فمنهم ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله » (20) هم هؤلاء .

فأسأل الله تعالى أن يجعلنا (21) وإيّاه من المخلصين وأن يعيذنا من غرور الغافلين بكرمه وسعة جوده (ومنّه) (22) . والسلام .

---

19) القرآن الكريم سورة الواقعة الآيات 10 ـ 12 .

20) القرآن الكريم سورة فاطر الآية 32 .

21) في (ج) أن يجمعنا .

22) سقط من (ج) .

30 رسالة أخرى كتبها إلى والد احد المتردّدين عليه يأمره أن لايقطع على ابنه طريق العلم والتحصيل ويمدّه بالرضا (الدعاء) (1) وموّاد المعيشة .

بسم الله الرّحمن الرّحيم : اعلم أنّ الله قد قدّر أن يكون طلاّب السعادة من طريق العلم والتقوى أعزة وعظاما ، فقليل من الألوف من يطلب العلم وينصرف من الأشغال والاعمال الدنيويّة اليه ، وقليل من الذين وفّقوا لطلب العلم من كانت لهم القريحة والفهم لدرك الغوامض من العلوم ؛ وقليل من هؤلاء من لايجعل علمه آلة لجمع الدنيا وطلب حطامها . أي يجمع بين العلم والعمل ويلازم طريق التقوى حتى صلح لهداية الخلق .

وهؤلاء هم الذين قال الله تعالى فيهم « وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لمّا صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون » (2) وليسوا من الذين قال فيهم ، « واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأبتعه الشيطان » (3) .

وهؤلاء القوم القليل الذين استعدت فطنتهم لكمال العلم واستجابت فطرتهم لقبول التقوى . قد قضى التقدير أن يسلّط عليهم الشياطين حتى يأتوا بالعوائق فيقطع عليهم الطريق قبل الاستكمال بوجه ممكن ، وأحد هذه العوائق هي القرابة ، ومنها المال والضيعة ، ومنها المنافسة والخصومة . وهذه كلّها من الشيطان لقطع الطريق على الطالب . وفلان واحد من هذا القليل حيث له بالفطنة والفطرة استعداد لكمال العلم والتقوى .

فإذا أمكن له (4) أن يهيي له أسباب فراغته حتى يصل إلى ذروة الكمال فليهيئ حيث إن ثمرته تعود إلى الجميع في الدين والدنيا .

---

1) سقط من (ج) .

2) القرآن الكريم سورة السجدة الآية 24 .

3) القرآن الكريم سورة الاعراف الآية 175 .

4) كذا في الأصل ، والضمير يعود إلى المخاطب (أي صاحب الرسالة) ، والضمير الثاني يعود إلى ابنه .

فأي ساعة التمس الرجوع (إلى الدراسة) وكان له (5) الفتور في تهيئة أسباب فراغته ، يكون هذا عدم الشفقة في عين الشفقة ، وقطع طريقه ، وقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلّم ـ « لاتكن عونا للشيطان على أخيك » .

واذا ظنّ أن رجوعه أياما قليلة لصلة الرحم ليس قطعا للطريق ، فقد انقطع أكثر طلبة العلم لهذا ، فإنّهم قصدوا الوطن بهذه الفكرة ، فعتبة البيت عالية ، والوطن عشّ العلائق والعوائق (فقبل الانتهاء من العمل تصادموا بعائق وعدلوا عن الطريق) (6) وتوقفوا عن العمل .

هذا وقد قيل : كلّ ما كانت النصيحة « كلّ متيسر لما خلق له » فطوبي لمن خلق للخير والاعانة له » (7) .

---

5) بين الهلالين سقط من (ا) و (ب) .

6) سقط من (ا) و (ب) .

7) في (ج) والاعانة عليه .

31 رسالة أخرى كتبها للقاضي الامام الشهيد «عماد الدين محمّد الوزّان» في حق شخص على سبيل العناية والتحسين والشفقة عليه .

بسم الله الرّحمن الرّحيم : الاعتداد وافر بما يصل من الأخبار وانتظام الأحوال (1) ، وبحكم شمول الايمان « والمؤمنون كنفس واحدة » ؛ وقرابة (العلم) (2) . المساهمة في السراء والضراء واجبة ، فكل حال من احوال اهل العلم ناسبت سيرة علماء السلف وصلحت ان تكون زادا للآخرة وذخيرة ليوم القيامة واقتداء للأمة فهي نعمة كبرى لابد أن يفرح الجميع ويهنأوا بها ، وكلّما كانت بخلاف هذه فهي مصيبة كبيرة ، لابدّ أن يشترك في مأتمه . وبحكم أنّ المكاتبة بغير فائدة تكون (نوعا) (3) من التصنّع والرسم فأمسك القلم الاّ في وقت الحاجة.قال الله تعالى « لاخير في كثير من نجواهم إلاّ من أمر بصدقة أومعروف أو إصلاح بين الناس » (4) . والمراسلة ايضا في هذا المعنى كالمشافهة والمناجاة .

فسبب تحرير هذه الحروف الدلالة على شرح حال فلان الذي هو من الفضلاء والمبرّزين من أصحاب (5) الرأي والمتحلّين بأنواع الفضل ، وقد قصد تلك الناحية في هذا الوقت لمهـمّة ، وهو غير مستغن عن عنايته . فكلّ ما يقدّم له من العناية والاكرام وقضاء حقه في الاحترام يقابل بالثواب الجزيل والدعاء الصالح والشكر والثناء الفائح .

---

1) في (ج) وانتظام اهله .

2) سقط من (ا) و (ب) .

3) الزيادة من نسخة (ب) .

4) القرآن الكريم سورة النساء الآية 114 .

5) أصحاب الرأي والقياس : هم الفقهاء الذين يستخرجون أحكام الفتيا من القرآن والحديث باستعمالهم رأيهم الشخصي فيأخذون في القياس الكبرى من القرآن والحديث والصغرى من وقائع الامور.كان كبيرهم ابو حنيفة النعماني في الكوفة وأصحابه فقهاء العراق . نقيضهم أصحاب الحديث من الحجاز وهم شديدو التمسك بالتقليد وزعيمهم الإمام مالك بن انس وجاء الإمام الشافعي فمزج بين الطريقتين واختص بمذهب خالف فيه مالكا .

32 رسالة أخرى كتبها على وجه الاطلاق إلى كل من تصل في حق بعض المتصوفة على سبيل العناية والشفقة والارشاد بالاعانة والامداد والتنبيه على درجات التصوف ومراتب التقوى (1) .

بسم الله الرّحمن الرّحيم : ولوأنّ الشعب ومقامات الطريق (2) كثيرة ولكنّها كلّها لا تعدو عن ورقتين : الأولى ورقة المعاملة ، والثانية ورقة المعرفة . والمعاملة مقدمة للمعرفة ، وبداية المعاملة لقمة الحلال ، ونهايتها الإخلاص في جميع الأعمال ؛ فمن سلك حتى هذه النهاية ، وصل إلى بداية ورقة المعرفة ، وأوّل سطر من هذه الورقة حقيقة « لا إله الاّ الله » ، التي تظهر بصفتها . قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلّم ـ « أوّل ما خطّه الله في الكتاب الأوّل لا اله الاّ الله أنا سبقت رحمتي غضبي » . وهذه الكلمة توجد أيضا في ورقة المعاملة ؛ ولكنّها عقيدة لاتصل إلى درجة الصفة ، فإذا أخذت طريقها للظهور في صفة تتبعها جميع العقائد التي هي بالنسبة لها توابع لهذا الاصل ، فتأخذ في الخروج من قشور الالفاظ وكشف اللباب من القشور . وفي ورقة المعرفة قصر الكلام أوْلى من تطويله ، فإن كلّ كلمة من هذه الورقة وصل اليها سالك الطريق مستغنية عن الشرح ، وكل ما لم يصل اليه فهو منكر ، وثمرة الكلام معه خصومة لا هداية .

وأما ورقة المعاملة ، فشرح الكلام فيه أنفع ، وقلنا بأنّ أوله لقمة الحلال . والورع في طلب الحلال على أربع درجات :

الأول : ورع العدول (3) الذي بانعدامه يحصل انخرام (4) عدالة الشهادة والرواية والقضاء ، وكل ما هو حرام في فتوى علماء الشرع يبطل هذا الورع .

والثاني : درجة ورع الصالحين ، فإنّ الصالحين يحترزون من مواقع الشبهات ، ولولم يكن في ظاهر الشرع حراما كما قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلّم ـ لبعض أصحابه « استفْتِ قلبك وإن أفتوك وأفتوك » (5) وقال « دع ما يريبك إلى ما لايريبك » . وهذه من الفضائل لامن الفرائض .

---

1) جاء عنوان هذه الرسالة في (ج) « ماكتبها في حق بعض مفوضته على سبيل العناية والشفقة » .

2) في (ج) ومقامات الدين .

3) في (ج) ورع العدل .

4) في (ج) لايحصل عدالة الشهادة .

5) في (ج) وان افتوك المفتون .

والثالث : ورع المتقين . قال النبي ـ صلى الله عليه وسلّم ـ : « لايكون المرء من المتّقين حتى يدع ما لابأس به حذرا ممّا به البأس » (6) . ولهذا وضع الصديق (7) ـ رضي الله عنه ـ حجرا في فمه حتى لايتكلم بالمباح حذرا من التكلم بما لايباح . وعمر (8) ـ رضي الله عنه ـ شم رائحة المسك من مقنعة أهله ، التي وزن بها مسك بيت المال ولمس بيده المقنعة (9) فكان يغسل تلك المقنعة وينشرها على التراب حتى ذهب كلّ ما بها من الرائحة ، ولوأنّ هذا في محل التسامح ولكنّه خاف أن يؤدّي فتح هذا الطريق إلى أكثر من هذا .

والرابع : درجة ورع الصّديقين ، فهم يحرّمون على أنفسهم جميع مباحات الخلق الاّ ما كانت لله تعالى ، وهؤلاء قوم لايأكلون الاّ لله ، ولا يشربون الاّ لله ، ولا ينطقون الاّ لله ، ولا يكتبون الاّ لله (10) . فيأكلون الطعام ليتقوّوا على العبادة ، وينامون القيلولة للتّهجد ، واوّل الليل للصفاء وقت السحر ؛ فنطقهم ذكر ، وسكوتهم فكر ، ونَظرهم عبرة ، وإغماضهم هيبة وحرمة ، وجميع الاحوال هكذا .

فالذين كانوا مطّلعين على ورق المعاملة نزلوا على مقامات ثلاثة ، كما قال الله تعالى « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا (فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات » (11) . فالذين اقتصروا على درجة (12) ورع العدول هم من المقتصدين ، والذين لم يوفوا بهذه وقعدوا عن القيام بها هم الظالمون ، والذين لم يقنعوا بهذه الدرجة وارتقوا إلى درجات وراءها فأولئك لهم درجة السابقين التي هي ممتنعة في آخر الزمان أوعزيزة ومتعذّرة . ولكن المأمول للذين قاموا في هذا العصر بورع العدول وأدّوا شروطه أن تعطى لهم درجة السابقين .

قال النبي ـ صلى الله عليه وسلّم ـ (13) « سيأتي على الناس زمان من تمسك بعشر ما أنتم عليه نجا » فقيل : ولم ذلك ؟ قال : « لأنكم تجدون على الخير أعوانا » . فالذي يظن أن من اقتنع بمال الدهاقين وأهل السوق فهو من السابقين ، والذي يقبل مال السلاطين فهو ظالم بكلّ الأحوال ساء ظنا ، بل وكما أنّ مال السواقة مختلط وله تفصيل فكذلك يكون مال السلاطين .

---

6) في (ج) مخافة ما به البأس .
7) في (ج) الصديق الأكبر .
8) في (ج) عمر الخطاب .
9) في (ج) ونظّف يدها بالمقنعة .
10) في (ج) لايسكنون الا لله .
11) القرآن الكريم سورة فاطر الآية 32 .
12) في (١) و (ب) على اولى درجة .
13) في (ج) عليه الصلاة والسلام .

ومال السلاطين على ثلاثة أقسام :

الأول : مال مغصوب بالمصادرة والقسمة والخراج ممن هو معروف ومعيّن ، فهذا حرام محض . وقابض هذا المال ان لم يرده لصاحبه فهو من الظالمين .

والثاني : مال يكون من ملك اشتروه بالجاه او أحيوه ، أو بذر نشروه ، فقابض هذا المال من المقتصدين لامن الظالمين ، واذا وقعت شبهة في سعر الملك فبهذه الشبهة يفوت ورع السابقين لاورع العدول والمقتصدين .

الثالث : المال الذي يعرفون انه حرام ومغضوب ولكنّه مجهول المالك . ففتوى الشرع في هذا المال أن يأخذوه ويصرفوه (14) في مصالح الدراويش فهذا اولى من إبقائه في أيديهم ليكون آلة الظلم والفساد ، والقابض لابدّ أن يكون امّا درويشا فيأخذ بقدر حاجته ، او غنيا فيأخذ ليوصله للدراويش ويصرفه في صالحهم دون أن يتصرف في شيْ منه . فكلّ من أخذ لضرورة العيال بقدر الحاجة من هذا المال لا أكثر فهو مقتصد لاظالم .

وفلان أقام مدّة في خانقاهنا وكانت سيرته محمودة ، فإذا طلب شيئاً من الخيرات الموسّعة او الاوقاف او اموال السلاطين لضرورة العيال فقد عرضه اولا على فتوى الشرع واختصر على محل الرخصة ، وعزيز في هذه الايام من يطلب ويعمل على ميزان فتوى الشرع مع الإقلال وكثرة العيال . وهكذا رجل في هذه الأيام يستحق الحمد ولا يستوجب الهجران والانكار ، حتى يعرف فلان أخا كسائر المشائخ ـ كثّر الله في زمرة الدين أمثالهم ـ هذا المعنى من أحواله ويتقبلونه عن جدّ . (15) والسلام (على سيد المرسلين) (16) .

---

14) في (ج) أن يأخذ منهم ويصرف .

15) في (ج) ويتلقون مقدمه بالقبول والاقبال .

16) سقط من (ا) و (ب) .

الباب الخامس

في فصول ومواضيع قالها وكتبها مرارًا

الفصل الأول

من إنشائه في ذكر آفات العلم والمناظرة والتذكير ، وبيان حظ النفس فيها ، وكيفية استدراج واستغواء إبليس لأهل العلم بواسطة المناظرة والتذكير بسخط الحق تعالى وبشقاوة الأبديّة وبيان حيله) (1)

33

بسم الله الرّحمن الرّحيم. طلب النصيحة والنصيحة كلاهما سهل ، ولكن الصعب قبول النصيحة ، وخاصّة على الذي يطلب العلم والفضل ، ظنّا منه بإنّ العلم سيكون وسيلة له يغنيه عن العمل ، ولكن حاجته اليه أكثر لأنّ الحجة عليه أشدّ تأكيدا « وأشدّ الناس عذابا يوم القيامة عالم لاينفعه الله بعلمه » (2) .

فإذا أردت سعادة الآخرة دون أن يكون العلم عليك حجّة ، فاحذر من أربعة أعمال :

ـ الأول : لاتناظر أحدا ، فإنّه ليس في المناظرة فائدة سوى إرضاء النفس وكسب قوة في الطبع . وآفاتها كثيرة « فإثمه أكبر من نفعه » حيث إنّها منبع لجميع الأخلاق الذميمة كالرياء والحسد والمباهاة وغيرها ؛ وأمّا إذا أشكل شيْ واحتيج إلى معرفة الحقيقة فبهذه النية فقط تصلح (المناظرة) (3) . ولهذه علامتان :

الاولى : أن لايكون عنده فرق بين أن يكشف الحق على لسانه أو لسان خصمه .

والثانيّة : أن يفضّل البحث في الخلوة على الملأ .

ـ الثاني : لاتذكّر ، وخف ممّا قالوا لعيسى ـ عليه السلام ـ قالوا « يابن مريم عظ نفسك فإن اتّعظت فعظ الناس وإلاّ فاستحي منّي » . فإذا ابتليت بالتذكير مراعاة للأقارب فاحترز من شيئين :

الأوّل : احذر من التفاصح والعبارات المتطاولة والأسجاع المتوالية ، فإنّ الله تعالى يبغض المتكلّفين ، وخاصة تكلّف السجع فإنّه إذا صدر من واحد دل على الغفلة وخراب الباطن ، لأنّ

---

1) هذا الفصل سقط من (ج) .

2) في (ج) لاينفع النّاس بعلمه .

3) سقط من (ا) و (ب) .

معنى التذكير أن يشعل القلب بنيران خطر الآخرة ، ويجعل الرجل ملتهبا فغليان تلك النار ونياح تلك المصيبة تسمّى التذكير . فإذا جرى سيل إلى قرب باب أحد ، ويكون الخوف من خراب الدار في ساعته وهلاك أطفاله ، فالمنادي ينادي بباب الدار : حذار ، الفرار من السيل . ففي هذا الوقت هل يتكلّف السجع أو التفاصح ؟ فهكذا مثال مذكّر الخلق أيضا .

والثاني : لايحب قلبك صراخ المستمعين وتبديل الحال وتقليب المجلس ، حتى يقول الناس : كان نعم المجلس ، فإنّ هذا كلّه دليل على الرياء والغفلة ، ولكن وليجعل همّته توجيههم من قبلة الدنيا إلى الآخرة ، ومن الحرص إلى الزهد ، ومن الغفلة إلى اليقظة ، بحيث إنّهم إذا خرجوا خرجوا مع تغييرشيءٍ من صفاتهم الباطنية ، أويظهر في معاملتهم الظاهريّة ، ويصبحون راغبين في الطاعة التي كانوا عنها فاترين ، وخائفين من المعصية التي كانوا عليها متجاسرين . هذا هو التذكير ، والباقي كلّه وبال على المتكلّم والسامع .

ـ الثالث : لاتسلّم على أيّ سلطان ولا تخالطهم ، فإنّ فتنة مجالسة السلاطين كبيرة ، وأنّ المبتلي برؤيتهم لابد أن يطنب في الثناء والمدح والفضل عليهم وفي حواشيهم ، فإذا دخلوا المجلس كذلك « فإن الله يغضب إذا مدح الفاسق . ومن دعا للظالم بطول البقاء فقد أحب أن يعصى الله في الأرض » .

ـ الرابع : لاتأخذ من أي سلطان شيئاً ولوكان حلالا مثلا ؛ لأنّ الطمع في مالهم وجاههم سبب فساد الدّين ويلزم منه المداهنة والمراعاة والموافقة على الظلم وغيره . وهذه كلّها عين الهلاك فهذه أربعة محاذير لابدّ من الاحتراز منها ، فإنّها ممّا يترك .

وأما ما ينبغي أن يفعل فأربعة أصول لابدّ من ملازمتها :

الأول : أن يعامل الناس معاملة إذا عاملوه بها رضي ، وقيل « فلا يكمل إيمان عبد حتى يحب لسائر الناس ما يحبّ لنفسه » .

الثاني : ليجعل كلّ معاملة تكون بينه وبين خالقه تعالى وتقدّس « بصورة لوأنّ عبدا من عبيده فعل معه قبلها ورضيّ ، وكل ما لايعجبه من عمل عبده أوليس من شأن العبد أن يفعله معه لايقبل مثله في عبادة الله تعالى .

الثالث : إذا أخذ بترتيب العلم فليأخذ أوّلا بعلم لو علم بأنّه سيموت إلى أسبوع آخر لاشتغل به . وهذا العلم لايكون (4) الشعر ولا الترسل ولا الخلاف في المذاهب (ولا الأصول) (5)

4) سقط من (ا) و (ب) .

5) الزيادة من (ج) .

ولا الكلام . فإنّ الذي علم بأنه ستلحقه المنيّة إلى أسبوع آخر - وكان موفّقا - لا يشتغل الاّ بالمراقبة (بمراقبة القلب) (6) ومعرفة صفاته حتى ينظفه من علائق الدنيا وكل علاقة سوى الله تعالى ، ويزينه بمحبة الله تعالى وبالصفات المرضية عند الله .

فإذا بشّروا أحداً بأنّ السلطان (7) سيأتي لزيارته في هذا الاسبوع ، فإنّه لايشتغل إلاّ بما يكون موضع نظر السلطان وينظّف الجسم والملابس والبيت من المكاره ويزينها بالمحاسن « وأن الله تعالى لاينظر إلى صوركم ولا إلى أعمالكم ، وإنّما ينظر إلى قلوبكم ونياتكم » .

ويمكن معرفة احوال القلب من ربع المهلكات والمنجيات من كتاب « إحياء العلوم » (او كيمياء) (8) أو « جواهر القرآن » . فهذا هوالعلم المهمّ (9) ، وهذا هو فرض العين « والبقية إما فضل كعلم الخلاف ، أو فضول كالشعر والترسل .

الرابع : أن يكسب مال الدنيا بمقدار ما لوعلم بارتحاله إلى ذلك العالم في ستة لكسبه و « ذلك قدر الكفاف » (10) الذي ارتضاه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأهل بيته ، إذ قال : اللّهمّ اجعل قوت آل محمّد كفافا . وقال - صلى الله عليه وسلم - (11) « من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ بجيفة وهو لايشعر » (والسلام) (12) .

---

6) في (ج) بمراقبة القلب .

7) في (ج) بأن سلطان الأسلام .

8) سقط من (ا) و (ب) .

9) في (ج) هو العلم الاهمّ .

10) في (ج) قدر الكفاف له .

11) في (ج) عليه الصلاة والسلام .

12) سقط من (ج) .

الفصل الثاني

34 ما كتبه في حقّ من (استنسخ) كتاب « بداية الهداية » (2) في الشرائط والأوصاف التي لابدّ منها للمتعلّم ليتأهل لقراءة « بداية الهداية » .

بسم الله الرّحمن الرّحيم :

ما كتبته في (هذا) (3) الكتاب هوبداية الهداية (4) وامّا نهاية الهداية (5) أن تكون صاحب النفس الواحدة والهمّة الواحدة ، والفكرة الواحدة والرؤية الواحدة .

فوحدة النفس : أن لاتقيد القلب بالماضي أو المستقبل فلا يكون لـه البارحة ولا الغد . لايتأسّف على ما فات ، ولايتدبّر ما لم يأت ، بل لايراعي الاّ النفس الواحدة الحاضرة ، وأن الماضي هو المعدوم يقينا ، والمستقبل يمكن أن لايكون متيقنا ؛ فليس الاّ هذه النفس يقينا .

وامّا الهمّة الواحدة أن لايكون له أيّة قبلة أو مقصود سوى الله تعالى في هذه النفس الواحدة ، فيتوجه اليه ويلازم ذكره بل شهوده (6) ، ولكلّ من هذا درجة .

وامّا الفكرة الواحدة أن يجعل من نفسه عسسا ليجرد من القلب كلّ عمل وكلّ شيء ليس لله تعالى ؛ لأنّ « الدنيا ملعونة وملعون ما فيها إلاّ ذاكرا لله وما والاه » . وكل ما هوغير الحقّ تعالى منطبق عليه هذا المعنى .

وامّا الرؤية الواحدة : أن يرى الحقّ تعالى مع كل ما يرى ، فليس في الوجود سواه في الحقيقة وجميع الاشياء إنما وجودها في الظاهر فقط . ولكلّ واحدة من هذه درجة . « هم درجات عند الله » (7) . فكل من كان صاحب درجة من هذه الدرجات سيصل من بداية الهداية إلى نهاية الهداية .

---

1) سقط من (ج) .
2) انظر الثعالبي ص : 163 ت رقم 35 .
3) سقط من (ا) و (ب) .
4) في (ج) لا النهاية .
5) في (ج) وأما علامة الهداية .
6) في (ج) شهوده بل ورؤيته .
7) القرآن الكريم سورة آل العمران الآية 163 .

الفصل الثالث

في حق الاباحية الزناديق ، وبيان غوايتهم وطريق استيلاء الشيطان عليهم وبيان انهم أسوأ الخلق

35

بسم الله الرّحمن الرّحيم :

(قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلّم ـ) (2) « ستفترق أمتي على نيف وسبعين فرقة : الناجية منها واحدة » . وقال : إنّ أمّتي تفترق إلى اثنتين وسبعين فرقة ولكن الناجية منها فرقة واحدة والباقي كلّهم يهلكون ، وسبب هذا الافتراق أنّ الأمّة صارت ثلاث فرق في الأصل : الأحسن والاسوأ والوسط .

الأحسن : هم الصوفيّة الذين جعلوا تمام مرادهم وشهواتهم لمرضاة الحقّ .

والأسوأ : هم الفسّاق والذين يظلمون ويشربون الخمر ويزنون ويطرحون عنان الشهوة فيما يريدون ويتمكّن لهم ، ويغرون أنفسهم بأن الله كريم رحيم ، ويعتمدون على هذا .

والوسط:هم أهل الصلاح من جملة عوامّ الخلق .

وكلّ فرقة من هذه انقسمت إلى أربع وعشرين فرقة واختلطت وصارت اثنتين وسبعين فرقة .

وأمّا سبب ازدياد هذه الفرق فإنّ الشيطان حسد الصوفيّة الذين هم أحسن الخلق ، وكانوا غير مبتلين بأية شهوة أو معصية ؛ وحسد الفاسقين وقال : ولوأنّهم من أسوأ الخلق إلاّ أنّ باب الأمل مفتوح لهم ؛ وهو أن يعلموا خطاياهم فينظروا في أنفسهم بعين النقصان ويتوبوا ، فإذا تابوا فإن الله تعالى يقبل التوبة ، حيث قال « وإنّي لغفار لمن تاب » (3) .

فلا بدّ من طريق لتلويث هؤلاء الطيبين بالمعاصي ، وتعمية هؤلاء الفاسقين حتى لايروا شرورهم وآثامهم . فأراد أن يجمع بين الصوفية والفاسقين ؛ فجاء قائلا للصوفيّة : لماذا تزجرون

---

1) سقط من (ج) .

2) سقط من (ج) .

3) القرآن الكريم سورة طه الآية 82 .

أنفسكم بلا فائدة ؛ حيث إنّ الله تعالى لايحتاج لشيء من طاعتكم ولا يضرّه شيءٌ من معصيتكم ، وأن الله عزّ وجلّ كريم رحيم ، والمقصود من التكاليف ضبط عوام النّاس حتى لايختصموا بسبب أموال الدنيا . والمقصود من الطاعة القربة لله تعالى وأما أنتم فلكم هذه القربة ، فزجر النفس وردع الشهوات ليس إلاّ من الحمق .

فلمّا أثّرت في قلوبهم هذه الوسوسة ، وأمدّتهم الطبيعة (الحيوانية) (4) لطلب الشهوة أخذت ترسخ وتستحكم حتى أخذوا بالمعاصي وأباحوا النساء والأولاد ، وكانوا في لبس ولباس الصوفيّة ، وكانوا يقولون الألفاظ الموزونة ، وما علموا أنّ الله ولو أنه رحيم (5) فإنّه شديد العقاب ، وليست قربتهم بأقرب من قربة الأنبياء ودرجتهم ، وما قعد الأنبياء عن الطاعات والعبادات وما غرّتهم هذه الشبهة .

فلمّا زرع الشيطان في قلوبهم هذه الشجرة ، انصرف عنهم وعرف بأنّهم سوف لايصلحون ولا يقبلون العلاج لأنهم أصبحوا أسراء لجميع الشهوات ، وعاشوا في زي المتصوفة ، وظنّوا أنّهم من المقربين إلى باب حضرة العزّة.

وفي الحقيقة (6) إنهم أسوأ الخلق ، وأردأ الأمة . وعلاجهم اليأس ،ولاتفيدهم المناظرة ولا النصيحة فمن الواجب استئصالهم وقمعهم وإراقة دمائهم ، ولا طريق سوى هذا في إصلاحهم « يفعل الله بالسيف والسنان ما لايفعل بالبرهان (7) .

---

4) سقط من (ا) و (ب) .

5) في (ج) إن الله كريم .

6) في (ج) وبالحق .

7) في (ج) بالبرهان والقرآن .

الفصل الرابع (1)

36 في النصيحة ـ سمعت ان شخصا اتاه من بخارى طالبا النصيحة ، فنصحه حجة الإسلام بهذه النصيحة . (وهذا فصل نادر وغريب)(2)

قال الله تعالى : « وذكّر فإن الذكرى تنفع المؤمنين » (3) فإذا كنت طالبا لطريق السعادة فاعلم أنّ أصول السعادة ثلاثة : ملازمة ، ومخالفة ، وموافقة .

ـ ملازمة ذكر الحقّ تعالى في جميع الأحوال ، بحيث لايخلومنه أيّ آن حتى المقدور .

ـ ومخالفة النفس والهوى حتى ينكسرا وتأسرهما ، فلا يقعدانك عن ملازمة الذكر فإنّهما إذا غلبا أسّراك وأشغلاك بما هومرادهماوحجباك عن الحقّ .

ـ والموافقة مع حدود الشريعة والسنن والآداب في جميع الحركات والسكنات الظاهرة والتفكرات (4) الباطنية .

فإذا أعطواتوفيق هذه الثلاثة حتى صار القلب ذاكرا والجوارح كلّها مطيعة وصفات النّفس كلّها مقهورة فقد تمت خلعة السعادة ، وحصلت أكبر الكرامات .

فبعد هذه المرحلة إذا رأيت صورة أو ظهر لك شيْء أو نور فلا تقطن قلبك بها في البداية ، ولا تلتفت اليها ولا تعتبرها ايضا . واذا ما رأيت شيئاً فلا تشغل قلبك به ، لأنّ الأصل الذي مرّ ذكره معمور (والسلام) .

---

1) سقط من (ج) .

2) سقط من (ج) .

3) القرآنالكريم سورة الذاريات الآية 55 .

4) في (ج) التفكر والظن .

(1) الفصل الخامس (2)

37 ما قاله في حق شهاب الإسلام بالمشافهة وذلك حين تخلص من قلعة « ترمذ » ونزل بطوس

حضر يوم الجمعة في المسجد الجامع ، فلمّا أدّى حجة الإسلام الصلاة قرب منه وتفقده ، وقال : قال الله تعالى « ولنذيقنّهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلّهم يرجعون » (3) . إنّ ألطاف الحقّ تعالى في حق أحبتّه وافرة ، وأنواع مكره في حق أعدائه كثيرة : « ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لايشعرون » (4) لم يأخذ الله فرعون اربعمائة سنة حتى وصل في غوايته إلى أن قال : « أنا ربّكم الأعلى » (5).« فقلعة ترمذ » وغيرها من ألطاف الحقّ (6) ، حيث يدعو عباده وأحبّاءه « لعلهم يرجعون » ، وبهذا السبب يتنبّهون ، ومن الشّقاوة الأبديّة يتخلّصون.فلمّا رصد في حقك هذا وظهر أثر التنبيه ، فلا بدّ أن يظهر على جملة الأعضاء ، فإذا (7) ظهر على اللسان فلا يقول الاّ ذكر الحقّ ، واذا ظهر على السمع فلا يسمع الاّ ذكر الحق ، وإذا استولى على القلب فيكون بأجمعه في شهود الحقّ ويعرض عمّا سوى الحقّ ، ولا يلتفت إلى سواه ، واذا ظهر على القدم لاتكون خطاها الاّ في سبيل الحقّ .

فإذا ظهر شيئ من جملة هذه الآثار على أحد الأعضاء فقد حلّ ذلك التنبيه ولابدّ حينئذ من الاغتنام والاّ فالاستسلام للعقوبة وانتظار العذاب الأدنى « دون العذاب الأكبر » (8) وليست تلك

---

1) انظر ت (2) الرسالة رقم 17 .

2) سقط من (ج) .

3) القرآن الكريم سورة السجدة الآية 21 .

4) القرآن الكريم سورة النمل الآية 50 .

5) القرآن الكريم سورة النازعات الآية 24 .

6) في (ج) من ألطاف الحق تعالى .

7) في (ج) فإذا ظهر على العين لاترى الاّ العبرة وآيات الحق والتوحيد والالهية .

8) القرآن الكريم سورة السجدة الآية 21 .

عقوبة بنار جهنم بل هي عقوبة القلب بالنار الروحاني « نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة » (9) وحجاب عن الحضرة الالهية « كلاّ إنّهم عن ربّهم يومئذ لمحجوبون ثم إنّهم لصالوا الجحيم » (10)

أجرى الله تعالى على اللسان والقلب كل ما هو سبب النجاة من العذابين ، ويكون سببا للسعادة الأبديّة وقرب الحقّ (تعالى) ورضاه.(والسلام) (11) .

---

9) القرآن الكريم سورة الهمزة الآيتان 6 ـ 7 .

10) القرآن الكريم سورة المطففين الآيتان 15 ـ 16 .

11) سقط من (ج) .

الفصل السادس (1)

38 في الحث والتحريض على الإخلاص في دعاء الاستسقاء وصلاته

الآفات متراكمة والبليات السماوية متواترة ، والخواطر مشوشة ، والهمم مشتغلة بأمور الدنيا ، والأفكار مصروفة عن طريق الحق ومقصورة على زخارف الدنيا وتحصيلها ، « ان الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » (2) .

فلما أقبل الناس على الدنيا وأكبوا عليها أدبرت عنهم بالمرة « كل ممنوع متبوع والحريص محروق » . فطريق المعالجة هي المواظبة على الطاعة والعبادة ، والاشتغال بها والإعراض عن الدنيا ، فإذا اشتغلوا بالطاعة لايكون اشتغالهم لخلاص (3) الدنيا وثناء الناس والثواب المرتجى بل يكون للحق تعالى « وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين » (4). فإذا كان العمل له والطاعة خالصة اليه فيقربون من رضا الله تعالى مستأهلين للحضرة الإلهية وتتحقق المناسبة بين الأرواح والروحانيات ، فحينئذ إذا دعوا الله طالبين شيئاً منه يظهر أثر الدعاء بسرعة « ادعوني أستجب لكم » (5) جاء هذا في حق هؤلاء القوم ، وإلا فالدعاء بدون هذه الشرائط تعب (6) بلا فائدة . (والسلام) .

---

1) سقط من (ج) .
2) القرآن الكريم سورة الرعد الآية 11 .
3) في (ج) لاخلاق الدنيا .
4) القرآن الكريم سورة البينة الآية 5 .
5) القرآن الكريم سورة غافر الآية 60 .
6) في (ج) الغناء بلا فائدة .



• جملة من التعاليق الاضافية جمعناها في هذا القسم ولم نثبتها أسفل الرسائل لطولها . تجدون الاحالة اليها في أماكنها .

1 ـ نيسابور المدينة العظيمة التاريخية ـ واقعة بين الري وخراسان ـ يقول الحموي في وصفها : مدينة عظيمة ذات فضايل جسيمة ، معدن الفضلاء ، ومنبع العلماء ، لم أر فيما طوفت من البلاد مدينة كانت مثلها .

فتحها المسلمون في أيام عثمان صلحا سنة 31 هـ. وقد خرج منها من أئمة العلم من لايحصى . وبالفارسية يقال نيشابور (معجم البلدان : ياقوت حموي ص 857 ج 4) .

2 ـ « المنخول من تعليق الأصول » ألفه في حياة استاذه « امام الحرمين » قال ابن النّجار : فرآه أبوالمعالي فقال « دفنتني وأنا حيّ فهلا صبرت » أي أن كتابك غطى على كتابي .

ويقول الذهبي « في أواخر المنخول للغزالي : كلام فج من إمام لا أرى نقله هنا » . (سير أعلام النبلاء للذهبي) ومن هذا الكتاب نسخة مخطوطة في دار الكتب المصريّة (مؤلفات الغزالي بدوي) .

3 ـ الإمام ابوحنيفة : هوالنعمان بن ثابت بن زوطي بن ماه (80 ـ 699/150 ـ 767) . انظر عنه المراجع :

مناقب ابي حنيفة للموفق : ج 173/1 ـ جامع اسانيد أبي حنيفة : ج 222/1 ـ تذكرة الحفاظ : 157/1 ـ الخطيب البغدادي : 274/1 ـ وفيات الاعيان : 39/5 ـ تلخيص الشافعي : 120/2 ـ تاريخ بغداد : 323/13 ـ 423 . النجوم الزاهرة : 12/2 ـ البداية والنهاية : 107/10 ـ الجواهر المضية : 26/1 ـ نزهة الجليس للموسوي : 176/2 ـ دائرة المعارف الاسلامية : 330/1 ـ 332 .

4 ـ الإمام الشافعي : هومحمّد بن إدريس (150 ـ 767/204 ـ 820) . انظر عنه المراجع :

أصول الاستنباط : علي نقي الحيدري ص : 29 ـ الشيعة وفنون الإسلام (الفصل الخامس) : السيد حسن الصدر العاملي ـ اعيان الشيعة : ج 1 القسم الثاني ص : 76 : محمّد الامين ـ تذكرة الحفاظ : 329/1 ـ التهذيب 25/9 ـ الوفيات : 447/1 ـ إرشاد الاريب : 367/6 ـ 398 ـ غاية النهاية : 95/2 . ـ صفوة الصفوة : 140/2 ـ تاريخ بغداد : 56/2 ـ 73 ـ حلية الاولياء : 63/9 .

5 ـ الإمام مالك : هو ابوعبد الله مالك بن أنس بن أبي عامر الاصبحي المدني ؛ (93 ـ 712/179 ـ 795) انظر عنه المراجع :

ـ الديباج المذهب : 17 ـ 30 ـ الوفيات : 439/1 ـ تهذيب التهذيب : 5/10 ـ صفوة الصفوة : 99/2 ـ حلية الاولياء : 316/6 ـ الانتقاء : 47/9 ـ اللباب : 86/3 ـ .

6 ـ المذهب المنسوب إلى زرادشت (حوالي 660 ـ 583 قبل الميلاد) القائل بمبدأين مبدأ الخير وهو « اهورامزدا » (Ormuzd) ومبدأ الشر وهو « أهريمن » (Ahrimon) أو النور والظلمة .

7 ـ « مشكاة الأنوار » فيه بحث عن الفلسفة اليونانية من حيث التصوف طبع في مصر ضمن مجموع عام (1343 هـ) ومنه نسخة خطية في دار الكتب المصرية وسائر المكاتب الدولية في أروبا وله ترجمة عبرية .

وهذا ليس كتاب « مشكوة الانوار في لطائف الاخبار » . وترجم هذا الكتاب إلى العبرية إسحق بن يوسف الفاسي . ويقول جوشه : إنه كان لكتاب « مشكوة الانوار » أثر كبير عند اليهود لايقل عن أثره عند المسلمين (جميل صليبا : مقدمة المنقذ من الضلال ؛ بدوي : مؤلفات الغزالي) .

8 ـ القاضي أبو بكر محمّد بن الطيب المشتهر بالباقلاني البصري المتكلم المشهور . أيّد الاعتقاد الأشعري وناصر طريقته وسكن بغداد ، وصنّف تصانيف مشهورة في علم الكلام وكان في علمه واحد زمانه وانتهت اليه الرئاسة في مذهبه . وكان كثير التطويل في المناظرة مشهورا بذلك عند الجماعة . توفي في ذي القعدة (403 هـ) ببغداد من مؤلفاته إعجاز القرآن والانتصار وكشف أسرار الباطنية .

(ابن خلكان : وفيات الأعيان 400/3 ؛ دائرة المعارف) .

9 ـ ملك المشرق اوالشرق وناصر الدين من ألقاب « سنجر » في أيّام إمارته على خراسان (490 ـ 511) (تاريخ إسلام عباس اقبال) .

10 ـ جاء هذا البيان في رسالة بعث بها إلى « مجير الدولة » ص 93 الرسالة (17) كذا : لوكانت الدنيا من ذهب لايبقى والآخرة من خزف يبقى لوجب على العاقل ان ~~يؤثر خزفا يبقى على~~ ذهب لايبقى فكيف والدنيا من خزف لايبقى والآخرة من ذهب يبقى .

11 ـ هوالإمام علي بن موسى بن جعفربن محمّد بن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام الإمام الثامن ولد في 11 ذي القعدة سنة 48 هـ في المدينة . كان المأمون قد زوجه ابنته ام حبيب وجعله ولي عهده وضرب اسمه على الدينار والدرهم . استدعاه من المدينة وهو بمدينة « مرو » فانزله احسن منزلة وجمع خواص الاولياء واخبرهم انه نظر في اولاد العباس واولاد علي بن ابي طالب (ع) فلم يجد في وقته احدا افضل ولا احق بالأمر من علي بن موسى الرضا فبايعه وامر بازالة السواد من اللباس والأعلام (وكان ذلك شعار العباسيين) ورفع شعار العلويين (الاخضر) . له مناظرات مع علماء جميع الفرق بحضرة المامون . توفى على أثرسم دسوه اليه في آخر يوم صفر سنة 103 هـ . بمدينة طوس ودفن بجنب قبر هارون الرشيد وسميت المدينة المبنية حوالي قبره (ع) « مشهد » (ومشهد الرضا) وهي حتى يومنا هذا من أهم المدن الايرانية ومركز خراسان . وفيه يقول ابو نواس :

قيل لي انت احسن النّاس طرا ... في فنون من الكلام النبيه
لك من جيد القريض مديح ... يثمر الدّر في يدي مجتنيه
فعلام تركت مدح ابن موسى ؟ ... والخصال التي تجمعّن فيه
قلت لا استطيع مدح إمام ... كان جبريل خادما لأبيه

يقول فيه أيضا :

مطهرون نقيات جيوبهم ... تجري الصلاة عليهم اينما ذكروا

(الى آخرها) انظر وفيات الاعيان رقم 396 ؛ وساير التراجم .

12 ـ جاء اسم هذه الناحية في نسخة (أ) « تروغ » وفي (ج) « طروق » وفي كتاب المقالات الاربع : للعروضي السمرقندي « تروق » . (ص 65 س 10) وهو موضع يقرب مشهد الرضا ـ عليه السلام ـ بفرسخين على طريق طهران . والآن هي قرية معتبرة وتسمّى « طرق » بضم الأول والثاني . العلامة القزويني : تعليقات المقالات الاربع ص 195 .

13 ـ الناموس : صاحب السرّ المطّلع على باطن أمرك . ويقال « فلان ناموس الأمير » أي صاحب سرّه . الوحي . الحاذق . الكذّاب . النّمام . قترة الصائد . وهي كالغرفة يكمن فيها الصائد للصيد . بيت الراهب . الشرك المكر والخداع . ماتنّمس به من الاحتيال . دويبة غبراء كهيئة الذّرة عرين الأسد . ج نواميس والكلمة من الـدخيـل .

14 ـ نصيحة الملوك : ألفه باللغة الفارسيّة وله عدّة مخطوطات ، وطبع مرات ، طبعه أخيرا الأستاذ جلال همائي في طهران سنة (1315 هـ ش 1317 هـ ش) وترجمه إلى العربيّة علي بن مبارك بن موهوب للأتابك ألب قنلج في الموصل (المتوفى 595 هـ ـ 1199 م) ولهذه الترجمة العربيّة عدّة عناوين أشهرها :

« التبر المسبوك في نصيحة الملوك » و « التبر المسبوك في نقل نصيحة الملوك » و « خريدة السلوك في نصيحة الملوك » طبع بالقاهرة على هامش « سراج الملوك » للطرطوشي سنة 1306 هـ. يقول حاجي خليفة « التبر المسبوك في نصائح الملوك » ـ فارسي ـ للإمام ابي حامد محمّد بن محمّد الغزالي المتوفى سنة 505 الّفه للسلطان محمّد ابن ملكشاه السلجوقي ثم عرّبه بعضهم .

(مؤلفات الغزالي : بدوي)

15 ـ يقول الإمام الغزّالي في كتابه المنقذ من الضلال ما هو نصه :

سبب نشر العلم بعد الاعراض عنه :

فترّخصت بيني وبين الله تعالى الاستمرار على العزلة وتعلّلا بالعجز عن أظهر الحق بالحجّة فقدّر الله تعالى أن حرك داعية سلطان الوقت من نفسه لابتحريك من خارج . فأمر أمر الزام بالنهوض إلى نيسابور ، لتدارك هذه الفترة وبلغ الالزام حدّا كاد ينتهي لواصررت على الخلاف ، الى حدّ الوحشة ، فخطر لي ان سبب الرخصة قد ضعف ، فلا ينبغي ان يكون باعثك على ملازمة العزلة والكسل والاستراحة ، وطلب عزّ النفس وصرفها عن أذى الخلق ...

فشاورت في ذلك جماعة من ارباب القلوب والمشاهدات . فاتّفقوا على الإشارة بترك العزلة ، والخروج من الزّاوية ، وانضاف إلى ذلك منامات من الصالحين كثيرة متواترة ، تشهد بانّ هذه الحركة مبدأ خير ورشد ، قدرّها الله سبحانه على رأس هذه المائة وقد وعد الله سبحانه باحياء دينه على رأس كلّ مائة ، فاستحكم الرجاء وغلب حسن الظّن بسبب هذه الشهادات ، ويسرّ الله تعالى الحركة إلى نيسابور للقيام بهذا المهمّ في ذي القعدة سنة تسع وتسعين واربعمائة وكان الخروج من بغداد في ذي القعدة سنة ثمان وثمانين واربعمائة بلغت مدّة العزلة احدى عشرة سنة .

(الغزالي : المنقذ من الضلال : ص 112 ـ 117)

16 - المنقذ من الضلال : للغزّالي . ألّفه في أواخر أيامه ، وقلّ ما نجد في الآداب العالميّة مثله ـ من ناحية الموضوع ـ يشرح فيه الامام الغزّالي تطوره الفكري والسعي وراء الحقيقة ، لابل هو يترجم عن حياته الفكرية ويشرح لنا شكوكه ومباحثه في مختلف المذاهب ، قبل الوصول إلى رأى يطمئن اليه يقول « الرفاعي » عنه انه كاعترافات الفيلسوف الايطالي « جيوفاني بابيني » ويقول « همائي » انه كاعترافات « جان جاك روسو » . طبع عدّة مرات وترجم إلى عدّة لغات وله مخطوطات متعددة (مؤلفات الغزّالي : بدوي . الغزالي : أحمد فريد الرفاعي » ج 1 ص 189 . غزالي نامه » : جلال الدين همائي ص 262) .

17 - جاء اسم السائل في كتاب تذكرة الشعراء : دولتشاه السمرقندي عند ترجمته الشاعر « الأنوري » ما هذا ترجمته : « أمّا الاستاذ اسعد المهنة فكان من فحول العلماء وناظر في مجلس السلطان محمّد بن ملكشاه مع افضل العلماء محمّد الغزّالي . وكان علماء خراسان يأخذون جانبه ويوقّرونه . فأول سؤال سأله كان هذا : هل أنت على مذهب الحنفي اوالشافعي ؟ فأجاب الغزّالي : في العقليات لي مذهب البرهان ، وفي الشرعيات مذهب القرآن لا لأبي حنيفة علي خطّ ولا للشافعي علي سند فقال الاستاذ أسعد بان هذا الكلام خطأ

قال محمّد الغزّالي : أيّها العاجز لوكنت شممت من علم اليقين رائحة ، مانسبت كلامي إلى الخطأ ولكنّك بقيت في قيد الظاهر فأنت معذور ، ولولا احترام شيخوختك وتقدّمك لناظرتك وهديتك إلى طريق التحقيق . (انتهى) .

وهذا البيان يعارض : أولا اعتراف الغزّالي بأنّه تعهد على مشهد ابراهيم الخليل لترك المناظرة . وثانيا : قول مصنف فضائل الأنام حيث يقول : ان حجة الإسلام رجع مع أتم الاعزاز والاحترام إلى « طوس » فهناك اتاه جماعة وسالوه : أنت على مذهب من ؟ ...

وعلى كل حال يعد الإمام أسعد الميهني أحد مخالفي الإمام الغزّالي بل في رأسهم .

واما ترجمته : هو أبو الفتح أسعد بن محمّد بن أبي نصر الميهني (على نقل السبكي) واسعد بن أبي نصربن أبي الفضل (على نقل ابن خلكان) الميهني النسبة إلى ميهنة القرية الواقعة بين مدينة سرخس وابيورد .

يقول السبكي : « هو الإمام الكبير النظار صاحب الطريقة المتفق على انه الفرد في علم الخلاف . تفقه على الإمام أبي المظفر منصور بن محمّد السمعاني وعلى الموفق الهروي بمرو .

وقال أبو سعد بن السمعاني : برع في الفقه وفاق أقرانه في حدّة الخاطر والاعتراض وجرى اللسان وقهر الخصوم وكان والدي استنابه في التدريس بالنظامية « بمرو » فتولى ذلك وتفقه عليه جماعة ثم خرج من مرو إلى غزنة وأكرم مورده وبلغ إلى لوهور (اليوم لاهور) وشاع ذكره بالفضل والنظر في تلك الديار وحصل له مبلغ من الإموال والعبيد والخدم وانصرف منها وقصد العراق فورد العراق ودرس بالنظاميّة بها مرتين ، فالاولى في سنة 507 هـ ثم عزل في ثامن عشر شعبان سنة 513 ، والمرة الثانية في سنة 517 في شعبان ، وعلق عليه تعليقته في الخلاف وانتشر ذكره في الاقطار ، قال ورجع من خراسان إلى العراق بعد أن أنفذ اليها من جهة السلطان محمود السلجوقي إلى « مرو » ، وكان قد فتر سوقه وما زال حاله يصعد وينزل إلى ان ادركته منيته بهمذان بعد العشرين وخمسمائة (520) ، قال السمعاني : سمعت ابا بكر الخطيب يقول : سمعت فقيها ملازما للامام أسعد الميهني قال : كنّا في بيت وقت أن قرب أجله فقال لنا : أخرجوا من ههنا ، فخرجنا ، فوقفت على الباب

وتسمّعت ، فسمعته يلطم وجهه ويقول : ياحسرتى على ما فرطت في جنب الله ، وجعل يبكي ويلطم وجهه ويردّد هذه الكلمة إلى أن مات .

(ابن خلكان : وفيات الاعيان ج 1 ص 187 . السبكي : طبقات الشافعيّة ج 4 ص 203 جلال الدين همائي غزّالي نامه ص 334 . دولتشاه سمرقندي : تذكرة الشعراء ص 95 ـ 96 ديوان : انوري ص 6) .

18 ـ كيمياي سعادت يقول السبكي : «كيمياء السعادة» بالفارسيّة وهو كتاب كبير يقال : أنه ترجم فيه كتاب «الاحياء» وقد رأيته بمكة .

وكتاب آخر صغير بالعربيّة نحو أربعة كراريس سمّاه كذلك وهو عندي .

فكما أشار اليه السبكي ويشير اليه كثيرا الإمام الغزّالي هو كتاب الفّه بالفارسيّة ولخص فيه كتاب الاحياء فجاء موجزا وافيا منه ، وهو أهمّ كتب الغزّالي بالفارسيّة ، ويعتبر من أروع نصوص الفارسيّة في ذلك العهد . طبع مرات في ايران . لخصه الفيلسوف الشاعر افضل الدين الكاشاني (في القرن السابع) ومنها نسخة خطيّة في مكتبة مجلس النّواب الايراني .

(مؤلفات الغزّالي : بدوي رقم 45 سبك شناسي : ملك الشعراء بها ر ج 2 ص 163) .

19 ـ الاقنوم بمعنى الأصل (في اليونانية) والاقانيم الثلاثة : الأب والابن وروح القدس . والنصارى مجمعون على ان الله تعالى واحد بالذات ويريدون بالاقانيم الصفات مع الذات ويعبرون عن الاقانيم بالأب والابن وروح القدس ، يريدون بالأب الذات مع الوجود وبالابن الذات مع العلم ويطلقون عليه اسم الكلمة ويريدون بروح القدس الذات مع الحياة (بهاء الدين العاملي : كشكول 9 ص 303 .

20 ـ 21 ـ 22 ـ الحلول : هوان يكون الشيْ حاصلا في الشيْ ومختصا به بحيث تكون الاشارة إلى احدهما إشارة إلى الآخر تحقيقا اوتقديرا (كليّات ابي البقاء) وحلول الشيْ في الشيْ : هوان يكون وجوده في نفسه هوبعينه وجوده لذلك الشيْ . ويريد به المتصوفة ان الله تعالى يحل في العارفين . (كشاف اصطلاحات الفنون : للتهاوي) .

والاتحاد في الأصل : امتزاج الشيئين واختلاطهما حتى يصيرا شيئاً واحدا .

وفي عرف الصوفية : الاتحاد هو شهود الحق واتحاده به . من حيث كون كلّ شيْ موجودا به معدوما بنفسه ، لا من حيث ان له وجودا خاصا اتحد به ، فإنه محال كما يقول الغزّالي.وقد جاء تفصيل الاتحاد ذلك في كتابه مشكوة الانوار ص 115 .

ويقول الاستاذ بدوي في وصفه الشطح عند الصوفيّة : والاتحاد بالله هنا يقصد كاملا أعني أن يصير المحب والمحبوب شيئاً واحدا فعلا : سواء في الجوهر والفعل . أي في الطبعية والمشيئة والفعل الصادر منها ، فتكون الإشارة إلى الواحد عين الإشارة إلى الآخر ، ثم تختفي الإشارة لانعدام المشير فلا يصير ثمت غير واحد أحد هو الكل في الكل وهنا يفرّق بين الاتحاد والحلول على أساس ان الاتحاد هو شهود وجود واحد مطلق من حيث انّ لها سوى الله وجودا خاصا يصير متحدا بالحق . أما الحلول فيقتضي شيئين . وينقسم إلى قسمين : حلول سرياني وحلول جرياني .

والاول هو اتحاد جسمين بحيث تكون الاشارة إلى احدهما عين الاشارة إلى الآخرة كحلول ماء الورد فيسمّى السّارى حالا والمسرى فيه محلاّ .

أما الحلول الجرياني فهو عبارة عن ان يكون أحد الشيئين ظرفا للآخر مثل الماء للكأس .

أما ابن تيميّة فيقسّم كلا من الاتحاد والحلول إلى قسمين اذ كلاهما اما مطلق او معين في شخص . وهناك من الصوفيّة من أنكر هذا التوحيد وقالوا بغلبة المشهود على الشاهد واستتار وجود الشاهد بنور المشهود مثل استتار الكواكب في ضياء الشمس واختفاء صورة الحديد المحماة وكونها في صورة الناريّة الغالبة عليها ».

ولكن القائلين بوحدة الوجود يردون هذا القول بما يردون به قول أهل الظاهر ويقولون : هذا ذوق من لم يصل إلى درجة الفناء التّام .

ولم يقّووا سلوكهم فبقوا قاصرين . ولم يشعروا أن فيما ذهبوا اليه رائحة الحلول ، كما يدّل عليه تمثيلهم بالحديدة المحماة فإن التجلي ـ قبل ان يفنى التعين فناء تاما ويمحى الرّسم محواً كاملا ـ يرى الشاهد انانيته باقيا والمشهود قد استولى على وجوده بعض الاستيلاء مع بقاء الاثنينية بين الشاهد والمشهود فهذا لايخلو من الحلول .

وأما اذا كمل التجلي فنيت الانانية فناء تاما ثم بقيت ببقاء المشهود اذ يرى نفسه في طور آخر ويجد ذاته وجدانا صريحا ساريا في الكل ومحيطا بالكل بل يجدها عين الكل (رسالة في الوحدة الوجودية لبهاء الدين محمّد ابن حسين بن عبد الصمد العاملي المتوفى سنة 1031/1621 ؛ ص 320 ـ 321 (طبع في القاهرة في مجموعة الرسائل نشرها محي الدين الكردي سنة 1328/1910 ؛ شطحات الصوفية : بدوي ص 7 ـ 14 . مجموعة الرسائل والمسائل : ابن تيمية ص 172 ـ 177 .

23 ـ في (ج) أنا الحق وسبحاني ما أعظم شأني ، فهذا من شطحات الصوفية وينسب إلى عدّة : منهم بايزيد البسطان المتوفى 264 هـ كان جدّه مجوسيّا ثم أسلم . وكان يخدم الامام جعفر الصادق عليه السلام.كان يقول لو نظرتم إلى رجل أعطى من الكرامات حتى يرتفع في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الامر والنهي وحفظ الحدود وأداء الشريعة وقد سئل بايّ شئ وجدت هذه المعرفة ؟ قال « ببطن جائع وبدن عار » ويستدل مما جاء عنه انه اوّل من قال بمذهب الفناء وتاليه الكلّ .

(مجالس المؤمنين : قاضي نور الله القستري . شطحات الصوفية : بدوي ج 1 ص 22 ـ 47) .

24 جاء هذا الاستدلال ايضا في كتابه « المنقذ من الضلال » في نقضه اقوال الفلاسفة وبيان ما سرقوه من كلام اهل الحقّ ومزجوه بكلامهم بقوله : فتولد من مزجهم كلام النبوة وكلام الصوفيّة بكتبهم آفتان : آفة في حق القابل ، وآفة في حق الراد اما الآفة التي في حق الراد فعظيمة : اذ ظنت طائفة من الضعفاء ان ذلك الكلام إذا كان مدونا في كتبهم ، وموجبا لباطلهم ينبغي أن يهجر ولا يذكر بل ينكر على كل من يذكره ، اذ لم يسمعوه اوّلا الاّ منهم ، فسبق إلى عقولهم الضعيفة انه باطل لأن قائله مبطل . كالذي يسمع من النصراني قول : « لا اله الاّ الله « عيسى روح الله » فينكره ويقول : هذا كلام النصارى ولا يتوقف ريثما يتأمّل ان النصراني كافر باعتبار هذا القول أو اعتبار انكاره نبوة محمّد عليه الصلاة والسلام فإن لم يكن كافرا الاّ باعتبار انكاره ، ينبعي أن يخالف في غير ما هو به كافر مما هو حث في نفسه ، وان كان ايضا حقّا عنده : ص 83 ـ 84 المنقذ من الضلال .

ويقول ايضا . فلوفتحنا هذا الباب ، وتطرقنا إلى ان يهجر كلّ حقّ سبق اليه خاطر مبطل لزمنا ان نهجر كثيرا من الحقّ ، ولزمنا ان نهجر جملة آيات من آيات القرآن واخبار الرسول وحكايات السلف وكلمات الصوفية لأن صاحب كتاب « اخوان الصفاء » اوردها في كتابه مستشهدا بها ومستدرجا قلوب الحمقى بواسطتها إلى باطله ، ويتداعى ذلك إلى ان يتخرج المبطلون الحق من أيدينا بايداعهم أية كتبهم ص 85 المنقذ من الضلال .

25 ـ هوأبو طالب المكّي المتوفى 388 هـ كان صالحا مجتهدا في العبادة قيل « ان رياضته الصوفيّة كانت عظيمة جدا : اذ أنه هجر الطعام زمانا واقتصر على أكل الحشائش المباحة فاخضر جلده من كثرة تناولها . واما كتابه « قوت القلوب » فقد قالوا : « انه لم يصنف في الإسلام مثله في دقائق الطريقة الصوفية ، ويمتاز قوت القلوب بحرص مؤلفه واحتياطه فيما يتعلق بمذاهب الصوفيّة وبجمال لغته . وقد اختصره السيد جمال الدين القاسمي (ولا يزال مخطوطا في الخزانة القاسمية المصريّة) وقد اخذ الغزالي عن مؤلفه وكتابه كثيرا كما يعترف في كتابه المنقذ من الضلال : وكان العلم أيسر علي من العمل فابتدأت بتحصيل علمهم من مطالعة كتبهم مثل « قوت القلوب » لأبي طالب المكي و... حتى أطلعت على كنه مقاصدهم العلميّة ، وحصلت ما يمكن ان يحصل من طريقهم بالتعلم والسماع » (ص 97 ـ 98) .

26 ـ جرجان : بالضم (معرّب كركان) مدينة مشهورة عظيمة بين طبرستان وخراسان ولها تاريخ الّفه حمزة بن يزيد السهمي .

وليس بالمشرق بعد ان تجاوز العراق مدينة أجمع ولا اظهر حسنا من جرجان على مقدارها وقد خرج منها رجال كثيرون موصوفون بالستر والسخاء منهم البرمكي صاحب المامون . (ص 48 ـ 54 ج 2 معجم البلدان . نزهة القلوب : حمد الله مستوفى ص 197) .

27 ـ هؤلاء من قواد جيوش السلاجقة :

برسق كان صاحب السلطان طغرل بك السلجوقي ، وولي شحنة بغداد ثم قيادة الجيوش في حلب . قتله رجل من الاسماعيليّة (491 هـ ـ 1597 م) .

« ارغش » على ضبط عماد الكاتب و « برغش » على ضبط ابن الاثير و « يرغش » على ضبط جامع التواريخ وزبدة التواريخ . كان صاحب جيش « سنجر السلجوقي » في حربه ضد الامير حبشي في وقعة « بوجكان » سنة 493 هـ . وظفر على الأمير وهزم جيشه . وكان « برغش » أحد قواده الكبار . (ابن الأثير ـ وقايع سنة 491 ؛ وزارت درعهد سلاجقه : عباس اقبال ص 284) .

28 ـ اسفراين : بليدة حصينة من نواحي نيسابور على منتصف الطريق من جرجان واسمها القديم « مهرجان » سماها بذلك بعض الملوك لخضرتها ونضارتها ومهرجان قرية من أعمالها . وقال البيهقي : اصلها من أسبرآيين واسبر (بالباء الفارسية) هو الترس في الفارسية وآيين هو العادة . فكانّهم عرفوا قديما بحمل التراس فسمّيت مدينتهم بذلك . وتشتمل ناحيتها على اربعمائة واحدى وخمسين قرية . وتوابعها تقرب من خمسين قرية (حمد الله المتوفى . نزهة القلوب ص 183 ؛ معجم البلدان : ياقوت الحموى ج 1 ص 247) .

29 ـ دامغان : بلد كبير بين الري ونيسابور وهو قصبه « قومس » وبينها وبين بسطام مرحلتان . كانت قديما من أعمال خراسان والحال هي عمالة « سمنان » وواقعة على الطريق المؤدية من طهران إلى خراسان . (معجم البلدان : يا قوت الحموي ج 2 ص 539) .

30 ـ جاء في النسخ عنوان هذه الرسالة إلى « فخر الملك » وهذا غلط ظاهر . بل الرسالة كما اثبتناها إلى « ضياء الملك » انظر : تراجم اصحاب الرسائل ص (178) . ويدل على ذلك الالقاب الموجودة في الرسالة والاشارة الموجودة إلى اسم « فخر الملك » انظر متن الرسالة رقم (8) ص (71) فما بعد .

31 ـ ذكر في رسالة بعث بها الإمام الغزالي إلى « ضياء الملك » يوصيه في حق هذا الشخص .

هو أبو طاهر ابراهيم بن مظهر السبّاك الجرجاني حضر دروس إمام الحرمين الجويني مع الغزالي بنيسابور . وصحب الغزالي في سفره إلى العراق والشام والحجاز وعاشره ما يقرب من عشرين سنة ، فرجع إلى موطنه « جرجان » واشتغل بالوعظ والارشاد والتدريس ؛ وظهر له القبول ، وبنيت له مدرسة ، لكن سرعان ما قتله أحد الفدائيين من الباطنية في سنة 513 هـ .

جاء اسمه في الطبقات الشافعية : ابراهيم بن مطهّر الشبّاك ويقول الاستاذ إقبال : ان هذا غلط مطبعي حيث ان اسمه جاء في زبدة التواريخ : لأبي القاسم الكاشاني ؛ وتاريخ حافظ ابرو « ما هذا نصه : وكان قتل السّباك العالم الجرجاني على يد حسن براخ .

وذكره الرفاعي في اصحاب الغزالي باسم « ابو طاهر ابراهيم بن الطهر الشيباني » (طبقات الشافعيّة : ج 4 ص 200 ؛ الغزالي : احمد فريد الرفاعي ج 2 ص 172) .

32 ـ الواجب العيني (او فرض العين) والواجب الكفائي (او فرض الكفاية) :

الواجب العيني : ما فرض وجوبه على آحاد المكلّفين ولايسقط عن احد بفعل الآخر اياه كالصلاة .
والواجب الكفائي : المكلّف فيه واحد من المكلّفين على البدليّة ويسقط بفعل احد المكلّفين وان تركه الجميع عوقبوا كلهم . وما دام لم يتم العمل في الخارج بكامله ينوي المكلّف في ادائه الوجوب (كغسل الميت المسلم ودفنه) . (مختلف الاصول : الاستاذ عبده البروجروي ص 31) .

33 ـ وقد استدل بكلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ في كتابه « المنقذ من الضلال » بقوله :

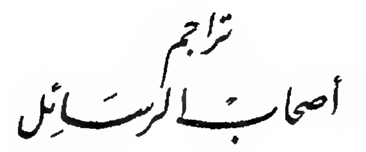
والعاقل يقتدي بسيّد العقلاء علي ـ رضي الله عنه ـ حيث قال : لاتعرف الحق بالرجال بل اعرف الحق تعرف أهله . (المنقذ من الضلال ص 84) .

34 ـ الحسن البصري : الامام الفصيح المشهور . كان من سادات التابعين وكبرائهم وجمع كل فنّ من علم وزهد وورع وعبادة وفصاحة وأدب وحكمة . ابوه يسار كان مولى زيد بن ثابت الانصاري . وأمه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولد بالمدينة لسنتين بقيتا من خلافة عمر . ونشأته في وادي القرى ، وتوفى بالبصرة في رجب سنة 110 .

وحينما اطلق اسم الحسن بلا قيد في كتب الشرع والعلم عرف ان المراد منه الحسن البصري . لقي جماعة كثيرة من الصحابة وسمع منهم واشتهر بفضله وغزارة عمله وبراعته في الفقه والأدب واما الفصاحة فلم يكن من يضاهيه فيها .

قال أبو عمرو بن العلاء : ما رأيت أفصح من الحسن البصري والحجاج بن يوسف والحسن افصح منه .
قال محمّد بن سعد : كان الحسن جامعا عالما رفيعا فقيها ثقة مأمونا عابدا ناسكا كثير العلم فصيحا جميلا وسيما .
ومن كلامه : ذهبت المعارف وبقيت المناكر . إذا اراد الله خيرا بعبد لم يشغله بأهل وولد (ووفيات لايمان ، دائرة المعارف)

35 ـ بداية الهداية في الموعظة . بداية الهداية وتهذيب النفوش بالآداب الشرعية ، الغزّالي طبع في سنة 1277 في مطبعة محمّد شاهين وايضا في سنة 1287 و 1291 في بولاق . وشرحه الشيخ محمّد النوري الحاوي وسمّاه « مراقي العبودية » وكان يدرس في السنة الاولى والثانية من جامع الازهر . وتوجد نسخة خطية في المكتبة الوطنية الجزائر (معجم المطبوعات العربيّة ص 1411) .


تراجم
أصحاب الرسائل

أصحاب الرسائل

- السلاطين :
  - السلطان سنجر السلجوقي
- الوزراء :
  - فخر الملك بن نظام الملك
  - أحمد بن نظام الملك
  - عبد الرّزاق شهاب الإسلام
  - أبو الفتح مجير الدولة
- الأمراء واركان الدولة :
  - مؤيد الدين معين الملك
  - سعادت خازن
  - احد قضاة المغرب
- الفقهاء وائمة الدين :
  - الإمام أحمد الارغياني
  - الإمام ابو المحاسن مسعود الغانمي
  - الإمام عماد الدين محمّد الوزّان
  - الإمام عباس الخوارزمي

السلطان سنجر السلجوقي

أيام إمارته على خراسان (490 ـ 1097/511 ـ 1118) .

وأيام سلطنته (511 ـ 1118/522 ـ 1128) .

السلطان معزّ الدين أبو الحارث « أحمد » سنجر بن ملكشاه . ولد في شهر رجب إحدى سني (471 ـ 1079/479 ـ 1087) على اختلاف ضبط المؤرخين ، بمدينة « سنجار » (بقرب الموصل) . وذكروا أن ذلك سبب تسميته « بسنجر » ، وهذا بعيد عن الواقع فقد ذكر أبو الفداء في تاريخه : انّ سنجر كلمة تركية معناها « رامي الرمح » (1) . وكان لكل واحد من ولاة السلاجقة اسم قبلي واسم إسلامي ؛ فكان اسمه القبلي « سنجر » واسمه الإسلامي « أحمد » . ولم يتعرّض لاسمه الاسلامي أكثر المؤرخين . وذكر في رسالة بعث بها إلى وزير المستظهر العباسي كما جاء في ابن الأثير (2) .

ولدت أمه « تاج الدين خاتون السفري » أو السفريّة لملكشاه محمّدا وأخاه سنجر . فكانا شقيقين . وأمّا بركيارق فكان من أمّ أخرى (زبيدة خاتون) وذلك ما جعله يراعي جانب اخيه محمّد ويلازمه حين خرج عليه أخوهما للأم بركيارق ، وبقي على ولائه له مما جعله يقدمه على أبنائه لولاية العهد .

في سنة (1097/490) بعثه بركيارق إلى خراسان واستوزر له « كياجير الدولة » (3) وذلك لدفع فتنة أرسلان أرغو أخي ملكشاه الذي كان قد استولى على خراسان من سنة (485 إلى 1092/490 ـ 1097) . وبسطت في الظلم والقتل يده ، ومرّت على تلك الناحية في هذه الفترة الوجيزة أصعب الأيام وأقساها في دهرهم ، وزاد في جوره عدم التفات بركيارق اليه لانشغاله بدفع أخيه « محمود » وعمّه « تتش » المدّعين للعرش .

ولكن قبل وصول سنجر إلى خراسان قتل أرسلان أرغو على يد أحد غلمانه (4) فاستولى سنجر على خراسان بدون حرب وبكلّ سهولة . فنصبه بركيارق على خراسان ولحق به مع وزيره فخر الملك إلى نيسابور (5) في نفس السنة (490/1097) .

فاختار سنجر لنفسه من هذا التاريخ ألقاب « الملك » و « ملك المشرق » و « ناصر الدين » (6) واتّخذ مدينة « مرو » مقرّا له . وقد استطاع سنجر أن يوطّد نفوذه في هذه الناحية وأن يقوم بفتوحات جديدة استولى

---

1) إقبال : وزارت در عهد سلاجقة ص 192

2) المصدر السابق ص 302 .

3) انظر ترجمته اسفله ص : 181 .

4) ابن الاثير : الكامل حوادث سنة 490 والراوندي : راحة الصدور ص 221 .

5) المصدر السابق حوادث سنة 500 .

6) انظر رسائل الغزالي المبعوثة لسنجر .

بها على بلاد أخرى ، فتمكن من فتح ترمذ وطخارستان في سنة (1097/491) وضمّهما إلى حوزته (7) .

وفي سنة (1100/493) وقعت حرب بين بركيارق وأخيه محمّد ، فانهزم بركيارق وجيشه أمام أخيه محمّد وجاء إلى خراسان . فخرج سنجر لدفعه نصرة لأخيه محمّد وغلب عليه في وقعة « بوركان » ومن هذا التاريخ خرج سنجر عن طاعة بركيارق وأظهر ولاءه لأخيه محمّد وقبل ولاية عهده .

وفي ذي الحجة سنة (1101/494) دخلا بغداد معا فخلعا عنها الخليفة المستظهر بالله فأجاب ملتمس محمّد ابن ملكشاه وجلس لهما في قبة التاج وحضر أرباب المناصب ، وخطب لمحمّد بالسلطنة في جامع بغداد حسب العادة وذلك في سنة (1102/495) فأصبح محمّد السلطان الشرعي وسنجر ولي عهده (8) وبقي سنجر يحترم أخاه محمّدا مع ماكان له من الاستقلال ، واستطاع بالفتوح الجديدة أن يبسط نفوذه على اقليم ما وراء النهر في عام (1101/495) (19) وقد استولى على غزنة ولم يغزها شخص من آل سلجوق قبله (10) .

وفي ذي الحجة سنة (1116/511) توفي أخوه السلطان محمّد فتولى عرش السلطنة واختار لنفسه من هذا التاريخ لقب أبيه « معزّ الدنيا والدين » .

فازدادت قوته ونجلب بانتصاره على ابن أخيه « محمود » (11) فبسط نفوذه على أكثر أجزاء
التاريخ لقب أبيه « معزّ الدنيا والدين » .

فازدادت قوته وتجلت بانتصاره على ابن أخيه « محمود » (11) فبسط نفوذه على أكثر أجزاء إيران والعراق ، وصارت له الكلمة العليا في أقاليم ما وراء النهر وخراسان وطبرستان وكرمان وسجستان وأصفهان وهمدان والري وآذربيجان وأرمينية وأرانيّة وبغداد والعراقين والموصل وديار بكر وديار ربيعة والشام والحرمين ، وصارت تضرب له السكة في هذه الأقاليم وبلادها ، وتطأ بساطه ملوكها (12) .

غير ان الحوادث والحروب لم تنقطع في عصر سنجر فقد كانت الاقاليم المجاورة له في ما وراء النهر وتركستان تغلي بالأحداث والثورات التي كانت فاتح عهد لظهور دولتين فتيتين هما الدولة القره خطائية والدولة الخوارزمية ، فهذا ما شغل باله طوال أيام سلطنته ، وكان له النصر والظفر في جميع حروبه الا في وقعتين هدمتا جلاله وشوكته ، ولم يمض بعد الثانية كثيرا حتى مات .

الاولى معركة قطوان بالقرب من سمرقند في صفر سنة (1141/536) مع كورخان القره خطائي انتهت بهزيمة سنجر ووقعت زوجته أسيرة وقتل كثير من أمرائه واستولى القره خطائيون الكفّار على كثير من البلاد الاسلاميّة في ما وراء النهر (13) .

---

7) ابن الاثير : الكامل حوادث سنة 491 .

8) اليافعي : مرآة الجنان ج 3 ص 201 .

9) ابن الاثير : الكامل حوادث 495 .

10) الراوندي : راحة الصدور (ترجمة) ص 257 .

11) المصدر السابق ص 258 وابن الاثير حوادث سنة 513 .

12) الراوندي : راحة المصدور ص 260 ـ

13) ابن الاثير : الكامل حوادث سنة 536 هـ. والراوندي : راحة الصدور ص 262 ـ 264 .

الثانية هي الحرب التي دارت بينه وبين طائفة الغزّ بقرب بلخ (الدولة الخوارزميّة بعد) وذلك في محرم (548 أفريل 1153) (14) انتهت بهزيمة السلطان وجيشه ووقع سنجر أسيرا في أيديهم (15) فدخلوا بلاد ما وراء النهر وخراسان وفعلوا ما فعلوا من القتل والنهب وإيذاء العلماء وقتلهم وتدمير المنازل والقصور وتعذيب الأسرى (16) . وأما السلطان سنجر فإنّه ظل أسيرا في أيدي الغزّ ثلاث سنوات وبضعة أشهر ، أي من جمادى الاولى سنة (548 اوت 1153) حتى محرم الحرام (أو رمضان) (17) (سنة 551 مارس أو أكتوبر 1156) ثم تمكن من الهرب من الأسر ووصل إلى دار ملكه « مرو » فاجتمع الناس حوله وجلس على عرشه مرة أخرى ، غير أنه قد صار شيخا محطّما فلم يقوعلى تحمل ما رآه في دياره من مظاهر الفقر والتشريد والدماز فمرض ومات كمدا وحزنا بعد سبعة أشهر من خلاصه ، أي في ربيع الاول سنة (552 أفريل 1157) (18) .

وهذه قائمة وزراء سنجر في أيام إمارته وولاية عهده وسلطنته

1 ـ	كياجير الدولة أبو الفتح علي بن حسين الاردستاني في سنة	490 ـ
2 ـ	فخر الملك نظام الدين أبو الفتح المظفر بن خواجه نظام الملك	490 ـ 500
3 ـ	قوام الملك صدر الدين محمّد بن فخر الملك	500 ـ 511
4 ـ	نظام الملك شهاب الإسلام عبد الرزاق ابن أخ نظام الملك	511 ـ 515
5 ـ	فخر الملك شرف الدين أبو طاهر سعد بن علي بن عيسى القمي	515 ـ 516
6 ـ	نظام الدين محمّد بن سليمان بيغوبك معزّ الدولة الكاشغري	516 ـ 518
7 ـ	معين الدين مختص الملك أحمد بن فضل بن محمود الكاشي	518 ـ 521
8 ـ	نصير الدين أبو القاسم محمود بن أبي توبة المروزي	521 ـ 526
9 ـ	قوام الملك أبو القاسم الانس آبادي الدركزيني	526 ـ 527
10 ـ	ناصر الدين طاهر بن فخر الملك بن نظام الملك الطوسي	528 ـ 548

ومعلوم ان الغزالي عاصر أربعة من الوزراء ـ الأولين ـ وراسلهم كما ان الرسائل التي بعثها لسنجر كانت بين السنوات (500 ـ 503/1106 ـ 1109) وتحتوي على كثير من النكات التاريخية حول حياته وآرائه الفلسفية والسياسية كما انّها تشتمل على أجوبة وافية على اعتراض الحسّاد والمخالفين لأفكاره في التصوف والعرفان .

وقد ظنّ بعض المحققين بأن الرسالة الأولى بعثها الامام الغزالي إلى السلطان محمّد السلجوقي (19) مستندا إلى ما ذكره اليافعي وغيره من مخاطبة الغزالي للسلطان السلجوقي بقوله : « وذكر بعضهم أن الامام أبا حامد

14) الراوندي : راحة الصدور ص 268 .

15) المصدر السابق ص 271 وابن الاثير حوادث سنة 548 .

16) الرواندي راحة الصدور ص 273 .

17) ابن الاثير : الكامل حوادث سنة 551 .

18) اقبال : وزارت درعهد سلاطين بزرك سلجوقي ص 194 .

19) الاستاذ همائي : غزّالي نامه ص 125 وبدوي : مؤلفات الغزّالي رقم 30 من مؤلفات الغزالي .

الغزالي ـ رحمه الله تعالى ـ قال للسلطان محمد بن ملك شاه : اعلم يا سلطان العالم أن بني آدم طائفتان : طائفة عقلاء نظروا إلى مشاهد حال الدنيا وتمسكوا بأمل العمر الطويل ولم يتفكروا في النفس الأخير . وطائفة عقلاء جعلوا النفس الأخير نصب أعينهم لينظروا ما يكون مصيرهم وكيف يخرجون من الدنيا ويفارقونها وإيمانهم سالم ، وما الذي ينزل من الدنيا إلى قبورهم وما الذي يتركونه لأقاربهم من بعدهم ويبقى عليهم وباله ونكاله » (20) .

ويناقض هذا اوّلا : رأي الذاهبين إلى أن الغزالي قضى أيام عزلته ـ عشر سنين ـ في بلاد الشام (21) فكيف يمكن الجمع بينه وبين سلطان محمّد ، وعلى فرض أنّه قضى أيام عزلته في موطنه طوس فيخالف أيضا ما ذكره الغزالي في رسالته الأولى أنه عاهد نفسه على مشهد إبراهيم (ع) أن لايدخل على السلاطين .

ثانيا : اتّفاق المؤرخين بأنّ الغزّالي بعد عودته إلى طوس لم يخرج من زاويته ومعزله حتى سنة (1106/499) حيث استأنف التدريس في نيسابور واستمرّ سنة واحدة وعاد إلى موطنه فكيف جمعوا بينه وبين السلطان للمخاطبة وكان مقر السلطان محمّد في أصفهان . ولم يتعرض أحد من المؤرخين إلى أنه سافر إلى خراسان وبالأخص طوس .

ثالثا : أنّ الغزّالي يخاطب الملك في ضمن الرسالة بلقب « ملك المشرق » وكان هذا من ألقاب سنجر في أيام إمارته على خراسان .

ثالثا ـ أنّ الغزالي يخاطب الملك في ضمن الرسالة بلقب « ملك المشرق » وكان هذا من ألقاب سنجر في أيام إمارته على خراسان .

رابعا : مضمون الرسالة : « بأن الظلم قد جاوز حدّه ، وأنّ أهالي طوس قد أصيبوا بكثير من الفتن والبلايا(22) واستغاثة الملك لبسط العدل وعدم مطالبة الرعية » وإلى غير ذلك مما يقوّي الظّن بأن الرسالة ما كانت الا لسنجر الذي أصبح هو الملك المستقلّ والمظفر والمقتدر على تلك الناحية . واخيرا لو صحت مخاطبة الغزالي للسلطان محمّد بالمضمون الذي ذكرناه فهو لايخالف ان تكون الرسالة الاولى لسنجر لانهما تختلفان في المضمون والموضوع .

---

20) اليافعي : مرآة الجنان ج 3 ص 201 ووفيات الاعيان في ترجمة الغزّالي .

21) وقد كان الاستاذ همائي من الذاهبين إلى هذا الرأي كما أسلفنا .

22) يشير الغزّالي هذا إلى ما احدثها فتنة أورسلان ارغو من الظلم والجور مضافا إلى جفاف السنة .



(434 ـ 1043/500 ـ 1107)

نظام الدين قوام الملة والدولة فخر الملك أبو الفتح المظفر ابن نظام الملك الطوسي . كان أرشد أولاد أبيه . ولد سنة (1043/434) وولد بعده بسنتين أخوه « مؤيد الملك » (سيأتي ذكره) فتربى في حجر أبيه منذ نعومة أظفاره . وكان نظام الملك يومذاك وزيرا للأمير ياجرى وجغرى بيك ما بين (444 ـ 1052/452 ـ 1062) .

وقلّما تشير المراجع إلى أحواله في عهد وزارة أبيه مع أنه أكبر أولاد نظام الملك ، ولا شكّ أنّه كان يشغل منصبا من مناصب الدولة كسائر إخوته ، وهناك أمارات تدلّ أنه كان أميرا في ناحية « بلخ » (1) كما يشير إلى مدح « معزّى » الشاعر المعاصر له بقوله (ماترجمته) .

كنت أميرا وكنت تليق به فأصبحت وزيرا وأنت أهلا له

وقتل نظام الملك سنة (1092/485) في غرب إيران وكان فخر الملك لايزال في خراسان ـ وبالخصوص في إمارة بلخ ـ حتى سنة (1094/487) حيث غلب ارسلان أرغو على بلخ وترمذ ونيسابور وعامّة خراسان (2) فعزم فخر الملك أن يتصل بالسلطان بركيارق في أصفهان طامعا في وزارته . ولكن قبل وصوله إلى أصفهان وقع عليه الأمير « قماج » أحد أمراء محمّد بن ملكشاه ـ الذي كان مدعيّا لسلطنة بركيارق أيضا ـ وسلبه جميع أمواله ، فهرب فخر الملك منه ونجا بنفسه وجاء إلى همدان وذلك في (1094/487) وكانت همدان تحت حكم تاج الدولة تتش ابن آلب ارسلان أي عمّ بركيارق ومدعيه الآخر في السلطنة ، فصادفه تتش بها فأراد قتله لميله إلى بركيارق . ولكن بعض الأمراء (باغيسيان) شفعوا له عنده وطلبوا من تتش أن يستوزره لحرمة أبيه نظام الملك ومكانته عند الناس وميلهم إلى بيته ففعل ، وبعثه إلى بغداد ليطلب الخطبة من الخليفة المستظهر بالله ، فجاء إلى بغداد ولازم الخدمة بالديوان وألحّ في طلبها فأجيب إلى ذلك بعد أن سمعوا أنّ بركيارق قد انهزم من عسكر عمّه تتش (3) . وبقي فخر الملك في وزارة « تتش » حتى 17 صفر سنة (1095/488) حيث غلب جيش بركيارق مع وزيره « مؤيد الملك » (أخي فخر الملك) على تتش في القرب من « الري » (داشلوا) وقتل تتش في الحرب ووقع فخر الملك أسيرا (4) ولكن ما لبث أن تغافلوا عنه فأقام في الري . وهنا حدث حادث آخر ، ولذكره لابد أن نرجع قليلا إلى الوراء وذلك حين فوّض بركيارق وزارته لمؤيد الملك بن نظام الملك (ذي الحجة

---

1) اقبال : وزارت درعهد سلاجقة ص 203 .

2) ابن الاثير : الكامل حوادث سنة 490 .

3) ابن الاثير : الكامل حوادث سنة 487 .

4) المصدر السابق : حوادث سنة 488 .

(487 ديسمبر 1094) فاستعان مؤيد الملك من مجد الملك القمي المستوفي ـ وكان مقيما في أصفهان ـ ففوّض إليه كثيرا من أموره . ولكن مجد الملك كان طموحا يضمر الاستيلاء على الوزارة نفسها فوجدها بعيدة وصعبة الوصول مع وجود وزير لائق وصاحب كفاءة كمؤيد الملك ، لأنه كان أكفأ أولاد نظام الملك ، فاخذ باستمالة أعدائه ورقبائه والتحالف معهم واستعان من زبيدة خاتون أم بركيارق حيث لم تكن لها علاقة حسنة مع مؤيد الملك . وعرف مجد الملك التنافس الموجود بين مؤيد الملك وفخر الملك على حيازة منصب وزارة بركيارق ، والخلاف والتباعد الموجود بينهما في موضوع ما ترك نظام الملك من الإرث فجاء يشوّق فخر الملك لأخذ منصب أخيه ، فقدّم للملك بركيارق الهدايا الضخمة (5) وأعانته أيضا زبيدة خاتون فأخذت توسوس لبركيارق إلى أن أمر السلطان بعزل وحبس مؤيد الملك واستوزر مكانه فخر الملك (6) . واستقل مجد الملك في الظاهر بالاستيفاء ووزارة زبيدة خاتون ولكن غلب في المعنى على الوزارة وبقي فخر الملك صورة بلا معنى وهو أسير تصرفات مجد الملك وتابع رأيه وليس له من رسوم الوزارة إلاّ علامته (7) حتى سنة (1097/490) حيث جاء بركيارق مع وزيره فخر الملك إلى نيسابور ـ كما مرّ في ترجمة سنجر ـ فعزل فخر الملك من منصبه وأقام مجد الملك القمي مقامه فنال مجد الملك ما كان يهواه منذ سنين ويوطد له الوسائل والخدائع .

فانزوى فخر الملك في نيسابور (8) ولكن ما لبث كثيرا حتى استوزره سنجر مكان الوزير « مجير الدولة الاردستاني » في نفس السنة (1097/490) فبقي في وزارة سنجر عشر سنين أي حتى عاشوراء سنة (500 سبتمبر 1106) حيث قتل على يد أحد أفراد الباطنيّة . وكان له من العمر ست وستون سنة وقد ذكر ابن الاثير تفصيل مقتله في حوادث سنة 500 .

الحوادث المهمّة في أيام وزارته

1 ـ وقعة « بوزكان » في سنة (1100/493) بين سنجر و « أمير داد الحبشي » التي انتهت بغلبة سنجر وقتل الأمير الحبشي .

2 ـ الحروب التي وقعت بين بركيارق والأمير إسماعيل الكيلكي ـ أصحاب الباطنية ـ والتي تمت بهزيمة بركيارق .

3 ـ ومن الوقائع المهمّة في زمان وزارته لسنجر هي الحروب التي وقعت بين سنجر والإسماعيلية والهجوم على قلاعهم في قهستان وطبس ما بين سنوات (494 ـ 1101/497 ـ 1104) واعطائهم الأمان تحت شرائط خاصة (9) . هذه بعض الحوادث المهمّة في زمانه وقلما تشير المراجع إلى دور هذا الوزير في هذه

---

5) الراوندي : راحة الصدور ص 220 .

6) ابن الاثير : الكامل حوادث سنة 488 .

7) عماد الكاتب : تاريخ آل سلجوق ص 79 ـ 80 .

8) ابن الاثير : الكامل حوادث سنة 500 .

9) اقبال : وزارت درعهد سلاحقة ص 215 .

الحوادث . ولاشك أنه لعب دورا هاما في تلك الوقائع لأنه كان من الركبان وأصحاب السيوف إضافة إلى مقدرته السياسية . ويشير إلى كثير من ذلك الشاعر والمادح له « معزّى » في قصائد متعددة .

وكذلك نجد أن الامام الغزّالي يشير إلى الوضع الراهن في كثير من نواحي خراسان في أيام وزارة فخر الملك ويحثّ عليه في رسائله الاربع التي بعثها له في الاقتداء بسيرة نظام الملك في بسط العدل وقمع الظلم والنظر في حال الرعيّة وتفويض أمر القضاء إلى من له الأهليّة ويوصيه في حق زميله وصاحب سفره الإمام إبراهيم بن المطّهر السبّاك . وتبيّن هذه الرسائل مدى الصلة والروابط العميقة بين الغزّالي وفخر الملك .

ضيـــاء الملك

وزير السلطان محمّد السلجوقي (500 ـ 1107/504 ـ 1111) .

ووزير المسترشد بالله العباسي (516 ـ 1122/517 ـ 1123) .

أبو النصر أحمد بن نظام الملك ، ولد في بلخ وترّبى في خدمة أبيه في أصفهان وانزوى بعد وفاة نظام الملك في همدان . ولم يشتغل في أيّ منصب من مناصب الدولة حتى سنة (1107/500) في هذه السنة أخذ طريقه إلى سلطان محمّد ليقدم له الشكوى عن رئيس همدان (الشريف مرتضى السيد أبوهشام زيد العلوي الحسني حفيد الصاحب بن عبّاد) الذي كان يتصدّى منصب الرئاسة في همدان منذ سنة (1063/455) وأصبح ذا مقدرة ومكانة ، وكان السلطان في طريقه إلى أصفهان فرحب بقدوم الأمير ابي النصر أحمد بن نظام الملك ورفاء لعهد أبيه وخدماته ونظرا لنفوذ بيت النظامي في المجتمع استوزره ولقبّه بألقاب أبيه « قوام الدين » و « صدر الإسلام » و « نظام الملك » (1) . وكان لقبه قبل الوزارة « ضياء الملك » كما جاء في مؤلفات كثير من معاصريه (2) ولكن ابن الأثيروبعض المؤرخين (3) ذكروا لقبه « نظام الملك الثاني » فقط.وسكت بعض المؤرخين عن كلا اللقبين كمؤلف تجارب السلف وزبدة التواريخ وتاريخ بيهق حيث ذكروا اسمه : « أبو النصر قوام الدين أحمد بن نظام الملك » كما هو الحال عند جامع فضائل الانام .

ويرجع سبب اشتهار هذا الوزير إلى حروبه مع الباطنيّة أصحاب « قلعة الموت » وشدة بأسه عليهم فقد أرسله السلطان محمّد اليهم بعد ما كثرت الشكايات منهم ، وكانوا متهمين أيضا باغتيال نظام الملك . فجاءهم وحاصرهم من الربيع حتى الخريف سنة (1109/503) واشتد عليهم وقتل مواشيهم وأحرق الزرع والأشجار . ولكن لم يتمكن من الاستيلاء على القلعة وهدمها واضطر إلى الرجوع لشدة البرد والأمطار (4) . وهذا القاضي الأرجاني يمدح نظام الملك لمحاربته مع الاسماعيلية بقصيدة غرّاء مطلعها :

---

1) ابن الاثير : الكامل حوادث سنة 500 .

2) جاء اسمه في مجمل التواريخ القصص (تاريخ تأليفه 520) وفي كتاب نفثة المصدور : لانوشروان بن خالد المعاصر لهذا الوزير : « ضياء الملك » انظر : اقبال : وزارت درعهد سلاجقة ص 163 .

3) جويني : تجهانكشا ج 3 ص 11 وزبدة التواريخ : كاشي ص 80 وابن الاثير : الكامل حوادث سنة 503 .

4) الراوندي : راحة الصدور ص 234 .

قلب المشوق بأن يباعد أجدر فإذا عصاه فالأحبة أغدر

إلى قوله :

وعلى النظام بن النظام مهابة تنهى عيون الناظرين وتأمر

وعليه من سيما أبيه شواهد ودلائل تبدو عليه وتظهر

ولئن تأخر في الوزارة عصره فلكل أمر غاية تتأخّر (5)

وتيمن السلطان منه بصاحب ندب يهمّ بما يروم فيظفر

لما رأى فتح الدواة بكفه وافاه فتح القلعة المتعسّر

أو كان ملك محمّد بك عامرا فافخر فدين محمّد بك أعمر (6)

وهذه القصيدة تعتبر من أقدم الوثائق التاريخية في تاريخ حياة حسن الصبّاح ـ زعيمهم ـ وكثير من عقائدهم . وهناك أيضا قصيدة أخرى من الطغرائي الأصفهاني (صاحب اللاميّة) في مدح السلطان محمّد لقيامه ومحاربته ضد الباطنيّة .

ولكن الإسماعيلية دبّروا مؤامرة لاغتيال الوزير فبعثوا اليه أحد الفدائيين (حسين القهستاني) لينتقم لهم عما فعله بهم ، ففي شهر شعبان من نفس السنة حين توجه الوزير إلى الجامع في بغداد وثب عليه الباطني وضربه بالسكين فجرحه في رقبته جرحا بليغا وبقي مريضا مدة ثم برأ (7) ، أو أن الضرب أدّى إلى شلل عضو منه (8) .

وبقي في وزارة سلطان محمّد حتى سنة (1111/504) حيث أمر بعزله . ويقول عماد الكاتب (9) إنه أصبح مسجونا حتى سنة (1122/516) أي اثنتي عشرة سنة ولكن ابن الأثير يذكر بأنه جاء بعد عزله إلى بغداد وأقام في بيت له هناك .

وفي شهر جمادى الأولى من سنة (516 جويلية 1122) أمر الخليفة المسترشد بالله بعزل وزيره ـ جلال الدين بن صدقة ـ فأرسل السلطان محمود بن محمّد السلجوقي إلى المسترشد بالله في معنى وزارة أحمد بن نظام الملك وكان أخوه عثمان بن نظام الملك وزيرا للسلطان محمود (وكان الطلب بإشارة منه) .

فأجاب الخليفة إلى ذلك واستوزر أحمد بن نظام الملك في شعبان (10) سنة (516 اكتوبر 1122) وبقي في منصبه هذا إلى سنة (1123/517) حيث أمر السلطان محمود بقتل عثمان بن نظام الملك (وذلك سعاية من الوزير أبي طاهر القمي وهو عدوّ البيت النظامي) فلمّا سمع الخليفة المسترشد بالله ذلك عزل أخاه نظام الملك

---

5) ديوان : الارجاني ص 178 ـ 180 .

6) ديوان : الارجاني ص 180 ـ 182 .

7) ابن الاثير : الكامل حوادث سنة 503 .

8) جويني : جهانكشاه ج 3 ص 206 .

9) عماد الكاتب : ص 102 (زبدة النصر ونخبة العصر : البنداري) .

10) ابن الاثير : الكامل حوادث سنة 516 وفي شهر رمضان على حسب نقل صاحب تجارب السلف ص 301 .

احمد من وزارته وأعاد أبا علي بن صدقة إلى الوزارة (11) فانعزل عن الحياة السياسية . وأقام في زاوية من زوايا المدرسة النظامية ببغداد وكان فيها حتى توفي سنة (544/1149) (12) .

الرسالة المتبادلة بين الوزير نظام الملك أحمد والإمام الغزّالي

ـ الاولى : رسالة بعث بها الامام الغزّالي إلى نظام الملك (الثاني) وجاء عنوانها في فضائل الأنام إلى فخر الملك . وفي ذلك اشتباه صريح حيث إنّ الألقاب الموجودة في الرسالة ليست الاّ لنظام الملك الثاني .

يبدأها الغزّالي ـ كما هي عادته ـ بالوعظ والتذكير والتنبيه وأخذ العبرة من الماضين مستشهدا بالآيات القرآنية والاحاديث النبويّة ويختمها بقوله : إنّما وظيفة العلماء من بعد الدعاء الإرشاد إلى مصالح العباد » فيوصيه في حق الإمام ابراهيم السبّاك الجرجاني زميله في ايام الدراسة وصاحبه في السفر وأيام العزلة .

ـ الثانية : الرسالة التي بعث بها الوزير نظام الملك أحمد للإمام الغزّالي بعد وفاة الامام كياهراسي الطبري (توفي في مستهل محرم (504/1110) (13) وكان مدرسا في نظاميّة بغداد يطلعه على طلب الخليفة والسلطان محمّد العودة إلى بغداد للاشتغال بالتدريس في المدرسة النظاميّة .

وفي نفس الوقت بعث برسالتين متابعتين إلى وزير خراسان محمّد بن فخر الملك (وزير سنجر) لاستنهاض حجة الإسلام وتدارك وسائل سفره إلى بغداد . (14)

الثالثة : جواب حجة الإسلام عن رسالة الوزير أحمد بن نظام الملك ، وهي من أبلغ رسائله ويعتذر فيها بأعذار شرعيّة عن قبول هذا الطلب وفيها نكات تاريخية مهمّة ، يختمها بقوله : « حان وقت الوداع لا السفر إلى العراق » .

نجد خلاصة من هذه الرسالة في المراجع الآتية :

1 ـ مجالس المؤمنين : قاضي نور الله التستري .

2 ـ مجمع الانشاء : حيدر بن أبي القاسم .

3 ـ روضات الجنات : ميرزا محمّد باقراصفهاني .

4 ـ تذكرة الشعراء : دولتشاه سمرقندي .

ولكن جاء في هذا الأخير نقلا عن تاريخ المستظهري أن مؤيد الملك دعا الامام الغزّالي للتدريس في نظامية بغداد (15) وهذا غلط صريح وقع فيه بعض المتأخرين أيضا . وقد أورد صبري الكردي في مقدمة نشره لمعيار العلم (16) هذا الجواب مع الترجمة العربيّة وسماها ترجمة حرفيّة . وليست كما ادعى ولكنّه

---

11) المصدر السابق : حوادث سنة 517 .

12) المصدر السابق : حوادث سنة 544 .

13) ابن خلكان : الاعيان ج 2 ص 448 .

14) دولتشاه سمرقندي : تذكرة الشعراء في ترجمة مجدود بن آدم السنائي ص 111 . انظر في الرسائل .

15) دولتشاه سمرقندي : تذكرة الشعراء في ترجمة مجدود بن آدم السنائي ص 111 .

16) ص 12 طبع القاهرة سنة 1346 هـ. 1927 م .

يتفق في معناه مع النص الفارسي ، خصوصا في القسم الأخير منه الذي يقابل النص الفارسي فعلا . وقد عدّ الأستاذ بدوي هذه الرسالة إحدى مؤلفات الغزّالي (كما فعل بويج قبله) ويقول : بعد نقله ترجمة الكردي « لانعلم من أين نقله الكردي لأنه لم يذكر له مصدرا ولا نعلم بالتالي هل الكتاب الذي كتبه الغزّالي بالعربيّة أو الفارسيّة » . (17)

يقول بويج : « إنّه لوصحّ هذا الكتاب لوجب وضعه في هذا الموضع من الترتيب الزمني التاريخي لمؤلفات الغزّالي لأن مؤيد الملك أسر وقتل في جمادى الآخر سنة (494 افريل 1107) وهولم يبلغ المنزلة التي تخوله دعوة الغزالي الا بعد انتصار رئيسه بركيارق في رجب سنة (493 ماي 1100) . صحيح أنّه كان قبل ذلك وزيرا لبركيارق من ذي الحجة سنة (487 ـ 488 ديسمبر 1094 ـ 1095) لكن الغزّالي كان في ذلك الوقت يدرّس فعلا في النظامية ببغداد » (18) .

ولابد أن نلاحظ في هذا البيان أن مؤيد الملك لم تكن مدة وزارته لبركيارق أكثر من ثلاثة أشهر أي من ذي الحجة (487 إلى صفر 488 ديسمبر 1094 إلى فيفري 1095) فبعد ما عزله بركيارق وأمر بحبسه (بتواطؤ من مجد الملك القمي وفخر الملك وزبيدة خاتون) تخلّص بعد مدة قليلة (19) وانعزل في بغداد حتى سنة (1097/490) حيث أخذ بالتآمر ضد بركيارق بتحركيه الأمير « أنر » وخروجه على بركيارق ولم ينجح في هذه المؤامرة حيث قتل أنرعلي يد أحد افراده (20) فالتحق بمحمد بن ملكشاه وحثّه على طلب الملك وحظي بوزارته . وفي شوال سنة (392 سبتمبر 1099) خرج معه لمقابلة بركيارق (21) وصادف هذا ثورة بعض الأمراء وقوّاد جيش بركيارق على مجد الملك القمي وزيره وهجموا عليه فالتجأ إلى مخيم السلطان فدخلوا على قاعة السلطان وأخرجوه ممسكين بلحيته وقطعوه إربا إربا (22) ونجا السلطان بنفسه وذهب لجمع الجند إلى خراسان وجرجان ، فسار محمّد مع وزيره مؤيد الملك حتى دخلا مدينة الري وكانت زبيدة خاتون أم بركيارق قد تخلفت فيها فقبض عليها مؤيد الملك وأمر بقتلها (23) ثم توجه إلى همدان وأعلن نفسه سلطانا على الدولة السلجوقيّة .

وفي جمادى الآخرة سنة (494 افريل 1101) أقبل اليها سلطان بركيارق وقد جمع كثيرا من الجند من خراسان وجرجان فلمّا تلاقى الجيشان دارت الهزيمة على السلطان محمّد ، ووقع مؤيد الملك في الأسر وقتله

---

17) بدوي : مؤلفات الغزّالي رقم 30 .

18) BOUYGES : Des œuvres de Al-Ghazali p. 44 n° 30

19) اقبال : وزارت درعهد سلاجقه ص 128 .

20) الروانـدي : راحة الصدور (ترجمة) ص 223 .

21) المصدر السابق ص 224 .

22) المصدر السابق ص 225 .

23) ابن الاثير : الكامل حوادث سنة 492 .

بركيارق بيده بعد مدّة قليلة (24) . وقد وقعت بين السلطان محمّد والسلطان بركيارق خمس معارك كانت هذه الثانية ، والأخيرة منها انتهت بفوز محمّد وهزيمة بركيارق .

فبناء على هذا وعلى فرض انتصار بركيارق على معارضيه في سنة (1100/493) كما يقول بويج نرى أن مؤيد الملك لم يكن وزيرا لبركيارق في هذا التاريخ . فالرسالة لاتكون الاّ لأحمد بن نظام الملك كما أثبتها جامع فضائل الآنام .

24) الرواندي : راحة الصدور ص 226 ـ 228 .

مجير الدولة

كيا مجير الدولة مجير الملك أبوالفتح علي بن حسين الاردستاني. جاء اسمه في صدر الرسائل الثلاث « مجيرالدين » ولاشك أنه تحريف عن مجير الدولة . وقد أشار إلى لقبه هذا (مجير الدولة) الإمام الغزّالي في ضمن رسالتين من هذه الثلاث ، وأثبت اسمه ابن الأثير في حوادث سنة 497 « المجير أبوالفتح الطغرائي » . وعلى كل حال تنطبق الأوصاف على مجير الدولة . ويستفاد من قصائد الشاعر الفارسي المادح له « معزّى » بان كان له لقبان :

1 ـ « مجيرالدولة » كما جاء في هذا البيت :

صبىر وخـرسنـدي دهـادا يـزد « مجير الدولـة » را يـرد ريغ درد فـرزنـد عـزيـز نـامـدار(1)

تـرجمتـه :

وافى الله « مجيـر الـدولـة » بـالصبـر والطمـأنينـة بمصابه وألمه عـلى ابنـه العـزيـز الشهيـر

وقـال :

وزيـر عـالم عـادل عميـد ملـك ملـك (مجير دولـت) ابـو الفتـح اصـل فتـح وظفـر

2 ـ « مجير الملك » كما جاء في هـذا البيـت :

صاحـب عـادل « مجيـر المـلك » آن كـز عدل اوست ملك ودولت‌را ثبات وديـن وملـت‌را قرار (2)

التـرجمة

الصاحب العادل مجير الملك الذي بعدله توطد الملك ولدولة واستقر الدين والملة .

كان على عهد السلطان ملكشاه نائبا عن الوزير « تاج الملك » في ديوان الطغراء والانشاء وذلك بعد ما توفي في سنة (1083/476) الأديب كمال الملك أبو جعفر محمّد بن أحمد المختار الزوزني الطغرائي . ويصفه عماد الكاتب بقوله : وصار كاتب الرسائل وكان أوحد عصره ، ونسيج وحده وكان رجلا سكيتا ، حسن السمت كثير الادوات ، موصوفا بالثبات ، فغيّر تاج الملك ببهجته المقبولة ، وأصغى السلطان اليه وأضاع المملكة جميعها وبدّد نظامها النظامي » (3) .

وفي سنة (1097/490) بعث السلطان بركيارق أخاه « سنجر » لحكومة خراسان ـ كما أسلفنا في ترجمته ـ واستوزر له « مجير الطغرائى » (4) فكان بذلك اوّل وزير لسنجر ولكن لم تكن مدة وزارته أكثر من

---

1) اقبال : وزارت درعهد سلاجقة ص 196 نقلا عن ديوان « معزّى » .

2) المصدر السابق ص 197 .

3) البنداوي : زبدة النصر ونخبة العصر ص 58 .

4) ابن الاثير : الكامل حوادث سنة 490 .

بضعة أشهر . أي حتى مجيْ بركيارق ووزيره فخر الملك إلى خراسان حيث أمر بركيارق بعزل فخر الملك في نيشابور كما أسلفنا في ترجمة فخر الملك . وبعد مدة قليلة عزل سنجر وزيره « مجير الدولة » واستوزر « فخر الملك » ولكن فوّض ديوان الطغراء إلى مجير الدولة ، فبقي في هذه الرئاسة حتى سنة (1104/497) حيث غضب عليه سنجر وعزله واراد قتله . وكان السبب في ذلك كما يقول ابن الاثير : أن الأمير بزغش « وهو اصفهسلار » العسكر السنجري ألقى اليه ملطفا فيه : لايتم لك أمر مع هذا السلطان ، ووقع إلى سنجر لايتم لك أمر مع الامير « بزغش » مع كثرة جموعه ، فجمع بزغش أصحاب العمائم وعرض عليهم الملطفين فاتفقوا على كاتب الطغرائي وظهرت عليه وقبض سنجر على الطغرائي واراد قتله فمنعه بزغش وطلب له حق خدمته فأبعده إلى غزنة » (5) .

رسائل الامام الغزالي إلى مجير الدولة

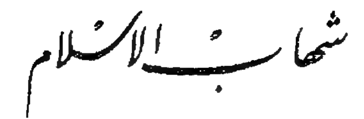
ـ الرسالة الاولى : بعثها لتهنئته بالوزارة وهي من خيرة رسائل الإمام الغزّالي ابتدأها بتفسير الآية الشريفة « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولاتنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله إليك » مبيّنا فيها الذين حرموا من أسرار هذه الآية والذين فازوا وسعدوا بالعمل بها وبيان درجات السعادة ، ثم معنى الاعراض عن الدنيا ، وأقسام المعرضين عنها والمقصد الأعلى والاشرف لطالبي الحقيقة . ثم يشير على مجير الدولة في التأمل في هذه المطالب الدقيقة العرفانيّة والدينيّة بقوله : إن كل فصل من هذا سرّ من أسرار الدين عين العلماء المعتادة عن ملاحظة مبادئه قاصرة ثم يلفت نظر الوزير إلى الوضع الراهن الموجود في طوس وخراسان وذلك بعد فتنة أرسلان أرغو وغلبته على خراسان التي استمرت أكثر من ثلاث سنوات ، ثم يطلب منه إثبات عميد طوس في منصبه وكان هذا العميد من البيت النظامي (ولكن ما سمّاه) كما يشير عليه في تعيين نائبه . وقد بعث مع الرسالة أحد خواصّه لشرح الوضع وطلب أداء ما لم تتضمنه الرسالة .

ـ الرسالة الثانية ابتدأها كالعادة بالآيات والأحاديث . الحثّ على تهيئة زاد الآخرة وان يغيث خلق الله لأن الظلم قد جاوز حدّه وأن يغيث نفسه ويتخلّص من الصفات البشريّة وخاصة العادة السيئة المنتشرة في ذلك العهد وهي التعشق بالغلمان الترك ، ثم يذكر علل إقبال الناس على الدنيا وإدبارهم عن الآخرة وكيفية علاج كل واحدة منها ويختمها بقوله : قد تحقق لنا بالبرهان أن حقيقة الإنسان البقاء الأبدي وليس للعدم اليه سبيل أصلا ونجاته في التحرّر من الصفات البشريّة وسعادته في حقيقة المعرفة لحضرة الربوبيّة .

الرسالة الثالثة : في معنى رعاية الانصاف والعدل وأخذ العبرة من الوزراء الماضين والاشارة إلى أحوالهم وعاقبة أمرهم . والاشارة بأنّه مبتلى بما لم يبتل به غيره وأنه لم يكن في زمان أي وزير مثل هذا الظلم والخراب ، فعليه لزوما القيام بقمع الظلم ومنع أيادي الحكام الظالمين والتخفيف من وضع الضرائب على الرعيّة . ويختمها بقوله : قد انقطع الأمل من تلافي الماضي ولكن لم ينقطع من شفقة وعطف المجير .

---

(5) ابن الاثير : الكامل حوادث سنة 497 .



أبو المحاسن . (وقيل ابو المعالي) (1) شمس الدين ، قوام الدين ، نظام الملك ، شهاب الإسلام عبد الرّزاق ابن عبد الله بن علي بن إسحاق الطوسي . المعروف بالشهاب الوزير ابن أخ نظام الملك الكبير ، كان والده من أشهر فقهاء خراسان وقد تصدّر منصب القضاء وشهر « بالفقيه الأجل » وتوفي سنة (1106/499) في مدينة «سرخس» .

ولد شهاب الإسلام في سنة (1067/459) بنيسابور ، ودرس وتفقّه على إمام الحرمين الجويني وأخذ يفتي على رأي إمام الحرمين ، وكان إمام نيسابور في عصره ومن مشاهير العلماء والرؤساء وولي التدريس بنظامية نيسابور مدّة (2) وارتفع شأنه إلى ان استوزره سلطان سنجر في سنة (117/511) وذلك بعد ما قتل وزيره محمّد بن فخر الملك بن نظام الملك في ذي الحجة من نفس السنة (3) وصادف ذلك ايضا وفاة السلطان محمّد ابن ملكشاه فأصبح اوّل وزير لسلطان سنجر في عهد استقلاله بالسلطنة .

واتّخذ لنفسه ألقاب نظام الملك الكبير أي : « قوام الدين » و « نظام الملك » .

هذه خلاصة حياة شهاب الإسلام ، وامّا معلوماتنا عن حياته قبل الوزارة وبعدها من حيث شخصيته الاجتماعية والسياسية فقليلة جدا وهي تتلخص كما يلي :

1 ـ جاء ذكره في كتاب المقالات الاربع للعروضي السمرقندي في أحوال « فردوسي » الشاعر الايراني الكبير . نقل العروضي رواية عن الشاعر « معزّي » وهو عن الامير عبد الرزاق (أي شهاب الإسلام) وفيه سمّاه أميرا (4) .

2 ـ ما جاء في كتاب « نزهة الارواح وروضة الافراح في تواريخ الحكماء المتقدمين والمتأخرين لشمس الدين محمّد بن محمود الشهرزوري (يرجع تأليفه إلى سنة (586 ـ 1190/661 ـ 1263) نقلا عما جاء في كتاب « تتمة صوان الحكمة » مع تصرف قليل وهذا نصه :

« عمر الخيامي النيسابوري الآباء والبلاد وكان تلو أبي علي في أجزاء علوم الحكمة ... وكان عالما بالفقه واللغة والتواريخ .

1) السبكي : طبقات الشافعية ج 4 ص 254 .

2) المصدر السابق ج 4 ص 254 .

3) عماد الكاتب : ص 265 .

4) عروضي سمرقندي : جهار مقالة (فارسي) ص 81 .

ودخل الخيّام على الوزير عبد الرزاق (أي شهاب الإسلام) وكان عنده إمام القراء ابوالحسن الغزال ، وكانا يتكلمان في اختلاف القراء في آية فقال الوزير : على الخبير سقطنا ، فسأل الخيّامي ، فذكر اختلاف القراء ، وعلّل كل واحد منها وذكر الشواذ وعللها وفضل وجها واحدا . فقال الغزال : كثّر الله في العلماء مثلك . فانّي ما ظننت ان احدا يحفظ ذلك من القراء فضلا عن واحد من الحكماء (5) .

3 ـ جاء خبره في رجال ميرزا محمّد الاسترابادي (6) وروضات الجنات لميرزا محمّد باقر الخونساري ، (7) فذكراه منتقدين ومشنعين إفتاءه في قتل العالم المتكلم على مذهب الشيعة (الاثني عشرية) أبي علي محمّد ابن أحمد بن علي الفتّال النيسابوري صاحب كتاب « روضة الواعظين » (من أقدم كتب الشيعة في ذكر مصائب آل بيت الرسول ـ صلى الله عليه وآله وسلّم ـ وما جرى عليهم من القتل والسجن والتشريد والمحن) حيث نفذ فتواه في حقه وأعدم في نيسابور وذلك قبل وزارته لسنجر ، ثم لم يلبث طويلا حتى ألقي في السجن بقعلة ترمذ ، ولا نعرف لماذا سجن ومتى سجن وكيف تخلّص وفي أي زمان .

جاء في تاريخ بيهق بأنه كان مسجونا في قلعة ترمذ حين وفاة أبيه الفقيه الاجل في ذي القعدة سنة (499 جويلية 1106) (8) . وتوجد رسالتان من الإمام الغزالي تختص بتهنئة شهاب الإسلام لتخلصه من السجن قبل وفاة الغزّالي ، أي سنة (505/1112) ، كما ان رسائل الغزّالي تخص الفترة التي سبقت وزارته .

رسائل الإمام الغزّالي إلى شهاب الإسلام

1 ـ المقالة الشفاهيّة التي ألقاها يوم الجمعة بعد الصلاة في مسجد الجامع بطوس مخاطبا شهاب الإسلام ومذكرا بانّ البلايا تنزل نتيجة للمعاصي ولكنّها كفارة للذنوب لقوله تعالى « ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلّهم يرجعون » سجلّها جامع فضائل الأنام في ضمن المواعظ والنصائح المتفرّقة .

2 ـ الرسالة التي بعثها اليه يهنّئه لخلاصه من سجن ترمذ وينبّهه إلى معرفة قدر النعمة وضرورة الاتّكال والاعتماد على فضل الله ونعمته لا على حماية المخلوق وشفاعته .

3 ـ رسالة بعثها اليه مفسّرا فيها الحديث المرويّ « داووا مرضاكم بالصدقة » ، وتقسيم المرض إلى مرض القالب ومرض القلب وعلائم كل واحد منهما واثبات ان مرض القلب أخطر وأكثر من مرض الجسم وطريقة علاج أمراض القلب مستندا بالآيات والأحاديث . وفي الختام يوصيه في حقّ احد العرفاء ويشير بأنه من جملة الاطباء الإلهيين وأرباب القلوب ويطلب منه أن يسعى في طمأنته والقيام بإعانته ماديّا .

4 ـ رسالة مبسوطة يبدأها بذكر حقيقة النعمة ومعرفتها ثم يفسّر الآية الشريفة « في مقعد صدق عند مليك مقتدر » ويقول إنّ المقاعد اثنان : ثم يشير إلى سيرة عمر بن عبد العزيز طالبا من شهاب الإسلام المضي على سيرته ، وخاتما رسالته بتوصيته في حقّ أحد الصوفيّة ، الذي عرّفه عليه الشيخ أبو بكر بن عبد الله الذي هو من جملة أوتاد الارض .

5) عبد الوهاب القزويني : تعليقات جهار مقاله ص 308 ـ 321 .

6) ص 280 .

7) ص 593 ـ 594 .

8) اقبال : وزارت درعهد سلاطين سلجوقي ص 243 .

معين الملك

أبو القاسم المعالي مؤيد الدين علي . معين الملك ، ناصح الدولة ابن سعيد العميدي . كان نائبا للوزير فخر الملك في أيام وزارته لسنجر وكانت ألقابه في هذا العهد « ناصح الدولة » و « مؤيد الدين » . ويستفاد من قصائد أمير الشعراء « معزّي » بأنّه كان له هذا المنصب (نيابة الوزارة) منذ عهد نظام الملك ، كما أقرّه عليه فخر الملك واستعان به . ولما قتل فخر الملك سنة (1107/500) على يد أحد أفراد الباطنية : استوزر سنجر ابنه محمّد ابن فخر الملك وكان معين الملك ايضا نائبا له .

وجاء ذكره في تاريخ بيهق كما يلي : « معين الملك مؤيد الدين أبو القاسم علي بن سعيد أبي سعد بن أبي منصور أحمد بن محمّد العميد . كان نائبا لصدر الدين محمّد بن فخر الملك نائبا ذا مقدرة ، وهو من بيت « العميدي » الذي كان رجالهم في خراسان أصحاب المناصب العاليّة . وقد ألفت كثير من الكتب في فضائلهم ، منها كتاب نظم السلك في مدائح معين الملك الفّه الغانمي (1) لم يعدّ البيهقي بعض رجال البيت العميدي من الذين كان لهم شأن أو منصب في الدولة منهم ابن أخ « معين الملك » وهو عزّ الملك سعيد ابن العميد أبو علي الحسين بن سعيد الذي كان يشغل على التوالي منصب الأشراف ثم الوالي على طوس (2) أو متوليّا للأوقاف على ما ذكر السبكي في الطبقات (3) ويوجد اسمه مرتين في رسائل الإمام الغزّالي بعنوان « عميد طوس » .

معين الملك والغزالي

1 ـ جاء ذكره في تعليق جامع فضائل الأنام على الرسالة التي كتبها الإمام الغزالي لسلطان سنجر ، وذلك بعد ما نقم منه حسّاد كثيرون نافسوه على مكانته التي اكتسبها في العالم الاسلامي ، ودسّوا عليه وغيّروا وبدلّوا وأدخلوا في كتبه ليثيروا السلطان عليه فأمر السلطان بإحضاره للعرش وكان السلطان في المعسكر في « طرق » (بقرب مشهد الرضا عليه السلام) ولكن الغزالي بعث برسالته الأولى إليه واعتذر عن المجيء وذلك بسبب العهد الذي قطعه على نفسه بمشهد إبراهيم الخليل (ع) أن لايدخل على السلاطين وأن لايأخذ عطاياهم ، وأنه لبث على عهده اثنتي عشرة سنة (ووصفت هذه الرسالة في ترجمة سنجر) ولقد أثرت الرسالة على الملك أحسن تأثير فتغيّرت عقيدته فيه ولكن لم يعفه من المجيء فجاء الغزالي إلى المعسكر ـ امتثالا للأمر ـ ونزل على معين

---

1) سيأتي ذكره مستقلا حيث ان هناك رسالة من االإمام الغزّالي اليه .

2) اقبال : وزارت درعهد سلاجقه ص 222 نقلا عن تاريخ بيهق نسخة لندن ص ب . 49 .

3) السبكي : طبقات الشافعية ج4 ص 112 .

الملك.وكان معين الملك هو الواسطة وهمزة الوصل بينه وبين السلطان فأخذه إلى مجلس السلطان حيث ألقى مقالته الارتجالية التي طلب السلطان ان يثبتها ويكتبها لتنشر في البلاد وهي الرسالة الثانية من التي كتبها الملوك.

ويستفاد من مضمون الرسالة أن هذا اللقاء كان بعد سنة (1107/500) أي بعد قتل فخر الملك وعودة الغزّالي إلى العزلة مرّة ثانية بعد ما تصدّى للتدريس في نظامية نيسابور من سنة (1106/499) بطلب ملحّ من الوزير فخر الملك ، ولمّا قتل الوزير وتشوّشت الأوضاع وثارت الفتن وهاج الحسّاد ، عاد الغزّالي إلى زاويته الآمنة كما يذكر هو في رسائله وبقي حتى طلبه سنجر سنة (1110/503) (4) .

2 ـ جاء ذكر معين الملك مرة أخرى في رسالة بعث بها ضياء الملك وزير السلطان محمّد السلجوقي إلى فخر الملك وزير سنجر لاستنهاض حجة الإسلام والزامه قبول العودة إلى نظاميّة بغداد ، يطلب منه أن يهيئ أسباب سفر الغزّالي من الوجه المعيّن في رسالة « معين الملك » (5) .

3 ـ الرسالة التي كتبها الغزّالي لمعين الملك وهي أول رسالة من رسائل الأمراء واركان الدولة . يبدأها بالآية الشريفة « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لايريدون علوّا في الارض » . ويشرح له شروط النجاة في الآخرة ، ثم يطلب منه أن يقبل منه نصيحة واحدة وهي أن يترك الخمر مقتديا بسلفه نظام الملك حيث تاب عنها في أواخر أيامه توبة نصوحا ، علّه يكون ذلك سببا في ترك الملك هذا الإثم ايضا .

تحريف او اشتباه عند السبكي

4 ـ وقد وقع تحريف أواشتباه في اسم معين الملك عند السبكي وتبعه المتأخرون حيث جاء ذكره في طبقات الشافعية في ترجمة الغزالي كما يلي : « وقال ابن السمعاني أيضا سمعت أبا نصر الفضل بن الحسن بن علي المقري مذاكرة « بمرو » يقول : دخلت على الإمام الغزالي مودعا فقال لي : أحمل هذا الكتاب إلى المعين الثابت أبي القاسم البيهقي ، ثم قال لي وفيه شكاية بالعزيز المتولي للأوقاف بطوس ؛ وكان ابن أخي المعين ، فقلت له : كنت بهراة عند عمّه المعين .

وجاء العماد الطوسي بمحضر فيه الثناء على العزيز وعليه خطك ، وكان عمه قد طرده وهجره ، فلمّا رأى شكرك وثناءك عليه قربّه ورضيه فقال الامام الغزالي : سلّم الكتاب إلى المعين ، واقرأ عليه هذا البيت وأنشد :

ولم أر ظلما مثل ظلم ينالنا   يساء الينا ثم نومى بالشكر (6)

وهنا حدث اشتباه السبكي أوتحريف في النسخ أوالطبع حيث ضبط اسمه معين الثابت وقد مرّ بانّه معين النائب .

وقد نقل الرفاعي هذا البيان بنصه إلاّ أنه أسقط هذه الكلمة ولم يثبتها إلى قوله « إلى المعين أبي القاسم البيهقي » فقط (7) .

---

4) متن الرسالة يصرح بانه كان له من العمر 53 سنة فإذا كانت سنة 503 هـ . انظر ص 33 أعلاه .

5) انظر متن الرسالة ص 79 أعلاه .

6) السبكي : طبقات الشافعية ج 4 ص 114 .

7) الرفاعي : الغزّالي ج 1 ص 131 .

سعادت خازن

كان من جملة المناصب الهامّة في عهد السلاجقة رئاسة ديوان الأشراف . وكان هذا الديوان يشبه الوزارة الماليّة في الدول الحيّة (في زماننا هذا) وكان مكمّلا لديوان الاستيفاء وجزءا منه وكان يسمّى المشرف على هذا الديوان : « مشرف كل مملكت » وله ممثلون في جميع أنحاء البلاد باسم « المشرف النائب » وكان من أهمّ وظائفهم الإشراف والمراقبة والتفتيش في مداخل ومصارف الحكومة (1) .

فصاحب الترجمة « سعادت خازن » (2) كان له هذا المنصب ، إمّا الاشراف على الكلّ أو نيابة الإشراف والأول أقرب إلى الصواب لما جاء في أحواله مع قلة المراجع والأخبار عنه .

فجاء في ترجمة الامام مظفر الاسفزاري (من معاصري الغزالي) في كتاب تتمة صوان الحكمة (3) « ثم في هذه الدولة القاهرة (يعني الدولة السلجوقيّة) نظر فيه (يعني في وضع ميزان الماء) الإمام أبو حفص عمر الخيّام ، وحقق القول فيه وبرهن على صحة رصده والعمل به لماء معين دون ميزان معلم ، وكان معاصره الإمام أبو حاتم المظفر بن إسماعيل الاسفزاري ناظر فيه مدة أحسن نظر ومتأملا في صنعته ومتأنقا في حدّته ، وسعى في تسهيل العمل به على من أراده وزاد فيه منقلتين للتمييز بين جوهرين مخلطتين وأشار إلى وجود مراكز الفلزات على عموده استقراء ورصدا لماء معين ... وسمّاه ميزان الحكمة وقدّمه للسلطان سنجر .

فسلّم السلطان هذا الميزان لسعادت خازن ، وكان لسعادت خازن تصرفات غير مشروعة في خزانة السلطان فخاف اذا استعمل هذا الميزان يكشف عن خيانته وينزل عليه غضب السلطان .

فكسّره وفرّق أجزاءه ، فصار سببا لحزن الحكيم الاسفزاري ومرضه وموته كمدا وحزنا على أثر ذلك (4) هذا كلّ ما لدينا من أحواله .

وأمّا رسالة الامام الغزالي اليه فكانت مبدوءة بالآية الشريفة و« إن من شئ إلاّ عندنا خزائنه » وذكر خزائن الرحمان ومفاتيحها ، ثم يذكر الدرجات والمراتب التي تقصر عنها أفهام الخوّاص إلاّ الراسخين في العلم والصدّيقين ، تمثيلا بالقدر بقوله : وأنه سرّ الله الذي لارخصة في إفشائه ، ويختم الرسالة بتحذير سعادت خازن من ادخار الذهب والفضة مستشهدا بالحديث النبوي (ص) تعس عبد الدينار والدرهم .

---

1) اقبال : وزارت درعهد سلاجقه ص 31 .

2) تكتب التاء المربوطة مبسوطة على حسب رسم الخط الفارسي وحيث إن كلمة سعادة هنا اسم علم أثبتناه كما جاء في الأصل.

3) البيهقي : تتمة صوان الحكمة ص 12 طبع الهند .

4) العلامة القزويني : تعليقات جهار مقالة ص 369 .

أحد قضاة المغرب

سجّل جامع فضائل الأنام في فصل رسائل الأمراء وأركان الدولة رسالة من الإمام الغزالي إلى أحد قضاة المغرب (هذا في نسخة أياصوفية أمّا في نسخة (ج) إلى قضاة المغرب).

أصل الرسالة باللغة العربية ونقلها السبكي في طبقاته الكبرى وعنوانها « رسالة الامام حجة الإسلام كتبها إلى بعض أهل عصره ونصها : » (1) ، ثم أورد الرسالة مع اختلاف قليل مع نسخة فضائل الأنام ولم يذكر من أين نقلها. وقد نقل عنه كثير من المحققين منهم الاستاذ الرفاعي حيث أوردها مصحّحة في كتابه الغزّالي (2) ونحن قارنّا الرسالة مع نسخة السبكي والرفاعي ونسخة (ج) وأشرنا إلى مواضع الاختلاف تحت الصفحة.

وامّا جامع فضائل الانام يقول في التعليق على هذه الرسالة بأن القاضي مروان أتى إلى دار الخلافة لتحصيل مرسوم منصب القضاء لأبيه وتوسّل بحجة الإسلام الغزالي نظرا لحرمته وجاهه فوصّى به الغزالي دار الخلافة فوافق الخليفة العباسي (المقتدي بأمر الله) بتفويض القضاء إلى القاضي مروان نفسه لالأبيه وذلك لقوله : « إنّنا لانفوّض منصب القضاء لمن لانعرفه ولا نطلع على أحواله ولكن إجابة لملتمس حجة الإسلام نفوض القضاء لابنه الحاضر» (3).

فأبى القاضي مروان قبول ذلك احتراما لأبيه وطلب من حجة الإسلام ان يكتب شرح الحال لأبيه فكتب هذه الرسالة.

1) السبكي : طبقات الشافعية ج 4 ص 132.
2) الرفاعي : الغزّالي ج 2 ص 140.
3) انظر متن الرسائل ص 121.

القاضي مروان

أبو عبد الله مروان بن علي بن سلامة بن سروان الطنزي . نسبة إلى طنزة وهي قرية من دياربكر. ورد بغداد وتفقّه على الغزّالي والشاشي وسمع طراد الزينبي ورزق الله التميمي وغيرهما (1) .

ويستفاد من مضمون الرسالة أن أباه طلبه وأمره بالرجوع إلى موطنه قبل انتهاء إقامته ولكنّ الغزّالي طلب من أبيه أن يساعده ويستمرّ في استمداده حتى يبلغ الكمال والذروة في علمه حيث انه من الذين جمعوا بين العلم والتقوى ويصلح أن يتخذ ذخرا ووسيلة عند الله ويأمره أن يتبع سيرة ابنه بقوله : « الولد وان كان فرعا فلربما صار لمزيد العمل أصلا ، ولذلك قال إبراهيم (ع) لأبيه « يا أبت إنّي قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتّبعني أهدك صراطا سويا » (2) .

ولكنّه لم يلبث مدة طويلة على تلك الصفات التي وصفه بها الإمام الغزّالي في هذه الرسالة حيث إنه عاد إلى بلده واتصل بالملك زنكي آق سنقر (من أمراء السلاجقة حكم الموصل وولى حكم واسط والبصرة وسنجار وحران وطرد الصليبيين وفتح حلب وحماة وقتل صاحب الموصل (سنة 1146/541) وصار وزيرا لزنكي وتوفى بعد سنة أربعين وخمسمائة (3) . وجاء اسمه في نسخة (ج) القاضي مردان وهذا غلط صريح .

---

1) السبكي : طبقات الشافعية ج 4 ص 308 .

2) انظر متن الرسائل ص 114 .

3) ياقوت الحموي : معجم البلدان ج 3 ص 552 .

الارغيـــاني

في ضمن رسائل حجة الإسلام رسالة إلى الامام الارغياني ، رتبّها جامع فضائل الأنام في عداد رسائل الفقهاء وأئمة الدين وجاء اسمه في نسخة آياصوفيه : « الإمام الزاهد أحمد الأرغياني » الذي كان من مختلفة حجة الإسلام .

وفي نسخ (ج) « الخواجة الإمام أحمد ازعباسي » الذي كان من مختلفة حجة الاسلام ولا يبعد ان تكون كلمة ازعباسي محرفة كلمة أرغياني . ولا نعرف هل هو أحمد بن عمر الارغياني الذي تلمذ على أبي الحسن الواحدي المعروف ، ويبعد الظن أن يكون هو صاحب الرسالة لأنّه توفي (466 ـ 1074) كما جاء تفصيل أحواله في شرح الإحياء للزبيدي والغزالي لم يبدأ بعد في هذا التاريخ حياة التزهد ؟

أم هو أبو بكر أحمد بن مهل بن محمّد بن أحمد بن علي بن حسن البانيّ الأرغياني الذي توفي في « البان » (قرية من قرى نيسابور ثم من قرى أرغيان) ذكره صاحب معجم البلدان (1) في مادة الارغيان ؟

أم هو والده أي أبو الفتح سهل بن أحمد بن علي الارغياني الفقيه الشافعي تفقه على المشايخ بمرو ثم دخل نيسابور وقرأ أصول الفقه على إمام الحرمين الجويني ، ثم عاد إلى ناحية أرغيان وتقلد قضاءها سنين ثم خرج إلى الحج ولقي المشايخ بالعراق والحجاز والجبال وسمع منهم وسمعوا منه . ولمّا رجع من مكّة ودخل على الشيخ العارف الصوفي الحسن السمناني شيخ وقته زائرا ، فأشار عليه بترك المناظرة فتركها ولم يناظر بعد ذلك ، وعزل نفسه عن القضاء ولزم البيت والانزواء وبنى من ماله دارا للصوفية وأقام بها مشغولا بالتصنيف والمواظبة على العبادة إلى أن توفي في مستهل المحرم سنة (499 سبتمبر 1105) (2) ؟

أم هو أبو الفتح أحمد بن علي بن محمّد بن برهان الأصولي الذي كان أولا حنبليا ثم انتقل وتفقه على الشاشي وأبي حامد الغزّالي ، والكياهراسي الطبري ، وتصدّى للتدريس بنظاميّة بغداد (3) وكان يدرس للطلاب كتاب الاحياء في نصف الليل . ولد سنة (1083/476) وتوفي سنة (1124/518) (4) او (1127/520) (5) ؟

والرسالة مشتملة على ذكر طريق السعادة والشقاوة مبتدئة بحديث الرسول (ص) «قل ربي الله ثم استقم» ثم معنى الاستقامة وأقسامها وفي الأخير طريق التسلط على النفس والحصول على السعادة الأبدية .

---

1) ياقوت الحموى : معجم البلدان ج 1 ص 485 والسبكي : طبقات الشافعية ج 3 ص 169 .
2) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج 2 ص 152 .
3) همائي : غزالي نامه ص 151 .
4) الرفاعي : الغزّالي ج 2 ص 170 .
5) همائي : غزّالي نامه ص 151 والسبكي : طبقات الشافعية ج 4 ص 42 .



الغانمي

أبو العلاء مسعود بن محمّد بن غانم الغانمي ذكره السمعاني في الأنساب . ولد في (1072/464) وتعلم وتربّى في نيسابور . وكان مواليا لبيت العميدي . وقد ألّف كتابا في مدح معين الملك ـ المارّ ذكره ـ وسمّاه « نظم السلك في مدائح معين الملك » (1) وكان والده من جلّة الأدباء وعاصر وعاشر الباخوزي مؤلف دمية القصر المتوفىّ (1073/465) وتوفى الغانمي سنة (1158/553) (2) .

وللإمام الغزّالي رسالة جوابا على رسالة الغانمي مشتملة على ذكر مراتب العلوم ودرجاتها ، وكيفية الارتقاء من العلم النازل إلى العلم العالي (الربانيّ) يذكر فيها سابق العهد معه ، وانه لم يكن ينساه في أسفاره ويطلب منه أن لايتوقف عن مدارج الفضل بل يتنقل إلى علم يكون اتجاهه إلى الآخرة لا إلى الدنيا بوصفه أقسام العلوم وفائدة كل منها وبيان العلم الموصل إلى السعادة الابديّة .

---

1) اقبال : وزارت درعهد سلاجقه من 223 نقلا عن تاريخ بيهق نسخة لندن ورق 49 أ ـ ب .

2) المصدر السابق ص 222 .

ابن العـــالمي

في نسخة أياصوفية : رسالة من الإمام الغزالي في جواب ابن العالمي في ذم الدنيا وتقبيح حال أرباب الدنيا وهلاك الذين جعلوا الدين والشريعة عرضة لطلب المال والدنيا .

ونسخة (ج) أثبتت الرسالة بعنوان « ابن العامل » . وحيث إن الاسم غير كامل وملتبس ، فلم نترجم له ترجمة مستندة . والرسالة من أروع رسائل الإمام الغزالي يبدأها بشكر ابن العالمي (او العامل) في إرساله الرسالة والدعاء له بمزيد التوفيق قائلا له بأن كل علم وفضل أثمر شيئاً غير معرفة الله ومتابعة رسوله فهو وبال على صاحبه ، ثم يشرح له العلم إلى ثلاث طبقات ... وفي الختام يدعو الله أن يجعله من المخلصين والفائزين .

القاضي عماد الدين الوزّان

هو محمّد بن عبد الكريم بن أحمد بن طاهر الوزّان من كبار فقهاء الشافعية بالري ورؤسائها كأبيه وجدّه لقي أبا إسحاق الشيرازي وتفقه على والده ثم على أبي بكر الخجندي بأصفهان ، وسمع ببغداد ابن النقور . ومات في حدود سنة (525/1132) بالرّي (1) .

ومن تأليفاته شرح وجيز الغزّالي (2) ومن هذا البيت ايضا صدر الدين محمّد بن عبد الكريم بن عماد الدين بن محمّد بن عبد الكريم الوزّان رئيس الشافعية بالري الذي له قصة مشهورة مع السلطان تكش الخوارزمي قتله الملاحدة في (595/1099) (3) .

وأما رسالة الغزّالي اليه يذكره بأنّه دائم الاطلاع على اخباره . وإمساكه عن المراسلة والمكاتبة ليس الاّ لأن المكاتبة كالمشافهة والمناجاة لاتصح الاّ بوقت الحاجة والضرورة مستدلا بالآية الشريفة « لاخير في كثير من نجواهم الاّ من أمر بصدقة أومعروف أو اصلاح بين الناس » وفي الختام يوصيه في حقّ أحد الفضلاء من أصحاب الرأي (أصحاب أبي حنيفة) الذي قصد ناحية الري لمهمّة وهو غير مستغن عن إعانة الوزّان .

---

1) السبكي : طبقات الشافعية ج 4 ص 78 .

2) همائي : غزّالي نامه ص 325 .

3) العلامة القزويني : تعليقات لباب الالباب ص 618 .

محمد بن أرسلان الخوارزمي

ترجمه السبكي في الطبقات نقلا عن ابنه صاحب الكافي وهذا نص بيانه : « أطنب ولده في وصفه في تاريخ خوارزم وقال : وقرأ الأصول والفروع على الإمام أبي إبراهيم إسماعيل بن الحسين الدرعاني . مهرفي الاصول وصار فريد الزمان في انطلاق اللسان وحسن البيان ، وانتزاع البرهان من الأصول العقلية والقرآن ، وأضحى نادرة الأيام في إفحام فحول المجاهدين وقت الخصام بأقطع الالزام وقرأ شرح المهذب لأبي بكر الصيدلاني في مجلدات وأتى على حفظ جميعه ، فربما كان يسأل عن مائة مسألة في مجلسه في مواضع مختلفة ويجيب عنها على الفور من غير تردد ولا تخبط . ويذكر ما فيها من القولين والوجهين والتنبيه على الجوابين ويذكر عللها . قال : وحفظ تفسير الثعلبي جميعه ، فكان إذا سئل في مجلسه عن عشرآيات في مواضع متفاوته ذكر تفسيرها ، باختلاف أقوال المفسّرين من غير غلط ولا خطأ . ثم قال : وتوفّي والدي يوم الاربعاء رابع صفر سنة 2/503 سبتمبر 1109 ، وهو ابن أربعين وأشهرا (1) .

رسالة الغزّالي إلى الخوارزمي : يذكّره بأنّ الاخوة في الدين والقرابة في العلم من أوثق وأرسخ الصلات ، والأرواح جنود مجنّدة ، ويؤيده ويبرّه بسيرته وهي الجمع بين علوم الشرع وسيرة التصوف ويدعوالله أن يمدّه بالاستمرار وأن تفيض بركات أنفاسه للعموم .

ملاحظة

توجد رسالة للإمام الغزالي إلى أحد كبار الدولة دون أن يتعرض لاسمه في معنى الصدقة وأنّها تدفع البلاء وشرح ذلك . وهي من أروع رسائله . وهناك رسالة أخرى إلى كبار الدولة في حق بعض مختلفته ورسائل أخرى إلى بعض مختلفته وأتباعه دون تسميتهم . وفي فصل المواعظ رسالة في حقّ الاباحيّة وغوايتهم والحكم والافتاء بقتلهم جميعا .

فهرس الاحاديث النبوية •

قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

1 ـ « إذا تقرّب الناس إلى الله بأعمال البر فتقرّبْ أنت إلى الله بعقلك » مخاطبا الإمام علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ (98) .

2 ـ « الارواح جنودٌ مجنّدة » (130) وتمامه « .. فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » . رواه الشيخان وابو داود .

3 ـ « استفت قلبك وإن أفتَوك وأفتوك » (137) رواه احمد والطبراني وأبويعلى وابونعيم بلفظ « ... وإن افتاك الناس وأفتوك » .

4 ـ « اشدّ الناس عذابا يوم القيامة عالم لاينفعه الله بعلمه » (143) رواه الطبراني في الصغير والبيهقي بلفظ « ... لم ينفعه علمه » .

5 ـ « أعوذ بعفوك من عقابك وأعوذ برضاك من سخطك أعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك انت كما أثنيت على نفسك » (108) . رواه مسلم وأبوداود والنسائي والترمذي وابن ماجه بلفظ « اللهم إني اعوذ برضاك من سخطك واعوذ بمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك انت كما اثنيتَ على نفسك » .

6 ـ « اغتنم خمسا قبل خمس » (90) . وتمامه « .. حياتك قبل موتك وصحتك قبل سقمك وفراغك قبل شغلك وشبابك قبل هرمك وغناك قبل فقرك » رواه الحاكم وصححه ، والبيهقي عن ابن عباس ، وهو عند احمد في الزهد . والبيهقي عن عمرو بن ميمون مرسلا .

7 ـ « أكثر أهل الجنّة البُله وأهل العليين ذوو الالباب » (63) . رواه البيهقي والبزار والديلمي والخلعي بسند فيه لين عن أنس رفعه ـ بلفظ « أكثر أهل الجنّة البُله وعليون لذوي الالباب » .

8 ـ « الالقاب تنزل من السماء » (96) .

• نذكر في هذا الفهرس جملة الاحاديث الواردة في فضائل الانام حسبما أوردها حجة الإسلام سواء كانت صحيحة أم موضوعة وبألفاظها التيّ ذكرت بها . ويلي كل حديث رقم الصحيفة المذكور فيها الحديث اوالخبر ، ثم تعقب عليه بما اهتدينا اليه من تخريج وتصحيح و ... مع ذكر الأصول التي خرجته . وما لم نتمكن من تحقيقه تركناه كما ورد .

9 ـ « اللهم اجعل قوت آل محمّد كفافا » (145) . اخرجه الإمام البخاري (ج 122/8 دار الشعب . القاهرة) بلفظ « اللهم ارزق آل محمّد قوتا » ومسلم في الزهد والزكاة ، والترمذي في الزهد ، وابن ماجه في الزهد واحمد .

10 ـ « الامراء والرؤساء يحشرون يوم القيامة في صور الذر تحت اقدام النّاس يطؤونهم بأقدامهم » (116) . روى عن جابر ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : يبعث الله يوم القيامة ناسا في صور الذر يطؤهم الناس بأقدامهم فيقال : ما بال هؤلاء في صور الذر ؟ فيقال : هؤلاء المتكبرون في الدنيا » رواه البزار. وعن عمرو ابن شعيب عن ابيه عن جده أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان يساقون الى سجن في جهنم يقال له بولّس تعلوهم نار الانيار يسقون من عصارة اهل النار طينة الخبال » رواه النسائي والترمذي وقال : حديث حسن .

11 ـ « أنا جليس من ذكرني » (89) رواه الديلمي بلا سند عن عائشة مرفوعا . وعند البيهقي في الشعب عن أبَي بن كعب قال : قال موسى ـ عليه السلام ـ « يا رب أقريبٌ أنت فأناجيك اوبعيد فأناديك ؟ فقيل له : يا موسى انا جليس من ذكرني .

12 ـ « أنا وأتقياء أمتي براء من التكلّف » (61 ، 67) كذا أورده في الإحياء . وروي « أنا والاتقياء من أمتي بريئون من التكلف » ، وأخرجه الدارقطني في الافراد بسند ضعيف عن الزبير بن العوام مرفوعا . وروي « ألا إني بريء من التكلف وصالحو أمتي » . وروى أحمد والطبراني في معجمه الكبير والاوسط ، وأبونعيم في الحلية عن سلمان انه قال لمن استضافه « لولا انا نهينا عن التكلف لتكلفت لكم » .

وهذا حكمه الرفع على الصحيح . وإلى هذا اشار الحافظ ابن حجر بقوله : روي مرفوعا من حديث سلمان ، والصحيح عنه من قوله . وقال عمر ـ كما في البخاري عن أنس عنه ـ : « نهينا عن التكلف » وقال ابن حجر في اللآلي بعد ان نقل عن النووي : إنّه ليس بثابت . قلت : روى البخاري عن انس انه قال كنا عند النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال « نهينا عن التكلف » .

13 ـ « إن الله تعالى خلق آدم على صورته ومن عرف نفسه فقد عرف ربه » (110) . اخرجه البخاري (في كتاب الاستئذان ج 62/8 . دار الشعب . القاهرة) عن أبي هريرة بلفظ خلق الله آدم على صورته » وتمامه « .. طوله ستون ذراعا ، فلما خلقه قال : اذهب فسلّم على اولئك النفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يحيّونك فإنها تحيتك وتحية

ذريتك ، قال : السلام عليكم . فقالوا : السلام عليك ورحمة الله ، فزادوا : ورحمة الله ، فكل من يدخل الجنّة على صورة آدم ، فلم يزل الخلق ينقص بعد حتى الآن » .

14 ـ « ان الفقهاء أمناء الله ما لم يدخلوا في الدنيا فإذا دخلوا فيها فاتهموهم على دينكم » (120) رواه العسكري عن علي مرفوعا بسند ضعيف . وروي « العلماء أمناء الرسل ما لم يخالطوا السلطان ويداخلوا الدنيا فإذا خالطوا السلطان وداخلوا الدنيا فقد خانوا الرسل فاحذروهم » . وفي رواية للحاكم (فاعتزلوهم) . رواه الحسن بن سفيان والعقيلي عن أنس ، وورد بروايات أخر ذكرها المناوي في الكنوز .

15 ـ « إن الله تعالى لاينظر إلى صوركم ولا الى اعمالكم وانما ينظر إلى قلوبكم ونياتكم » (145) . رواه مسلم وابن ماجه عن ابي هريرة بلفظ « إن الله لاينظر إلى اجسامكم ولا الى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم » .

16 ـ « إن الله يغضب إذا مدح الفاسق » (144) . وروي بلفظ « إذا مدح الفاسق غضب الرّب واهتز لذلك العرش » ، رواه ابو يعلى والبيهقي عن انس ورواه ابن عدي عن ابن بريدة .

17 ـ « إن ساعات الليل والنهار تعرض على كل عبد بصورة اربع وعشرين خزينة » (39) .

18 ـ « إن لله عبادا اختصهم بالنعم لمنافع العباد ما بذلوها فهم وكلاء الرحمان ، طوبى لهم وحسن مآب » (73) . رواه الطبراني وأبو نعيم عن ابن عمر بزيادة « .. فإذا منعوها حوّلها عنهم » . كذا في تخريج احاديث مسند الفردوس للحافظ ابن حجر .

19 ـ « إنما قلوب المؤمنين بين اصبعين من اصابع الرحمان » (110) . أخرجه ابن ماجه بلفظ ما من قلب الا وهو بين اصبعين من اصابع الرحمان ربّ العالمين » ورواه احمد بلفظ « وانما قلوب العباد بين اصبعي الرحمان إنه إذا اراد ان يقلّب قلب عبد قلّبه » .

20 ـ « انه ينادي مناد يوم القيامة : أين الظلمة واعوانهم ؟ فلا يبقى احد منهم مدّ لهم دواة أوبرى لهم قلما فما فوق ذلك إلاّ حصروا ، فيجمعون إلى تابوت من نار فيلقون في جهنم » (116) . وروي بلفظ « الظلمة واعوانهم في النار » ، رواه الديلمي عن حذيفة باسناد ضعيف .

21 ـ « اول ما خطه الله في الكتاب الأول : لا إله الا الله أنا سبقت رحمتي غضبي » (137) . رواه البخاري (ج 147/9 . دار الشعب القاهرة) عن أبي هريرة بلفظ « لما خلق الله الخلق كتب في كتابه وهو يكتب عن نفسه وهو وضْعٌ عنده على العرش : إن رحمتي تغلب غضبي » وفي البخاري ايضا (ج 165/9 الطبعة نفسها) عن أبي هريرة « لما قضى الله الخلق كتب عنده فوق عرشه : إن رحمتي سبقت غضبي » .

22 ـ « أيها النّاس كأنّ الموت على غيرنا كتب وكأنّ الحق فيها على غيرنا وجب وكأنّ الذي نشيع من الأموات سفر عما قليل الينا راجعون نبوّئهم اجداثهم ونأكل تراثهم كأنّا مخلّدون بعدهم قد نسينا كل واعظة وأمنّا كل جائحة » (71) .

23 ـ « تركت فيكم واعظين صامتا وناطقا : الصامت الموت والناطق القرآن » (38 ، 118) .

24 ـ تعس عبد الدرهم وتعس عبد الدينار » (50 ، 82 ، 108) . رواه البخاري (ج 115/8 ، دار الشعب . القاهرة) عن أبي هريرة بلفظ « تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة ، إن أعطي رضي وإن لم يعط لم يرض » وفي لفظ العسكري عنه ايضا مرفوعا (لعن) بدل (تعس) . وفي ابن ماجه عنه ايضا « تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الحلة وعبد الخميصة إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط . تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش طوبى لعبد اخذ بعنان فرسه في سبيل الله أشعث رأسه مغبرّة قدماه إن كان في الحراسة كان في الحراسة وإن كان في الساقة كان في الساقة (1) إن استؤذن لم يؤذن له وإن شفع لم يشفع » .

25 ـ (حديث قدسي) قال الله عز وجل « خلقت الخير وخلقت له أهلا فطوبى لمن خلقته للخير ويسّرت الخير على يديه . وخلقت الشر وخلقت له أهلا فويل لمن خلقته للشر ويسّرت الشر على يديه » (69) . في معناه في الموطأ وأبي داود « خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنّة يعملون .

26 ـ « داووا مرضاكم بالصدقة » (87 ، 109) . رواه الطبراني عن أبي أمامة والديلمي عن ابن عمر بزيادة « .. فإنّها تدفع عنكم الامراض » .

27 ـ « الدعاء يرد البلاء . والدعاء والبلاء يتعالجان » (68 ، 110) . رواه الطبراني عن أبي هريرة وابن عباس مرفوعا ، ورواه الديلمي عنه بلفظ « الدعاء يرد القضاء » في حديث أوله « بر الوالدين يزيد في العمر .. » . وروى الطبراني عن عائشة مرفوعا « لايغني حذر من قدر والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل وإن الدعاء والبلاء ليتعالجان إلى يوم القيامة » .

28 ـ « دع ما يريبك إلى ما لايريبك » (137) . تمامه « .. فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة » . رواه ابو داود والطيالسي وأحمد وأبو يعلى في مسانيدهم والدارمي والترمذي وفي لفظه « فإن الصدق ينجي » والنسائي . وليس عنده « .. فإن الصدق ... » . ولابن عمر من الزيادة فيه « فانك لن تجد فقد شيء تركته لله » .

29 ـ « الدنيا ملعونة وملعون ما فيها الا ما كان لله منها إلا ذكرا لله وما والاه » (129 ، 146) . رواه الترمذي وحسنه عن أبي هريرة مرفوعا ، وعنه ايضا مرفوعا بلفظ « الدنيا ملعونة

وملعون ما فيها الا ذكرا لله وما والاه وعالما ومتعلما » ورواه الطبراني في الاوسط عن ابن مسعود ، وابن ماجه والبيهقي والترمذي وقال : حديث حسن .

30 ـ « ستفترق امتي على نيف وسبعين فرقة الناجية منها واحدة » (147) وعن معاوية ـ رضي الله عنه قال : قام فينا رسول صلى الله عليه وسلم ـ فقال : الا انّ من كان قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة وان هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنّة وهي الجماعة » رواه أحمد وأبو داود وزاد في رواية « وانه سيخرج في امتي أقوام تتجارى بهم الاهواء كما يتجارى الكلْب بصاحبه لايبقى منه عرق ولا مفصل الاّ دخله » .

31 ـ « سيأتي زمان على الناس من تمسك بعُشُر ما انتم عليهم نجا ، فقيل : ولم ذلك ؟ قال : لانكم تجدون على الخير أعوانا » (38) . رواه الترمذي « يأتي على الناس زمان ... » . وفي الموطا والنسائي « ليأتينّ على الناس زمان ... » .

32 ـ « العجز عن (درك) الادراك إدراك » (171) .

33 ـ « قال له جبريل عليه السلام : ما الاحسان ؟ قال : أن تعبد الله كأنك تراه » (93) . هذا طرف من حديث طويل.رواه عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أوله « بينما نحن جلوس عند رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذات يوم إذ طلع علينا رجل ... » . رواه البخاري ومسلم والترمذي وابو داود والنسائي .

34 ـ « قل ربّي الله ثم استقم » (125) . رواه ابن ماجه عن أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ بلفظ « قال : قلت : يا رسول الله حدثني بأمر اعتصم به قال : قل ربّي الله ثم استقم » . ورواه الترمذي وزاد . « قلت : يا رسول الله » قال العلقمي وسببه كما في مسلم : عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال : قلت : يا رسول الله قل لي في الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدا بعدك فذكره .

35 ـ « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » (23) أخرجه البخاري (في كتاب الاحكام ج 77/9) وتمامه « فالامام الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته . والرجل راع على اهل بيته وهو مسؤول عن رعيته . والمرأة واعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسؤولة عنهم . وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسؤول عنه . ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » .

36 ـ « كل ممنوع متبوع والحريص محروم » (152) . في معناه ورد في الاحياء « لومنع النّاس

من فتّ البعر لفتّوه » . وفي معناه ايضا « ان ابن آدم لحريص على ما مُنع » قال القاري : ليس بحديث . وورد بلفظ « كل ممنوع حلو » .

37 ـ « الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله (المغفرة) » . (96 ، 114) رواه الترمذي وابن ماجه واحمد .

38 ـ « لاتجالسوا الموتى . فقيل : من هم يارسول الله ؟ قال : الاغنياء » (87) . خرجه الترمذي « ... واياك ومجالسة الاغنياء » .

39 ـ « لاتكن عونا للشيطان على أخيك » (135) رواه البخاري عن ابي هريرة مرفوعا بلفظ « لاتكونوا عونا للشيطان على أخيكم » في حديث الذي أتي به النبيُّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو سكران وقال له رجل من القوم : اللهم ألعنه » .

40 ـ « لاحسد الا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فهو ينفقه في سبيل الله ، ورجل آتاه الله علما فهو يعمل به ويدعو الخلق اليه » (68) . رواه أحمد والشيخان بلفظ « لاحسد الا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلّمها » . والترمذي ، وابن ماجه عن ابي عمر بلفظ « لا حسد الا في اثنتين رجل علمه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآنا النهار . ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار » .

41 ـ « لايزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتّى أحبه فإذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به » (52) ، جزء من حديث طويل رواه البخاري (ج 131/8) عن ابي هريرة « قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إن الله قال : من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب اليّ عبدي بشيءٍ احب اليّ مما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبّه فإذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينّه ولئن استعاذني لاعيذنه وما ترددت عن شيءٍ انا فاعله تردّدي على نفس المؤمن يكره الموت وأنا اكره مساءته » .

42 ـ « لايزال لا اله الا الله دافعا عن الخلق عذاب الله ما لم يؤثروا صفقة دنياهم على صفقة دينهم فإذا آثروا ثم قالوا : لا إله الا الله قال الله تعالى : كذبتم لستم بها صادقين » (50) . رواه أحمد .

43 ـ « لايكمل ايمان عبد حتى يحب لسائر الناس ما يحب لنفسه » (144) . ولفظ البخاري

« من الإيمان أن يحب لأخيه ما ... » . وفي البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه « ... حتى يحب لأخيه او قال لجاره ما يحب لنفسه » .

44 ـ « لايكون المرء من المتقين حتى يدع مالا بأس به حذراً مما به البأس » (138) . وفي الترمذي « لايكون العبد تقيا حتى يحاسب نفسه » .

45 ـ « لولا ان الشياطين يحوّمون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماوات »(96) . وفي لفظ احمد « هذه الشياطين يحوّمون على اعين بني آدم أن لا ينظروا ... » .

46 ـ « ليس لك من مالك الا ما اكلت فأفنيت أولبست فأبليت وتصدقت فأمضيت » (92) . رواه مسلم والطيالسي والنسائي والترمذي ، وزاد نجم الدين الغزي في آخره « أوتصدقت فأمضيت » .

47 ـ ما ذئبان ضاريان أرسلا في زريبة غنم بأكثر فساداً فيها من حب الشرف والمال في دين المرء المسلم » (82، 116) عن كعب بن مالك ، قال العلقمي : بجانبه علامة الصحة . ورواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح . وابن حبان في صحيحه .

48 ـ « من احسن اليكم فكافئوه » (100) . وروي بلفظ « من أسدى اليكم معروفا فكافئوه فإن لم تستطيعوا فادعوا له » . رواه ابو داود والنسائي باسناد صحيح بلفظ (من صنع) .

49 ـ « من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ بجيفة وهو لايشعر » (145) . وروي عن انس ـ رضي الله عنه ـ يرفعه ، قال : ينادي مناد : دعوا الدنيا لأهلها ! دعوا الدنيا لأهلها ! دعوا الدنيا لأهلها ! من أخذ من الدنيا أكثر مما يكفيه أخذ حتفه وهو لايشعر » . رواه البزار وقال : لايروى عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ الاّ من هذا الوجه . « اتركوا الدنيا لأهلها فإنه من أخذ منها فوق ما يكفيه أخذ من حتفه وهو لايشعر » . رواه الديلمي وهو حسن لغيره .

50 ـ « من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله إلاّ بعدا » (131) . رواه الديلمي عن علي رفعه وسند ضعيف . قال السخاوي : وفي لفظ « ثم ازداد للدنيا حبا ازداد من الله غضبا » . وقال المناوي : رواه الازدي في الضعفاء من حديث علي بلفظ « من ازداد بالله علما ثم ازداد للدنيا حبا ازداد من الله عليه غضبا » .

51 ـ « من طلب علما مما يبتغى به وجه الله تعالى لينال به عرض الدنيا لم يجد عرف الجنّة » (131) ، رواه أبو داود وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم والبخاري ـ بلفظ « .. لايتعلمه الا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنّة يوم القيامة » .

52 ـ « من نظر إلى وجه الله تعالى بالحقيقة حسن وجهه » (84) .

53 ـ « نحن معاشر الانبياء امرنا ان نكلم الناس على قدر عقولهم » (48) . رواه الديلمي بسند ضعيف عن ابن عباس مرفوعا . وفي البخاري عن علي موقوفا « حدّثوا الناس بما يعرفون أتحبّون أن يكذب الله ورسوله » .

54 ـ « نعم المال الصالح للرجل الصالح » (129) . رواه أحمد وابن منيع عن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ .

55 ـ « نعوذ بالله من علم لاينفع » (131) .

56 ـ « هلك الاغنياء الا الذي تصدق بماله في الخيرات على اليمين والشمال والامام والوراء » (113) « هلك المكثرون الا من قال بالمال هكذا عن يمينه وهكذا عن شماله وهكذا بين يديه » (113) من حديث طويل رواه البخاري (ج 117/8) « قال ابوذر ـ رضي الله عنه ـ : كنت أمشي مع النبي ـ صلى الله عليه وسلم في حرّة المدينة فاستقبلنا أحُدٌ فقال : يا أباذر . قلت : لبيك يا رسول الله ، قال : ما يسرني ان عندي مثل أحد هذا ذهبا تمضي علي ثالثة وعندي منه دينار إلاّ شيئاً ارصده لدين الا أن أقول به في عباد الله هكذا وهكذا وهكذا عن يمينه وعن شماله ومن خلفه » ثم مشى فقال « إن الأكثرين هم الاقلون يوم القيامة الا من قال هكذا وهكذا وهكذا عن يمينه وعن شماله ومن خلفه وقليل منهم ... » .

57 ـ « وما ظالم إلاّ ويبلى بظالم ثم ينتقم الله منهما جميعا » (69) . وروي بلفظ « إن الله ينتقم من الظالم بالظالم » وروى ابن ابي شيبة وابن ابي حاتم عن مالك بن دينار قال : قرأت في الزبور : إني انتقم بالمنافق من المنافق ثم أنتقم من المنافقين جميعا . وذلك معنى ما في كتاب الله تعالى « وكذلك نولّي بعضَ الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون » .

58 ـ « يحشر الاغنياء يوم القيامة اربع فرق : رجل جمع مالا من حرام وأنفقه في حرام فيقال : اذهبوا به إلى النار . ورجل جمع مالا من حلال وانفقه في حلال فيقال : قفوا هذا واسألوه ... » انظر تمامه في (117) .

59 ـ « عن سلمة بن الأكوع ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « لايزال الرجل يذهب بنفسه (1) حتى يكتب في الجبارين فيصيبه ما أصابهم » . رواه الترمذي وقال : حديث حسن .

---

1) يذهب بنفسه أي يترفع ويتكبر .

من كلام عيسى ـ عليه السلام ـ

ـ « بأن من علم وعمل و علّم فذلك يدعى عظيما في ملكوت السماء » (96) .

ـ « لاتنظروا إلى أهل الدنيا فإن بريق أموالهم يذهب حلاوة ايمانكم » (119)

ـ « يا بن مريم عظ نفسك فإن اتعظت فعظ الناس والاّ استحي منّي » (143) .

ـ « يامعشر الحواريين الغنى مسرّة في الدنيا مضرّة في الآخرة بحق أقول لاتدخل الاغنياء ملكوت السماء » . (116) .

من كلام أمير المؤمنين علي ـ عليه السلام ـ

ـ « طلقت الدنيا ثلاثا » (98) .

ـ « لاتعرف الحق بالرجال اعرف الحق تعرف أهله » . 115

فهرس فضائل الانام من رسائل حجة الإسلام

الباب الثالث
في الرسائل التي كتبها للأمراء وأركان الدولة

الباب الرابع
في الرسائل التي كتبها للفقهاء وأئمة الدين

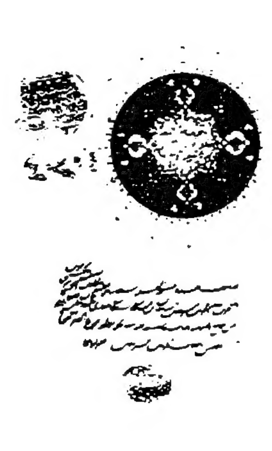
الباب الخامس
في فصول ومواعظ متفرقة

تراجم أصحاب الرسائل

فهـرس الأعـــلام والبلـــدان

المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية





صورة الغلاف